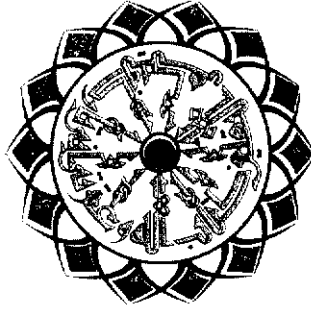


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# سِرُّ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ اِسْلَامِيَّةٍ جَامِعَةٍ

العدد السادس والثلاثون • السنة التاسعة • شوال - ذو الحجة ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٩ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص . ب : (٨٩٤ = ٢٧١٨٥)

هواتف : ٧٧٤٠٢٩٤ ، ٣ ، ٧٧٤٠٧٧١ فاكس : ٧٧٣٥١٧٩

موقعنا على الانترنت :

[www.ahl-ul-bait.org](http://www.ahl-ul-bait.org)

## رسالة الثقلين

### مفاتيح اسلامية بامعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرار الكريم والسنة الشريفة للرسول الامين ﷺ واهل بيته الطيبين الطاهرين 
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين التي تصب في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية وثبيت شوكتها في أرجاء العالم.

- الأراء المسوارة فيما ينشر لا تعتبر بالضرورة عز رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- يرجى ممن يرفد المجلة بمنتجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر.

### مستويات العدد

#### □ كلمة التمرير

✳ مسار وعي الأمم ونهضة الشعوب

٤ بقلم رئيس التحرير .....

#### □ من أفاق القيادة الإسلامية

✳ يوم الولاية

١١ ..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)

#### □ دراسات

✳ نظرية الإمامة: الإمامة في أهل البيت (ع)

٣٤ ..... السيد محمد باقر الحكيم

٦١ ✳ هدف الحياة الإنسانية (١) ..... الشيخ مرتضى المطهري

#### □ من ضفة مدرسة أهل البيت (ع)

٩٣ ✳ ضروري الدين والسيرة ..... السيد هاشم الهاشمي

✳ قواعد أصول الفقه ١ - قاعدة: الألفاظ موضوعة لذات المعاني

٢ - قاعدة: الاطلاق في مفاد الهيئة

١٢٩ ..... اعداد: لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع)

#### □ من تاريخ أهل البيت (ع)

✳ الطاعة والثورة في النهج السياسي للإمام الحسين (ع) (١)

١٣٩ ..... الدكتور أحمد عبدالمجيد حمود (استراليا)

#### □ تعليقات

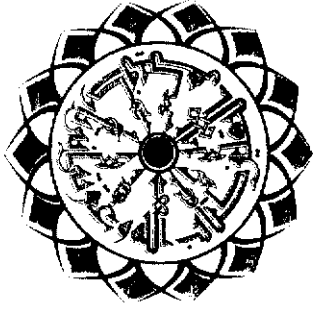
✳ ملاحظات حول تعليقات العلامة المجلسي على الأحاديث

١٦٦ في كتاب (العقل والعلم والجهل) ..... الشيخ محمد علي التسخيري

#### □ من أعلام مدرسة أهل البيت (ع)

✳ الحسين بن روح النوبختي «السفير الثالث»

١٧٤ ..... حسين الشاكري



المجمع العالمي لاهل البيت

المشرف على :

الشيخ  
محمد علي الشيرازي

رئيس التحرير :

الشيخ  
فؤاد كاظم المرقاوي

○ العدد السادس والثلاثون

○ السنة التاسعة

○ شوال - ذو الحجة

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٩ م

○ المطبعة : ليلى

□ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

\* من روايات سعد بن أبي وقاص

..... الشيخ جعفر الغريب ١٨٢

□ أدب في رهاب الثقيلين

\* قصيدة : يوم أغر ..... صاحب بن عبّاد ١٩٢

\* قصيدة : الغدير الغدير ..... السيد محمد جمال الهاشمي ١٩٥

\* قصيدة : نسائم الغدير ..... إبراهيم محمد جواد (سوريا) ٢٠٠

□ من ألبيا، القرى

\* الجمهورية الاسلامية في إيران :

تجارة المخدرات عبر إيران، مؤامرة تشارك فيها أطراف

دولية..... ٢٠٦

\* جماعة علماء المسلمين في أوروبا :

موقف مسؤول من مجلة مشبوهة .. ٢١٠

\* فلسطين : الشعب الفلسطيني بين الحصار والمذابح اليومية ..... ٢١٥

الانتفاضة عصا غليظة في دولا ب الحكومة الإسرائيلية ... ٢١٩

\* العراق : الجفاف : مشكلة عالمية ، تداركها قبل فوات الأوان

«العراق نموذجاً» ..... ٢٢٢

\* أفغانستان : الحرب والمجاعة تهدد حياة الملايين ..... ٢٢٨

\* الجزائر : تصاعد موجة أعمال العنف من جديد ..... ٢٣١

\* البحرين : قمة مجلس التعاون الخليجي بين السلب والايجاب ..... ٢٣٥

\* تركيا : انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان ..... ٢٣٩

\* البوسنة : التنصير في عقر دارنا ..... ٢٤٢

\* أميركا : مجلس النواب الأميركي يتضامن مع اسرائيل الغاصبة .... ٢٤٥

..... اعداد : قسم الأرشيف

□ مع قرآن. الثقيلين

\* رسائل وتقويمات

..... اعداد : قسم العلاقات ٢٦١

# مسار

## وعي الأمم ونهضة الشعوب

✽ بقلم رئيس التمير

إنَّ وعي الأمم ونهضة الشعوب لم تكن يوماً أمراً عشوائياً محكوماً للصدفة والعفوية ، بل هو مسارٌ محكَّمٌ بعوامل وقوانين وسنن ، وأدَلّ الدليل عليه هو حركة الأنبياء وأوصيائهم ﷺ عبر تاريخ البشرية ، وأعظمهم نموذجاً خاتمهم محمد ﷺ من خلال سيرته الكبرى في تغيير الأمم وإخراجها من جاهليتها المظلمة إلى أنوار الإسلام العظيم .



وفي عصرنا الحاضر كثيراً ما يقف أبناء الأمة المخلصون متأملين ، تتلاحق في أذهانهم العديد من علامات الاستفهام بل الكثير من حالات التعجب والاستغراب ، يقولون لماذا لا تنهض الأمة بوجه أعدائها ؟ خصوصاً وقد جاوز الأعداء المدى ، وأمعنوا في اذلالها واستعبادها

وسرقة ثرواتها وجهدها وتمييع شخصيتها وأخلاقيتها ، هل من المعقول أن يستمر هذا الصمت ؟ وتتناشئ أصوات الحق والثورة في أمة عقرت أفراس روما ، وهذمت قوائم كسرى وأرست قواعد لا إله إلا الله ، بهتاف الله أكبر من أعماق النفوس المؤمنة برسالة الإسلام العظيمة .

إن إزالة هذا التعجب ، وإخماد هذه الإثارة في الأسئلة التي ترددها الشفاه الحائرة ، يكمن في بيان العوامل والقوانين التي تتحكم بحركة الأمة ومسار وعيها ، فلو علم كل هؤلاء المخلصين من أبناء الأمة ، شعوباً وجماعات ، إن عملية التغيير الجوهرية لأي مجتمع باتجاه الإسلام باعتباره الطريق الوحيد لخلاص المعذبين من ظلم الجائرين ، والمبدأ الأعلى الذي ينهض المستضعفين في الأرض ، ويمنّ عليهم ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ، لو علم هؤلاء العاملون في سبيل الله ، إن عملية التغيير هذه لا تتم إلا من خلال تفاعل عاملين رئيسيين ، يعانق أحدهما الآخر ويزدوج معه لتكون الولادة الجديدة هي الثورة بكل جذورها وبكل أبعادها الحقيقية . الثورة على الذات لتحررها من كل العبوديات الأرضية الباطلة ، ولتسمو بها في مراتب عبودية الله عز وجل حيث العزة والقوة والكرامة ، ثم هي ثورة على كل الواقع الفاسد .. الثورة على كل الأفكار المنحرفة .. الثورة على كل الأنظمة الوضعية .. الثورة على كل الطواغيت في الأرض .

إن أول هذين العاملين من حيث التسلسل في الوجود هو العامل السلبي من عملية التغيير والتوعية ويتمثل هذا العامل بمجموعة التوجهات والممارسات التي تستهدف تحسيس الأمة وتوعيتها على حقيقة الواقع الفاسد ، وما يكمن فيه من زيف وبطلان في شعاراته المطروحة وفي أفكاره المتداولة ونظرياته المتبناة والعمل بكل عمق

فكري وجراءة علمية على نسف كل الأسس التي يقوم عليها البناء الواهي ، لهذا الواقع الفاسد والاستعانة بكل ما يزودنا به الاستقراء الميداني للمشاكل والمآسي التي تعاني منها الشعوب الراححة تحت نير هذه الأنظمة الفاسدة والطواغيت الحاكمة .

وكنموذج ميداني فريد جسّد هذا العامل في عصرنا الراهن هو النهج الرائد الذي انتهجه الإمام الخميني الكبير رحمه الله في تعرية حقيقة نظام الشاه الفاسد وأساليب الاستكبار العالمي وعلى رأسه أميركا في استضعاف الشعب الإيراني المجاهد وامتثانه ونهب ثرواته وخبراته والتآمر عليه في اجهاض انتفاضاته المتوالية وضرب مواطن القوة والاعتدال فيه ، وقد قرن الإمام الخميني رحمه الله بياناته هذه بحركة واسعة عبأ لها آلاف من علماء الإسلام وطلبة الحوزات العلمية المجاهدين والملايين من أبناء الشعب المجاهد على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الثقافية والاجتماعية ، فحدث نهضة إسلامية عارمة رفضت الشاه ونظامه واسياده الأُميركان .

ونموذج تاريخي معاصر اخر على هذا الدور الأساسي هي الحركة الفكرية العظيمة التي قادها المفكر الإسلامي الرائد آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله ، عندما تصدّى لأكبر أطروحتين تتقاسمان العالم ، وتتحكمان في رسم طريقة حياة شعوبه وأُممه ، وهما الرأسمالية في الغرب ، والماركسية في الشرق .

وقد ترنّحت هاتان الأطروحتان ، تحت وطأة ضرباته الحاسمة ، وجعلت منهما هراءً ترفضه العقول السليمة من رجال الفكر والعلم عندما أثبت للفكر والعلم بأسلوب علمي رصين ، من خلال الجزء الأول من كتابيه الشهيرين (فلسفتنا واقتصادنا) أنّهما أطروحتان متمافتتان في

مبادئهما ومنهجهما، ومدمرتان في نتائجهما وآثارهما .  
وكان لا بد أن يرافق هذا العمل الجبار الذي حمل لواءه وتحمل همّه  
الشهيد السيد الصدر . عملية أخرى مكّمة في نتائجها وواسعة في  
مساحتها ، ومباشرة في تأثيرها ، تتكامل بها عملية تحسيس الشعوب  
وتوعيتها على واقعها الفاسد ، وواقع حكوماتها وانظمتها الباطلة ، هذه  
العملية التكميلية المهمة هي فضح واقع الأنظمة والحكام بالأرقام  
والوقائع من صميم الممارسة والتطبيق ، التي بطرحها على الأمة  
ستُترجم الأدلة العلمية على بطلان وزيف النظريات والمبادئ الفكرية  
والسياسية التي تقوم عليها أنظمتهم وشعاراتهم وتصدّق البراهين  
المطروحة في اثبات تهافت هذه النظريات والمبادئ وانحرافها .

إن الغفلة أو التغافل الذي وقع فيه كثير من الدعاة المخلصين في  
ساحة العمل الإسلامي هو الذي فوّت عليهم الفرصة في توعية الأمة  
وبيان ما يفعل الحكّام الطغاة ؟ وماهي المآسي التي أُمعنت في تحطيم  
الطاقات ونهب الثروات من الشعوب ؟

صحيح إنّ الكثير من الدعاة الواعين يدركون أكثر هذه الحقائق ،  
ولكنّ المهمّ هو دورهم في توعية شعوبهم على ذلك وطرح كل هذه  
الحقائق لها في كلّ فرصة سانحة ووسيلة فعّالة .

إنّ التخطيط لذلك كفيل بتحقيق الهدف الكبير في التوعية العامّة  
والشاملة لكافة القطاعات والمستويات على واقعها المأساوي هذا .

إنّ ادراك الشعوب لواقعها السيئ ونظامها الفاسد ومعرفة حقيقة  
حكوماتها الجائرة ، هو الذي سيحوّلها من شعوب خاضعة وموالية  
لحكوماتها وأنظمتها الفاسدة إلى شعوب رافضة ومتمردة وثائرة ،  
تطالب بتغيير هذه الحكومات والأنظمة الجائرة وتعمل على إسقاطها

وإزالتها من على كرسي الحكم والسلطة .

أما العامل الرئيسي الثاني الذي يأتي من حيث التسلسل في الوجود بعد العامل السلبي في توعية الأمة هو العامل الإيجابي من عملية التغيير والتوعية ، فحين تنتبه الأمة على واقعها هذا وتدرک السرّ الكامن وراء مآسيها وآلامها ، يبدأ ، وبشكل معاصر للعامل السلبي ، دور العامل الإيجابي ، ويتمثل بالعطاء الرسالي والأطروحة الفكرية والبدیل المبدئي للنظريات الباطلة والأفكار المزيّفة والأنظمة الفاسدة ، هذا العطاء وهذه الأطروحة وذلك البديل هي التي ستعالج هذا الواقع الفاسد وتجتث مشاكله ومآسيه من جذورها وتبني للأمة حياة تتمثل فيها كافة صور الحق والعدل وكافة أبعاد التكافل والتوازن ، وتتفاعل فيها كافة المجالات الطبيعية مع حاجات الإنسان المتنوعة .

وهنا أيضاً نجد في نهج الإمام الخميني الكبير ﷺ نموذجاً رائعاً جسّد هذا العامل فأعطى أفضل ثماره وأعظم النتائج ، وذلك بطرحه لنظرية الحكومة الإسلامية المقوّمة بحكومة الولي الفقيه العادل الكفوء ، في دروس أبحاث الخارج التي ألقاها على طلابه في النجف الأشرف ، ثم طبعت ونشرت في أوساط المثقفين على اختلاف رتبهم ، بل وأصبحت هذه النظرية هي المادة الأساسية لثقافة أبناء الشعب الإيراني التّوّاق إلى الخلاص من ظلم وفساد حكومة الشاه العميل لأميركا وحلفائها .

كما وجسّد هذا العامل المفكر الإسلامي العظيم آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﷺ من خلال كتبه الجليلة وتوجهاته التبليغية الهادفة ومن خلال المؤتمرات والندوات الفكرية في مختلف المجالات وعند كل فرصة سانحة لذلك وبأيّ مستوى كان ، سواء على المستوى الشعبي العام أو على المستوى الاختصاصي أو الرسمي ، فمن



خلال سلسلته الرائعة (المدرسة الإسلامية) ومن خلال الجزء الثاني من كتابيه (فلسفتنا) و (اقتصادنا) عرض معالم وأسس الأطروحة الإسلامية في تربية الإنسان وبناء النظام والدولة مشيدة على مبادئ الإسلام العظيمة ونظرته للإنسان والكون والحياة .

وهنا نقول أيضاً أنه كان من الضروري تبسيط أفكار ومبادئ هذه المدرسة الإسلامية وطرحها على أوسع القطاعات الشعبية ونشرها بمختلف الوسائل والأساليب المناسبة ولكل المستويات الجماهيرية وعدم الاختصار في عرضها وبيانها على القطاعات الفكرية والمتقفة فقط، وكنموذج رائد على ذلك هو النهج الذي سلكه الإمام الخميني رحمته الله وأجهزته في تبسيط ثقافة نظرية الحكومة الإسلامية وجعلها في متناول ادراك الجماهير لتكون ثقافتهم الإسلامية العامة وشعارهم اليومي .

إن القيام بعملية الإعلام الجماهيري الواسعة والتوعية الشعبية الشاملة على الأطروحة الإسلامية كفيلة بخلق تيار شعبي عارم يكتسح كل الضلالات ويسقط كل الأفكار والنظريات المزيقة من واقع الأمة الإسلامية وشعوبها .

بقي أن نشير إلى أن القيام بالدور السلبي المتمثل بتحسيس الأمة على واقعها الفاسد وتوعيتها وتعريفها بالسّر الكامن وراء مآسيها وآلامها ، سيبقى يقتصر إلى ضرورة الدرو الإيجابي المتمثل بالعطاء الفكري والأطروحة الرسالية التي ستكون البديل المبدئي الذي تتحوّل إليه الأمة وتؤمن به وتتبنّاه عقيدة ورسالة لها في الحياة عندما ترفض كل الأفكار المزيقة تلك وتتمرد على واقعها الفاسد وتثور على حكوماتها الجائرة .

فالشعب والأمة يبقيان متخبطين في ظلمات لا يعرفان الطريق إلى

الخلاص والسبيل إلى الحق والعدل ، إذا اقتصرنا فقط على جانب تحسيسها بواقعها الفاسد ودفعها للثورة والتمرد عليه وعلى القائمين به ، كما أن الشعوب والأمة سوف لا يلتفتان إلى أية عملية عطاء فكري وتوعية على الرسالة الفكرية والأطروحة البديلة التي تعرض عليهما مهما برع المبلغون بها وتفنّن الحاملون للوائها ، سوف لا يلتفت الشعب إليهم لأنه لا يمتلك الأرضية المهيئة لتقبل الأطروحة البديلة ، ولا يملك الإستعداد لتلقي العطاء الجديد المعروض عليه .

الذي يجب أن يحصل هو كلا العمليتين معاً ، بشكل متعاقب ومتفاعل ومتعاقب ، ففي الوقت الذي يقوم الدعاة بتحسيس الأمة على واقعها الفاسد ويكشفون لها أسرار المآسي والمظالم التي تملأ حياتهم ، في هذا الوقت يبدأ دور العطاء الفكري والأطروحة البديلة التي تتوجّه إليها الانظار بالأمل وتعقد عليها الآمال في الخلاص والنجاة مما يملأ الواقع بالظلم والجور والفساد ، فكلا الجانبين متواليان في التأثير والتغيير جانب فكّ ارتباط الأمة بالواقع الفاسد وما يمثله من أفكار وأنظمة وحكومات والتمرد والثورة عليه ، وجانب عرض الأطروحة الحقيقية وترسيخ قواعد الإيمان بها والتبني لعطائها الفكري وانظمتها المتكاملة في كافة مجالات الحياة والمطالبة بإرساء قواعد الحكم القائم على أساسها . فبتلاقح هذين العاملين وتعانقهما يفرزان نتيجة الوعي لدى الأمة ويرسمان لها مسارها النهضوي الصحيح الذي تكافح من أجله وتضحّي لتحقيق أهدافه وصولاً للسعادة الدائمة في هذه الدنيا وفي الآخرة وتلك هي حقيقة السنّة الإلهية في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين .

## يوم الولاية

﴿ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى  
السيد الفاضلي «دام ظلّه»

من خطاب لولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «دام ظلّه»  
بمناسبة عيد الغدير الأغر في جموع غفيرة من أهالي مشهد وزوّار الإمام الرضا عليه السلام.

### يوم الغدير يوم الولاية :

إن قضية الغدير قضية إسلامية وليست مجرد قضية شيعية .  
ففي تاريخ الإسلام ، وذات يوم ، قال رسول الله ﷺ كلاماً  
وعمل عملاً يحتوي كلّ منهما على دروس ومعاني مختلفة .  
وليس بوسعنا القول إن على الشيعة فقط الاستفادة من الغدير  
وحديث الغدير ، أمّا سائر المسلمين فلا يشاطرونهم الاستفادة من  
المضامين القيمة الواردة في هذا الحديث النبوي الشريف ، والذي لا  
يختص بحقبة دون أخرى .

وفي الحقيقة فإنَّ الشيعة يَكُونون حَبَّاً خاصّاً أكثر من سواهم لهذا اليوم وهذا الحديث ، نظراً لتنصيب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إماماً وولياً في يوم الغدير ، غير أنَّ حديث الغدير لا يقتصر فقط على استخلاف أمير المؤمنين ، بل يشتمل على مضامين أخرى بوسع المسلمين جميعاً الاستفادة منها .

ففيما يتعلق بأصل حادثة الغدير ، يجدر بكافة المهتمين بالتاريخ الإسلامي أن يعلموا بأنها قضية مسلّمة لا شكَّ فيها ، حيث إنها لم ترد في الروايات الشيعية وحسب ، بل إنَّ المحدثين من أهل السنة - سواء في العصور المتقدمة أو المتوسطة أو المتأخرة - نقلوا هم أيضاً حادثة الغدير ، أي تلك التي وقعت في حجة وداع الرسول الأكرم في غدير خم . في ذلك اليوم كانت قوافل المسلمين التي أدّت مع رسول الله ﷺ فريضة الحج قد تقدم بعضها إلى الأمام ، فأرسل النبي ﷺ خلفهم من أعادهم ، ثم انتظر حتى التحق بركبه من تأخّر من القوافل ؛ فاجتمع حينذاك حشد غفير من المسلمين قيل إنهم بلغوا تسعين ألفاً ، وقيل مئة ألف وقيل مئة وعشرين ألفاً .

وفي هذا الجو الحار لم يستطع سكان الجزيرة العربية أن يضعوا أقدامهم على الأرض الملتهبة حرارةً ، مع أن معظمهم كانوا من سكان البوادي والقرى الذين تعودوا على تحمل الحر الشديد ، حتى أنهم اضطروا لوضع عباةاتهم تحت أقدامهم والوقوف فوقها ، وهو ما ورد أيضاً في روايات أهل السنة .

وفي مثل هذه الظروف أوقف الرسول ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام ورفع يده أمام الأشهاد قائلاً : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ؛ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

وهناك كلام بالطبع ورد في خطبته ﷺ قبل وبعد هذه الجمل ، ولكن أكثره أهمية هو ذلك القسم الذي يصرّح فيه الرسول ﷺ بقضية الولاية - أي الحاكمية الإسلامية - وينصّب فيه أمير المؤمنين إماماً للمسلمين بصورة رسمية وصريحة .

ولا شك في أنكم قد سمعتم سلفاً بهذا الكلام الذي قلته أنا الآن، كما أن إخواننا من أهل السنة قد نقلوه في العشرات من كتبهم المعتمدة ، وهو الذي جمعه المرحوم العلامة الأميني في كتابه ، وصنّفه الكثيرون أيضاً في العديد من مؤلفاتهم .

وعلى هذا فإن هذا اليوم هو يوم الولاية أولاً ، وثانياً هو يوم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

### ما معنى الولاية ؟

فما معنى الولاية في هذه الجملة التي أطلقها الرسول ﷺ ؟  
إنّ معناها باختصار هو : أنّ الإسلام لا ينحصر في الصلاة والصيام والزكاة والأعمال الفردية والعبادات ، بل إن له نظاماً سياسياً وحكومة قائمة على أحكام الشريعة الإسلامية ، فالحكومة هي الولاية في العرف والاصطلاح الإسلامي .

فكيف هو شكل حكومة الولاية ؟ إن الولاية هي تلك الحكومة التي يرتبط فيها الحاكم مع أبناء الشعب بأواصر الحب والعاطفة والفكر والعقيدة .

وأما الحكومة التي تفرض نفسها بالقوة ، والتي يأتي بها انقلاب ، والتي لا يؤمن فيها الحاكم بعقيدة شعبه ، ولا يقيم فيها وزناً لأفكاره ومشاعره ، والتي يتمتع فيها الحاكم بإمكانات خاصّة ومزايا معينة حتى

في عرف الشعب - كما هو شأن حكومات العالم اليوم - ويجد فيها فرصته لإشباع نزواته الدنيوية ، فإنّها حكومات لا تمتّ إلى معنى «الولاية» بشيء ؛ لأنّ الولاية تعني تلك الحكومة التي تجمع بين الراعي والرعيّة بالروابط الفكرية والعقائدية والعاطفية والإنسانية والقلبية ، ويتعاطف فيها الناس مع الحاكم ، ويحبونه ويعتبرونه محور كل هذا النظام السياسي ، ويعدّون عمله تكليفاً إلهياً وينظرون إليه كعبد من عباد الله .

فالاستكبار لا وجود له في «الولاية» ، والحكومة التي يراها الإسلام هي أسمى ديمقراطية وشعبية من كل ديمقراطيات العالم ، ولها عُلقة مع أفكار ومشاعر وعقائد ومتطلبات الشعوب الفكرية ، وهي الحكومة التي في خدمة الشعب .

لا ينبغي أن تكون الحكومة مطمعاً مادياً بالنسبة للحاكم أو الولي أو المؤسسات الحكومية ، فهذا يخرجها عن الولاية ؛ وإذا جعل الحاكم الإسلامي منصبه وسيلةً لتحقيق مآربه المادية وطريقاً للتحكّم والتعالّي والوصول إلى سدّة الحكم ؛ فإنّه لن يكون وليّاً عندئذ ، ولن تكون حكومته حكومة ولائية .

إن ولي الأمر في الحكومة الإسلامية - أي ذلك الشخص الذي يُوكّل إليه أمر إدارة النظام السياسي - لا يفترق عن باقي أفراد الشعب من الناحية القانونية ، ومع أنه يمتلك حقّ القيام بالكثير من الأمور الكبرى من أجل الشعب والبلاد والإسلام والمسلمين ، إلّا أنه لا يعلو على القانون .

لقد حرّف البعض معنى الولاية منذ اليوم الأول وحتى الآن ، ولا سيّما بعد قيام نظام الجمهورية الإسلامية ، وأعطوا لها تعريفاً مغايراً وكاذباً ، فقالوا بأنها تعني الحجر على الناس ، لأنهم يحتاجون إلى وليّ وقيم ، وقد

صرحت بهذه الأقوال شخصيات بارزة ومشهورة فيما يصدر عنه من كتب وصحافة ، وكل هذا لا يعدو أن يكون كذباً محضاً واتهاماً للإسلام والولاية .

لقد طرح الرسول ﷺ قضية الولاية بصورة رسمية في الغدير ونصب أمير المؤمنين بصفته مصداقاً لها ، ولا شك في أن ثمة الكثير من التفصيلات التي تعرفونها ؛ فإذا كان هناك من لم يطلع عليها - ولا سيما من الشباب - فيجدر به أن يتابعها في المؤلفات والكتب الاستدلالية والعلمية وهي كثيرة ومفيدة .

### الغدير روح الوحدة :

إن قضية الغدير بوسعها أن تكون روح الوحدة ، وقد كتب المرحوم آية الله الشهيد المطهري مقالاً حول ذلك بعنوان «الغدير والوحدة الإسلامية» ، حيث اعتبر كتاب الغدير - الذي يعالج قضايا الغدير - أحد محاور الوحدة الإسلامية ، وهو رأي صائب .

ومن الممكن أن يكون ذلك أمراً عجيباً ، ولكن هذه هي الحقيقة . لقد طرح أصل قضية الولاية التي لا خلاف فيها بين شيوعي وسني في حادثة الغدير ، وبغض النظر عن الجانب الاعتقادي لدى الشيعة من تنصيب الرسول لأمر المؤمنين كما هو واضح في حديث الغدير ، فلو رفع مسلمو العالم وشعوب الدول الإسلامية شعار الولاية الإسلامية اليوم ؛ لانفتحت شتى المغاليق وحلت كافة المعضلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية ووجدت مشكلات العالم الإسلامي طريقها إلى الحل .

إن قضية الحكومة والنظام السياسي والحاكمية السياسية لمن أعقد قضايا العالم ؛ فبعض الدول تعاني من الاستبداد والدكتاتورية ، وبعضها

تعاني من الحكومات الفاسدة ، بينما يعاني البعض الآخر من الحكومات الضعيفة ، والبعض من الحكومات العميلة ؛ فلو طرحت الحكومة الإسلامية بمعناها الحقيقي - أي الولاية - وباتت شعاراً للمسلمين ، فإنّها ستكون دواءً لشتّى أنواع الضعف والاقتصاد والعمالة وكذلك الدكتاتورية . وعلى هذا فإنّ لواء الولاية هو لواء إسلامي .

إنّني أدعو كافة إخوتنا المواطنين من الشيعة والسنة - على مستوى بلدنا هذا في الوقت الحاضر - لأنّ ينظروا إلى قضية الغدير من هذه الزاوية وأنّ يولوا اهتماماً لهذا القسم من حديث وقضية الغدير ، كما أرجو أن يحتفل إخوتنا من أهل السنة بعيد الغدير أيضاً - عيد الولاية - لأنّ أصل نشوء قضية الولاية من الأهمية بمكان ، كأهمية ولاية أمير المؤمنين ، وهو من القواسم المشتركة بيننا وبين الإخوة من أهل السنة .

لقد كان رأيي دائماً ، سواء قبل انتصار الثورة أو بعدها ، هو أنّ على الشيعة والسنة اليوم الترفع عن خلافاتهم التقليدية في معاملاتهم اليومية ، وأنّ يكفّوا عن النزاع والتحارب ، ويجتمعوا حول قواسمهم المشتركة والتي من بينها الولاية ، وما زال هذا هو رأيي حتى الآن .

إنّ ثمة محاولات متزايدة تبذل في العالم اليوم لشقّ صف الشيعة والسنة ، وهو ما سيجنّي الاستكبار ثماره كما يعلم ذوو البصائر والفكر ؛ إنهم يهدفون إلى إبعاد إيران عن أسرة الدول الإسلامية وأنّ يحصروا الثورة الإسلامية داخل الحدود الإيرانية ، ويمهّدوا السبيل أمام الدول الإسلامية لممارسة الضغوط على إيران ويحولوا دون تأسي الشعوب الأخرى بالشعب الإيراني .

فعلينا أن نكون على خلاف ما يطمحون ؛ إنّ على كل واحد - سنياً كان



أو شيعياً - أن يعمل على تمتين عُرى المحبة وتوثيق أواصر الصداقة بين الشيعة والسنة ، وبهذا يكون قد قدّم خدمة للثورة والإسلام وأهداف الأمة الإسلامية .

وأما الذي يعمل على زرع الفرقة بينهم فسيكون على تضادّ تامّ مع هذه الحركة .

إنني على علم بأنّهم في بعض الدول الإسلامية - التي لا أرغب في التصريح باسمها - يتلقّون الأموال من الصناديق المؤسسة لخدمة أهداف وأطماع الأجانب ، وينفقونها على إصدار الكتب التي تنال من الشيعة ومذهبهم وتاريخهم ، ثم يوزعونها في شتى أقطار العالم الإسلامي ؛ فهل هؤلاء يحبون السنة ؟! كلّاً ، بل إنهم يريدون القضاء على الشيعة والسنة كليهما ، فهم لا يحبون الشيعة ولا السنة .

ونظراً لأن مجموعة من الشيعة هم الذين أقاموا الحكومة الإسلامية ويرفعون راية الإسلام في إيران ، ولأن الجميع يعرفون التشييع عن الشعب الإيراني ، فإنّ الأعداء يفرغون ما في صدورهم من غلّ على الثورة ، ويلقون به أيضاً على رأس الشيعة ! إنهم يحاربون الشيعة حتى يحولوا دون انتشار الحاكمية السياسية الإسلامية ، ورفرفة هذا اللواء الخافق بالعزة والفخر على أيّ مكان آخر ، ولكيلا يكون ذلك مطمحاً لشباب البلدان الأخرى .

فعلى الجميع أن يتوخّوا الحذر من معاضدة الأعداء في هذه الممارسات الخيانية ، وإن على الجميع في هذا البلد أو في المحافل الإسلامية أو في التجمعات الشيعية أو إخواننا من أهل السنة في بلادنا أن يتعدوا عن كلّ ما يساعد الاستكبار على دقّ إسفين التخاصم والعداء بيننا .

وبالطبع فإننا لا نعني بذلك أن يصبح الشيعة سنة ولا أن يتحوّل السنة إلى شيعة ، ولا نريد أن ندفع الشيعة والسنة إلى التخلّي عمّا لديهم من طاقات وإمكانات علمية لترسيخ آرائهم العقائدية ، بل إن النشاط العلمي هو أمر جيّد ولا غضاضة فيه ، فليصدروا المؤلفات العلمية ، ولكن في نطاق الأجواء العلمية دون سواها وبلا تجريح ولا إساءة .

وعلى هذا فإننا لا ينبغي لنا أن نقف بوجه من يستطيع إثبات رأيه ، إلّا أنّه كل من يبتغي إيجاد الصدع بقوله أو بعمله أو بشتّى الوسائل الأخرى؛ فإننا نعتقد بأنّ هذا يصبّ في صالح الأعداء . فعلى السنة والشيعة معاً أن يأخذوا حذرهم ، وهذا هو ما تشتمل عليه أيضاً «الوحدة الوطنية» التي تحدثنا عنها .

وفي الواقع فإنني أريد أن أنبّه هنا إلى أنّ البعض يعتبرون الوحدة الوطنية شعاراً سياسياً لا دينياً في محاولة للمسّاس بها .

ولقد نصحنّا هؤلاء ، وها نحن اليوم نقدم إليهم النصّح أيضاً بأن لا يكونوا سبباً في تقويض دعائم وحدة هذا الشعب العظيم والمتآلف ، لأنّ تمزيق نسيج هذا الشعب الكبير لا يكون إلّا خدمة لأعدائه ، فلو حافظ هذا الشعب العظيم الواعي على الوحدة الوطنية في هذا البلد ؛ فإنّ هذا سيكون عوناً على وحدة شعوب أخرى .

إنّ الأمة الإسلامية ذات المليار والنصف مسلم لو اتحدت في قضاياها الأساسية ؛ لوجدنا أن هناك قوّة عظيمة خرجت إلى حيّز الوجود ، ولكن إذا ما وقع المسّاس بالوحدة الوطنية فلا جدوى حينئذٍ للحديث حول وحدة العالم الإسلامي ، لأنّه سيكون مدعاة لسخرية الجميع ، وهو ما يريد البعض تحقيقه .

## كيف يمكن توفير الوحدة الوطنية ؟

فكيف يمكن إذاً توفير الوحدة الوطنية ؟ إن أحد السبل إلى ذلك هو أن يلتزم أصحاب الكلمة المسموعة في الأوساط الشعبية أو المسؤولون أو الشخصيات الدينية والعلمائية والسياسية بعدم الإيقاع في تصريحاتهم بين مجموعة وأخرى أو جناح شعبي وآخر ، وألا يثيروا الفتنة .

وفي الواقع فإن إثارة الفتنة وتبغيض أبناء الشعب بعضهم لبعض ؛ يعتبر إحدى فقرات مشروع ، يعكف الأعداء على تنفيذه ضد هذا الشعب . فهذه الإذاعات الأجنبية وتلك المراكز الخبرية يمكن أن يقال بأن نصف ما تنبئه من أقوال قد أعد لها سلفاً ؛ بغية زرع بذور البغضاء وتكدير الصفو بين فئات الشعب ، آخذين في اعتبارهم ماسيسفر عنه ذلك من عواقب . فعلى أصحاب الإعلام والأقلام أن يحذروا في الدرجة الأولى من أن تسيء أقوالهم ظنونا هذا على ذلك ، أو أن يوقعوا بين أبناء الشعب ، أو يحفروا هوة بين الشعب والمسؤولين ، لأن هذا هو لون آخر من ألوان إشعال فتيل الفتنة .

إن البعض لا هم لهم سوى نشر الشائعات أو اصطناع الأخبار أو تزيفها وتحريفها والتلاعب بحقيقتها ، من أجل تضليل المخاطب ، بغية إساءة ظن الجماهير والشباب والقراء والمستمعين بمسؤولي الحكومة ، وطمعاً في زرع الشك في نفوسهم ، وهذا لا فائدة له سوى إبطاء حركة تقدّم الشعب والبلاد ، وتشاؤم الجماهير وبأسها من المستقبل ، وإطفاء شعلة الأمل المتوهجة في صدور أبناء الشعب .

إن البعض يحاولون دفع الجماهير إلى إساءة الظن بالحكومة قاطبةً أو ببعض المسؤولين ، في حين أنهم لو كانوا على حق ، لعملوا على إيصال توجيهاتهم بشكل أو بآخر إلى المسؤولين على اختلاف

درجاتهم، ولكانت النتائج أفضل .

إنه لو وقعت حادثة أو حدث اغتيال أو ارتكبت جريمة ؛ لوجدنا أولئك الذين لا يشعرون بأدنى قدر من المسؤولية يطلقون الكثير من الكلام الفارغ والواهم والمحير بالنسبة للمتلقي . وإن الذين على علم بالحقيقة يعرفون أن أولئك كم هم بعيدون عن الواقع ، أو أنهم يتغافلون عامدين عن الحقيقة ، وهو ما يسيء إلى الوحدة الوطنية . ولهذا فإن الوحدة الوطنية أحد أبرز مطالب الشعوب .

إن شعباً يقتحم ساحة الاقتصاد مسلحاً بوحدة الكلمة لجدير بالتقدم ، وحتى لو شنوا عليه حرباً لاستمر في تقدمه .

إنه من الممكن الحفاظ على كرامة الشعب أكثر فأكثر عن طريق الوحدة الوطنية ؛ وإن الشعوب بوسعها تحقيق كافة آمالها العظمى في ظل الوحدة الوطنية ، وأما الخلافات وتفرق الكلمة وتعكير صفو النفوس والزج بالأجنحة والتجمعات والأفراد والشخصيات إلى ساحة المواجهة بعضها مع بعض ؛ فلا يمكن أن يعود بأية فائدة .

ولهذا فإن الوحدة الوطنية أصل نأمل من الجميع الحفاظ عليه ، وهو ما ننشده في المسؤولين ذوي الاحتكاك مع الرأي الشعبي العام .

### مقولة «الأمن القومي» :

وأما المقولة الثانية فهي مقولة «الأمن القومي» ، وهذا ما يحظى بالأهمية القصوى . وبالطبع فإن الأمن القومي يشمل الأمن الداخلي وكذلك الأمن الخارجي ، فالأمن الخارجي يعني تلك المنطقة التي لا يمكن تهديد البلاد عن طريقها بوسيلة القوى الأجنبية خارج الحدود ، أو أن تهاجم القوى العسكرية حدود أحد البلدان - كما يحدث في الحروب - أو

شنّ الهجوم السياسي أو الإعلامي على بلدٍ ما ممّا يسفر بدوره عن القلاقل والاضطرابات ، وهو ما يلاحظ كثيراً بالنسبة لبعض البلدان ، ويترتب عليه العديد من المشاكل .

وأما الأمن الداخلي فهو حركة واسعة من الجهود التي لو توقّر على بذلها كافّة المسؤولين المعنيين ؛ لنجحوا في تحقيق هذا الرجاء العظيم ، لأنّ الأمن ليس بالأمر اليسير .

وكما قلت في مستهل هذا العام ، فإنّه إذا لم يتحقق الأمن لتوقفت عجلة الاقتصاد ، وإنه إذا لم يتحقق الأمن لانعدمت العدالة الاجتماعية ، وإذا لم يتحقق الأمن ؛ لزال العلم وتوقف التقدم العلمي ، وإذا لم يتحقق الأمن ؛ لتفسّخت تدريجاً كافّة أجزاء البلاد . ولهذا فإنّ الأمن قاعدة وأساس .

### نماذج من الإخلال بالأمن والاستقرار :

وفي الحقيقة فإنّ للأمن نماذج تختلف من حيث الأهمية ؛ فانعدام الأمن أو الاستقرار الذي يمكن أن يعاني منه كافة أفراد المجتمع في حياتهم اليومية أو يسمّعوا به من الآخرين ، فهو أمر وإن كان حائزاً على الأهمية ، إلّا أنّه لا يهدد كثيراً بالخطر ، وذلك كحوادث السرقة مثلاً ، والتي ينبغي التغلّب عليها بواسطة جهاز الشرطة والضرب عليها بيد من حديد . وثمة مثال آخر لانعدام الأمن كتقويض بعض الأشخاص لدعائم الأمن العائلي ؛ من أجل نزواتهم القذرة والوضيعة ، إلّا أنّه ليس نموذجاً من الدرجة الأولى .

كما أنّ بثّ الرعب والقلق من قبل الأشرار والأوباش والأراذل المستهترين ، هو نموذج آخر لانعدام الأمن . فلدينا تقارير عمّا يقع في

العالم من حولنا ، وهو ممّا شاهده أو سمعه بعض منكم في مكان ما ، حيث يعتمد بعض الأشرار الخارجين عن القانون إلى التعرّض لأعراض وشرف الناس في الأزقة والأحياء ، وهو ما تقع مسؤولية أيضاً على عاتق جهاز الشرطة والسلطة القضائية ، من حيث ردعهم وإيقاع العقاب بهم ، حتى لا يظنّ بعض المتسكّعين والمتنطّعين بأنّ لهم الحقّ في ارتكاب ما يحلو لهم من حماقة وأخطاء ، ثمّ لا يكون جزاؤهم سوى النوم بضع ليالٍ في أحد السجون .

لقد أعدّ الإسلام أقسى العقوبات لأولئك المثيرين للمخاوف ، والباعثين على الرعب والوحشة داخل الأجواء الاجتماعية . فلو طبق الحكم الإلهي على مثل هؤلاء وسواهم من اللصوص - ولا سيّما المحترفين منهم لهذه الممارسات - لكان لذلك أكبر الأثر بالتأكيد .

فليدعوا جانباً بعض المجاملات العالمية والموجات الدعائية حتى يعرفوا ما هو حكم الله . لقد وضع الحكم الإلهي كلّ شيء في مكانه المناسب وبالقسطاس المستقيم .

إن انعدام الأمن الاقتصادي يمثل جزءاً آخر من انعدام الأمن ؛ فالذين يسببون الاضطراب وعدم الاستقرار للأجواء الاقتصادية مستغلّين ذوي الدخل المحدود ، يقومون بذلك عن طريق الممارسات غير القانونية والتحاليل ، فيبددون بذلك أموال الطبقات المعوزة وطاقات الشعب ويصادرونها لصالحهم .

وأسوأ من هؤلاء جميعاً أولئك الذين يصادرون لصالحهم ثروات الحكومة والوطن بواسطة أعمال الاحتيال ، أو خرق القوانين والالتفاف عليها أو التهزّب من القانون ، وهم لا يتورعون عن شتى وسائل الاستغلال الشخصي ؛ فهؤلاء يقفون خلف عدم الاستقرار والأمن

## الاقتصادي .

إنكم ترون أنّ التحايل والتهرّب من القانون هو أحد الأسباب التي تقف وراء الاقتصاد المريض والمتردّي في أيّ بلد ، والتي يستغلّها البعض ، للحصول على الثراء الفاحش والاستيلاء على ثروات الشعب والحكومة . إلا أن الأخطر من الاضطراب الاقتصادي هو الاضطراب الاجتماعي ، فهو الذي يمسّ الأمن القومي أكثر من سواه ، ولذلك فإنّهم يلجأون إلى تأزيم أوضاع العمل وتوتير الأجواء العلمية والطلابية .

وكما ذكرت قبلاً فإنّ أحد المسؤولين الأميركيين صرّح منذ حوالي شهر بأنّ الفوضى ستعمّ شتّى أنحاء إيران ، ممّا يدل على أنّهم عاكفون على تنفيذ خطة بهذا الصدد ، وهو ما يوجب على أبناء الشعب الحيطة والحذر ، فضلاً عنّ يتعرضون مباشرة وأكثر من غيرهم لمثل هذه المؤامرات .

وهذا ليس جديداً ؛ فلقد ظلّ الأعداء يبذلون جهودهم المتواصلة منذ بداية الثورة وحتى الآن في هذا الاتجاه . إنهم يؤرّمون أجواء العمل ويفتعلون الاضرابات لنشل القوى العاملة وتعطيلها عن أداء دورها البناء في البلاد ، ومع أنّهم لم يحصدوا سوى الفشل حتى الآن إلا أنّهم مازالوا يخططون . كما أنّهم يثيرون القلاقل والاضطرابات في الجامعات ، وقد جرّبوا هذه الطريقة مرّة أو مرّتين ولكنّهم تلقّوا صفعة من الطلبة ، وارتدّوا خائبين . وربما يكون الأعداء قد أفلحوا أحياناً في تنفيذ مخطّطهم هذا . إنّهم لا يكفّون عن السعي في تأزيم الأجواء الجامعية والطلابية وإثارة الاضرابات تحت شعار التظاهرات وسواها ، فيعطّلون الدروس ويلجئون الاستاذ والطالب كليهما إلى البطالة . إن الجميع يلاحظون أنّ طلبتنا اليوم آخذون في الكشف عن مواهبهم الخلّاقة ، وإنّنا لنجد بين

الطلبة أموراً مبهرة تبعث على الأمل حقيقة ، وتبشّر بمستقبل واعد ووضاء .

ولهذا فإنّ إحدى خطط الأعداء إثارة الاضطرابات في الجامعات ليحولوا دون التعلّم وتلقي الدروس والتوجّه إلى المختبرات .

كما أنهم يثيرون الشغب في الشوارع والمدن ، كما حدث في طهران يومي الحادي والعشرين والثاني والعشرين من شهر تير في العام المنصرم ، فبثوا الرعب في المدينة وهدّدوا بالخطر حياة الناس من شيب وشبان وأطفال ونساء ، وكذلك حياة المارّة ، وحتىّ الجالسين في منازلهم وغرفهم ، فلماذا؟! لأنّ شرذمة رأت أن تنزل إلى الشوارع في حركة هوجاء وعنيفة وتقوم بأعمال الشغب ، فتحرق السيارات وتهشّم زجاج المباني متذرعةً بالحجج الواهية .

فمن الذي يُعطي الحق لأحد في أيّ من البلدان لمداهمة الناس في منازلهم - فهذا ليس محلاً للغرباء - وبثّ الخوف والوحشة في نفوسهم؟! ومن البديهي فإنّ قوات الأمن والشرطة والمتطوعين لا تقف مكتوفة الأيدي حيال مثل هذه الممارسات .

ولكن من الذي ينبغي عليه توخّي الحذر في مواجهة مثل هذه التصرفات المثيرة للاضطراب؟! إنّّه الشعب نفسه وإنهم الشباب والعمال والموظفون وكذلك الطلبة أنفسهم ، أي أولئك الذين تستهدفهم مثل هذه المؤامرة ، وتبيّت لهم النوايا السيئة فعليهم جميعاً بأخذ حذرهم، وليردعوا كلّ من تسوّّل له نفسه خلق الإثارات ، وليعلموا أنّه إنّما يتحدث بلسان الأعداء ، وأنّ صوته هو صوت الأعداء ، كما خبروا ذلك في التجارب السابقة .

إن مهمة إقرار الأمن تقع على عاتق الأجهزة المعنية ، كوزارة الأمن،



ووزارة الداخلية ، وقوات الشرطة ، والمؤسسة القضائية ، وذلك فضلاً عن وعي الشعب .

إن هذا هو أهم ما يريده الشعب من الحكومة ، كما أن هذا هو ما أطالب به الأجهزة المختصة .

فعلى الجميع توخي الحيلة والحذر ، وعليهم التعامل بوعي مع الأحداث ، ولا ينبغي لنا أن نطلق العنان للعدو ليفعل ما يحلو له .

### وماذا يجدي الاعتراف ؟

إن هذا الأمن الداخلي قد يمتدّ أحياناً إلى الأمن الخارجي ، كممارسة الإثارات ؛ فمنذ بضعة أيام جاءت بعض التصريحات على لسان أحد الوزراء الأميركيين ، حيث اعترف الأميركيون الآن وبعد حوالي نصف قرن أنهم هم الذين دبّروا انقلاب الثامن والعشرين من شهر مرداد ؛ لقد مر نحو سبع وأربعين سنة ، ولكنهم يعترفون الآن بأنهم كانوا يساندون حكومة الشاه القمعية والنظام البهلوي الدكتاتوري الفاسد ، وأنهم كانوا وراء انقلاب الثامن والعشرين من مرداد ، وأنهم ظلّوا يدعمون حكومة الشاه الدكتاتورية والقمعية والفاسدة والوضعية ، طوال خمسة وعشرين عاماً .

كما أنهم اعترفوا الآن فقط بأنهم ساندوا صدام حسين في حربه ضد إيران .

فما الذي يشعر به الشعب الإيراني المظلوم - في رأيكم - إزاء هذا الموقف وهذه الاعترافات ؟!

لقد فرض علينا النظام العراقي الحرب لمدة ثماني سنوات ؛ فقصف المدن ، وقضى على المصادر الحيوية ، وقتل الشباب ، وبُدّد آلاف

المليارات من ثروتنا الوطنية ، وأضاع الكثير من الفرص علينا ، وارتكب جريمة تاريخية كبرى .

لقد كنّا نقول دائماً في تلك الأيام إن الأميركيين يدعمون صدام حسين، ولكم كررنا ذلك في زمن الحرب ، وشدّدنا على هذا القول ، ولكنهم كانوا ينكرون ويقولون بأنهم على الحياد ! وبعد مضي اثني عشر عاماً على انتهاء الحرب ؛ جاءت هذه الوزيرة الأميركية لتعترف بصراحة في أحد المراكز بأنهم قدموا الدعم لصدام حسين .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما جدوى اعترافاتكم هذه ؟ !  
والآن وبعد أن تحكّم محمد رضا بهلوي الظالم والمجرم والفاقد في رقاب هذا الشعب ، على طوال خمسة وعشرين عاماً ، ومددتم له يد العون في قمع هذا الشعب ، جئتم الآن لتقرّوا معترفين بأنكم كنتم وراء ذلك ، فماذا يجدينا هذا الاعتراف ؟ !

إن الأمر كما يقتل شخص ابناً عزيزاً لشخص آخر ، ثم يأتي ليقدم له الاعتذار ! إنهم لم يعتذروا ، ولم يطلبوا العفو الآن ، بل إنهم يعترفون وحسب !

لقد دبّرت انقلاب الثامن والعشرين من مرداد ، ثم أوقعت هذا البلد نهياً للظلم والفساد على طوال سنوات متمادية ، ثم جئتم لتقولوا نعم لقد فعلنا ذلك ! فماذا يجدينا الآن اعترافكم هذا ؟ !

إنني أقول منذ الآن بأنّه ربما أتى وزير أميركي آخر بعد عشرين أو خمسة وعشرين عاماً أخرى ليعترف بأنهم دبّروا مؤامرة ضد إيران في هذه الأيام ، أي في زماننا الحالي ، وأنهم قاموا بهذه الحركة ، وأنهم ارتكبوا تلك الجريمة ، وأنهم دعموا أعداءنا في الداخل ، وأنهم نظّموا ضدنا صفوف المعارضة ، وما عدا ذلك ؛ فماذا تجدي هذه الاعترافات

للشعب الإيراني بعد سنوات من ارتكابكم للجرائم والمظالم التي مازلتُم ترتكبونها حتى الآن؟!

إنكم تكيلون بمكيالين في تصريحاتكم ؛ فتقولون بأن إيران تمتلك شعباً عظيماً وحضارة عتيقة ، فهل يكفي هذا لكي ينسى هذا الشعب كل هذه الممارسات الخيانية والعدائية والوحشية ؟!

أتحسبون أنكم تخدعون طفلاً ؟ ! إنَّ هذا الشعب شعب عريق ، وهو يعرف ذلك جيداً ، ويدري أنه يمتلك تراثاً حضارياً عظيماً . وإننا ندرى قبلكم بأن موقعنا الجغرافي موقع مهم واستراتيجي جداً ، فهل أتعبتُم أنفسكم ولم تفهموا ذلك سوى الآن فقط ؟!

إن هذا هو الموقف الذي لا يريد أن يتعامل مع الشعوب إلّا من موقع الاستكبار والتسلّط والسيادة .

إن عيب أميركا الكبير - والذي هو عيب البشرية في هذا العصر - هو أنّها تريد التعامل مع شعوب العالم من موقع التعالي والغطرسة والسيادة والتسلّك ، فهي تتعامل في سياستها الخارجية من موقع الاستعلاء ، فلماذا كل هذه العنجهية ؟ ! أمن أجل هدف ما ؟ ! كلاً ، إنها لا تعدو مصالحهم ! وإنهم لا يتجنّحون إلّا من أجل الحفاظ على مصالحهم .

وقد يخضع بلد ما أو شعب ما لمثل هذه الغطرسة لسبب أو لآخر ، ولكن الشعب الإيراني إذا لم يخضع مسؤولوه لإرادتكم فإنّهم لا يقعون تحت طائلتكم .

إنكم لا تمتلكون عليهم نقطة ضعف أو حجة ، وهم لم يرتكبوا ما من شأنه إخافتكم لهم بكشف القناع عنه ، وثمة علائق بينهم وبين شعبهم ، كما أن الشعب الإيراني أيضاً هو شعب قد خبر العزة والإسلام والثبات

على العقيدة والحياة بإيمان راسخ ، وهو قد جرب الاستقلال ، فهل يكون هذا الشعب قد ارتكب جرماً إذا لم يخضع لإرادتكم ؟! وإذا رفض شعب ما غطرسكم وقال إننا لا نخضع أساساً للاستكبار والتسلط ، وثبت على مثل هذا الموقف الصريح ، فما هي حيلتكم للقضاء على هذا الشعب ؟ وأنى لكم ذلك ؟!

كذبة تبعث على الضحك !:

إن القوى الكبرى دأبت على الإصرار بالتظاهر بأنها تستطيع أن تفعل كل ما تصبو إليه في هذا العالم ، وقد يحدث هذا في مكان ما ، فلماذا ؟! لأن حكام تلك البلدان عملاء وضعفاء .

إن القوى العظمى تزعم كاذبة أن بوسعها أن تفعل ما تشاء ؛ فالشعب الإيراني والحكومة الإسلامية وعلى امتداد عشرين عاماً من الثبات والتقدم ، ورغم إرادة وأنف أميركا ، قد أثبتوا أنه لا أميركا ولا أية قوة كبرى أخرى ولا حتى كافة القوى العظمى مجتمعة ستستطيع أن ترتكب حماقة في مواجهة شعب متيقظ وباسل يعرف حقه ويدافع عنه .

إننا نقول بأن الإدارة الأميركية التي تعترف الآن بأنها ساندت الدكتاتورية على مدى خمسة وعشرين عاماً مازالت تساند تلك الدكتاتورية أيضاً ، ولكنها مساندة إعلامية ومؤذية ! لقد ذهب أولئك إلى الجحيم ولم يعودوا بيننا اليوم ، إلا أن أذناهم وأذيالهم يعيشون تحت مظلة الحماية الأميركية وهم يتمتعون بدعم الإدارة الأميركية حيثما كانوا ، حتى لو كانوا هنا أو هناك في بلادنا .

فهذه الوزيرة الأميركية تطري وتشيد كاذبة بنظام الشاه في حديثها حتى الآن ، وتقول بأنه كان دكتاتورياً وسيئاً إلا أنه جعل الاقتصاد

الإيراني مزدهراً!

إن هذه أكبر كذبة تبعث على الضحك يتفوّده بها وزير خارجية في الظروف الراهنة! فهل أولئك هم الذين جعلوا الاقتصاد الإيراني مزدهراً؟ فليعلم الشباب بصفة خاصّة - لأن الكبار لمسوا حقائق تلك الفترة عن قرب - أن النظام البهلوي ارتكب خيانة عظيمة لا بحق الاقتصاد الإيراني فحسب، بل وحتى في حقّ الأسس والقواعد الاقتصادية، وهو ما ظل أثره باقياً على مدى سنوات فيما بعد!

لقد حوّل إيران إلى مخازن للصادرات الغربية الرخيصة والتافهة، وجعلها سوقاً رائجة للبضائع الوفيرة وعديمة الفائدة، مع ارتفاع أسعارها. كما قضى على الثروة الزراعية لهذا البلد الذي كان قد بلغ يوماً مرحلة الاكتفاء الذاتي، ورغم مرور السنوات فإنّ زراعتنا لم تعد حتى الآن إلى ما كانت عليه في حالتها الأولى، وذلك لأن تيار الهجرة الذي تدافع على المدن بتشجيع منهم لم يكن بالأمر الذي يمكن إيقافه بسهولة ويسر؛ وبذلك جعلوا الشعب يعتمد على الأجنبي في زراعته.

لقد كانت إيران في الحقبة الغابرة تستورد القمح من أميركا بينما كان الاتحاد السوفيتي يقوم ببناء مخازن الغلال! أي التبعية للأجانب من حيث المحصول ومن حيث تخزينه.

كما أنهم خرّبوا القرى يومذاك وأوقفوا تقدم صناعتنا الوطنية، في الوقت الذي كان قد حان فيه أو أن تطورها، أي أن ما كان ينبغي من تطور للصناعة لم يتحقق، وذلك حتى يظل الباب مفتوحاً أمام الواردات.

لقد قضوا على الصناعات الوطنية الناشطة، ولم يبقوا إلا على ما كان مرتبطاً بالخارج بقدر المنتجات وربما أكثر.

ثم إنهم أوقفوا المسيرة العلمية، فمع كل هذه الدعايات التي أثاروها

حول الجامعات والطلبة لم تحظَ جامعات البلاد إلا بالقليل من النشاطات العلمية على المستوى العلمي ، فكانوا يقيمون ذوي العقول النيرة والكفاءات العالية الذين يريدون العمل داخل البلاد ، أو يضطرونهم إلى العمل في الخارج .

لقد فرضوا سيطرة الشركات الأجنبية على أغلب المصادر الاقتصادية للبلاد وبددوا الفائضات النفطية بلا مقابل .

وفي الواقع فإنَّ أسعار النفط ما زالت منخفضة حتى في الوقت الحاضر ، ولا تحصل الدول المصدرة للنفط إلا على نحو عُشر ما ينبغي لها الحصول عليه .

وإنني أعلمكم الآن بأنَّ ما تحصل عليه الدول المستوردة للنفط من ماليات وضرائب يفوق ما تحصل عليه الدول المصدرة للنفط من مبيعاتها النفطية من أرباح ، وما زال الأمر على هذا المنوال ، سوى أنَّه لا يمكن مقارنة اليوم بالأمس .

إن قيمة البرميل الواحد من النفط كانت حتى أوائل الخمسينات وعلى مدى أعوام طويلة أقل من دولار واحد ؛ ومن أجل أن يستطيع الأوروبيون والأميريكيون تسويق بضائعهم بأسعار عالية فإنهم عمدوا إلى رفع أسعار النفط إلى ثمانية أو تسعة دولارات للبرميل الواحد ، حتى يتمكن هؤلاء من شراء تلك البضائع حيث لم تكن لديهم القدرة الشرائية المطلوبة ، وهكذا كان .

لقد كانت الأموال الطائلة تودع في حساب الأميركيين في عصر تسلط الشاه على إيران حتى يستورد بها قطع غيار الطائرات وكافة المتطلبات الأخرى بالسعر الذي تريده أميركا ، ولم يكن ثمة مجال أصلاً للتصنيع .

إن الاقتصاد الإيراني في ذلك الزمن كان أسوأ اقتصاد بالنسبة للشعب الإيراني ، ولكنه كان على العكس من ذلك للناهبين . ثم تأتي تلك الوزيرة اليوم ، وبعد مرور الأعوام الطوال ، ومع كل أبحاث أحصائي الاقتصاد الذين يعلمون كم من الولايات جرّها نظام الشاه على الاقتصاد الإيراني ، لتقول بأن ذلك النظام عمل على ازدهار الاقتصاد الإيراني ! فما الذي حدا بها لتصرّح بذلك الآن ؟! حتى يتصور الشباب الإيراني الذي قد يعاني من بعض الظروف الاقتصادية اليوم أن الوضع الاقتصادي كان جيداً في عهد النظام السابق ! فسيادة تلك الوزيرة تطلق هذا التصريح الشيطاني هكذا بكلّ بساطة لتوحي إلى الأذهان بأن الاقتصاد الإيراني كان منتعشاً في السابق .

إن تلك الفترة كانت أسوأ فترة بالنسبة للطبقات المحرومة ، وكانت أقسى فترة من حيث سلب ونهب الأجانب للمصادر الطبيعية في إيران - وخصوصاً على يد أميركا - ولكن تلك السيدة السياسية جاءت الآن لتقول بأن الاقتصاد الإيراني كان مزدهراً !

شعبنا ينظر إلى أميركا بعين العداء :

إن هؤلاء الأعداء الأجانب لا يهدفون بذلك إلّا إلى زعزعة الأمن وبثّ الخلافات ، وإشاعة الرّيب والشكوك ، فإذا كان الشعب الإيراني والمسؤولون ينظرون بعين العداء لأميركا اليوم ؛ فإنّ هذا لا يأتي من فراغ . لقد قالوا تعالوا بنا لنزيل حواجز انعدام الثقة ، فهذا ما قالته تلك المسؤولة هناك .

وهنا هبّ بعض حملة الأقلام عندنا - والذين من الممكن أن يكون بعضهم على ارتباط بتلك المراكز - فتلقّفوا هذا الهراء وقاموا فوراً

بمتابعة تلك القضية .

إن الموضوع ليس موضوع ثقة وعدم ثقة ، وإنما الموضوع هو أن الشعب الإيراني عندما ينظر إلى ماضيه مع الحكومة الأميركية حتى بداية الثورة ؛ يجده مشحوناً بالعداء الذي تكته له تلك الحكومة ، وهكذا بنار العداء للشعب الإيراني ومصالحه الوطنية وحكومته التي يحبها .

إنهم مازالوا ينكرون بعض هذا العداء حتى اليوم ، سوى أنهم يعترفون بالبعض الآخر لقد اعترفوا بمساندة صدام ، وسيعترفون في المستقبل القريب بالتأكيد بالطريقة التي وضعوا بها القنابل الكيميائية في حوزة الحكومة العراقية ، وكلّ ما لدينا من جرحى الحرب الكيميائية ومن المعوقين مردّه إلى ذلك الأمر ، وهكذا ما لحق بنا من أضرار . فالشعب الإيراني ينظر إليهم من خلال كلّ هذه الممارسات ، حيث ما زالت وسائلهم الإعلامية تثبّت دعاياتها ضدّ إيران حتى اليوم ، كما أنّهم حشّدوا طاقاتهم السياسية ضدّ إيران ، وخصّصوا جزءاً من الميزانية للعداء الأمني وهو ضدّ إيران ، وها هم يبذلون شتّى مساعيهم في السياسة الخارجية دائماً ضدّ إيران ؛ فحيثما نظر الشعب الإيراني ؛ وجد عدوّاً يترصّده هناك .

ولهذا فإنّ شعبنا لا ينظر إلى الحكومة الأميركية من زاوية الثقة أو عدم الثقة ، بل ينظر إليها بعين العداء .

إنّ ما يدعون إليه من المحادثات مع إيران ليس هو الآخر سوى تمهيد لتكريس العداء ضدّنا ، فهذه خدعة ثانية . ولا ينبغي للبعض القول : فلنذهب للتباحث مع أميركا لإزالة هذا العداء . كلاً ، فالعداء الأميركي لا يزول بالتباحث .

إن أميركا تبحث عن مصالحها في إيران ، ولو كانت لهم هنا حكومة



عميلة كحكومة الشاه ، لوجهوا ضربة أخرى للشعب الإيراني على غرار سابقتها . فإذا كانت الحكومة هنا مستقلة ؛ فإنهم يمارسون العداء كما هو شأنهم الآن .

إننا لو قمنا بالمقارنة لوجدنا أن الضرر الذي تلحقه بنا أميركا - ونحن مستقلون - أقل كثيراً من ذلك الضرر الذي سُمِنَى به جراء الاستسلام للغطرسة الأميركية .

وبهذه النتيجة فإن الشعب الإيراني سيقف بعزته وشجاعته وتضحياته في مواجهة الخدع والمؤامرات ، وفي مواجهة محاولات زعزعة الأمن بالممارسات العدائية ، متكئاً على قوته الذاتية ، واثقاً بأنه سيستطيع أن يجعل كافة أعدائه يندمون على عدائهم له ، وذلك كما حدث مع بعض أعداء الأمس ، الذين ما لبثوا أن طبعوا علاقاتهم معه ، وإن أميركا لن تشذ عن هذه القاعدة .

اللهم إنا نسألك وندعوك بحق محمد وآل محمد أن تمنّ على هذا الشعب بالوصول إلى أهدافه الكبرى التي رسمها لنفسه ، وأن تتفضل عليه بالتوفيق والنصر .

اللهم واهلك أعداء هذا الشعب وأنزل بلاءك على كلّ من يتآمر عليه ويتربص به الدوائر .. واجعل دفاعه المستميت عن كرامته واستقلاله ودينه وهويته جهاداً يقربه إليه .

اللهم واحفظ شبابنا ، وأنير قلوبهم بنورك ، وعجل برفع مصائب شعبنا ، وكن عوناً لمسؤوليه ، واقهر بغضبك الخائنين له ، وأرض عنا قلب وليّ العصر أرواحنا فداء ، وارحم إمامنا وأدخل على روحه الطاهرة الفرح والسرور ، واغفر لشهادتنا الأبرار وأرضهم عنا .

إنك سميع الدعاء

# نظرية الإمامة الإمامة في أهل البيت

السيد محمد باقر المقيم

قد يطرح سؤال :

وهو أنه إذا سلمنا بضرورة استمرار خط الإمامة بعد الرسالة الخاتمة ، فلماذا كان خط الإمامة مستمراً في خصوص أهل البيت ، وهذه الأسرة الشريفة الطيبة ، هل أن القضية مجرد قضية تشريف وتكريم لرسول الله ﷺ ، فجعلت الإمامة في أهله وأسرته ، أو أن هناك شيئاً أهم وأعظم وأوسع من ذلك بالنسبة لاستمرار الإمامة في أهل البيت ؟

كان يمكن أن يفترض نظرياً أن يكون الأئمة المعصومون في أسرة ، ووسط آخر غير هذا البيت الشريف ، كما عرفنا في التاريخ الإنساني والرسالي وجود أسر وجماعات أخرى كان فيها أئمة معصومون ، كما

هو الحال في إسحاق وإسماعيل من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وكما في الأنبياء من ذرية يعقوب الذي يسمى في القرآن الكريم بإسرائيل ، فإن هؤلاء كانوا يتصفون بالعصمة - أيضاً - وكان بعضهم له دور الإمامة في حركته الرسالية ، ومن ثم فلماذا كان اختصاص الإمامة في خصوص أهل البيت عليهم السلام ، فهل أن القضية - كما أشرنا - هي قضية تكريم وتشريف لرسول صلى الله عليه وآله باعتباره الرسول الخاتم ، فأراد الله تعالى أن يكرّمه ويشرفه بذلك ، ويجعل ذلك نعمة منه سبحانه وتعالى على هذا العبد الصالح الذي أفنى كل وجوده في سبيل الإسلام وفي سبيل الله وفي سبيل تكامل مسيرة الإنسان ، أو أن تكون القضية تعويضاً إلهياً عن الجهود التي بذلها في سبيل الله والحق والعدل والإنسانية ، كما قد يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...﴾ <sup>(١)</sup> ، فيكون أجراً له على ذلك ، وإنما اختص هذا الأجر به دون بقية الأنبياء الذين أكد القرآن على أنهم لا يبغيون أجراً على رسالتهم إلا الإيمان بالله تعالى ، لأن النبي صلى الله عليه وآله قد بذل جهداً لم يبذل مثله أحد من الأنبياء ، وقد تحمل من الآلام والمحن ما لم يتحملة أحد قبله ولا بعده ... أو أن هناك شيئاً آخر غير موضوع التكريم والتشريف ؟

هنا يمكن أن نشير بهذا الصدد إلى عدة نقاط - أيضاً - مع قطع النظر عن الروايات التي وردت في هذا الموضوع والاستدلال على إمامة أهل البيت عليهم السلام من خلال النصوص الشريفة التي دلت على إمامتهم <sup>(٢)</sup> .

(١) الشورى : ٢٢ .

(٢) هذا البحث له محله الخاص ، وهو بحث كلامي عقائدي له أساليبه وأدلته وبراهينه الخاصة به - أيضاً - نتناوله في محله ، وإنما نريد في هذا البحث أن نفسر هذه الظاهرة ، ظاهرة تعيين الإمامة

## التكريم والتشريف :

النقطة الأولى : هي قضية التكريم والتشريف التي أشرنا إليها في طرح السؤال ، حيث نلاحظ من خلال القرآن الكريم ومسيرة التاريخ الرسالي لكل الرسالات الإلهية أن الله تعالى شاء بلطفه وكرمه وفضله على أنبيائه بأن يجعل من ذرياتهم أئمة ، وهداة يقومون بهذا الواجب الإلهي ، تكريماً لهم ونعمة منه تعالى عليهم ، وكان هذا التكريم في الوقت نفسه رغبة وأمنية من أمنيات الأنبياء أنفسهم ، تعبّر عن حالة فطرية في الإنسان الكامل ، هي الاتجاه والرغبة إلى البقاء والاستمرار من خلال ذريته ، وقد أكد هذه الحقيقة الفطرية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في عدة مواضع (١) .

إذن فهذه القضية هي قضية ترتبط بكل الجانبيين ، الجانب الإلهي الخالق المنعم الكريم الجواد المتفضل على أنبيائه ، المجيب لدعائهم وندائهم ، وبالجانب الإنساني العبودي ، المتمثل بهؤلاء الأنبياء الذين أخلصوا لله تعالى في العبودية - أيضاً - فإنه من جملة إخلاصهم وإحساسهم بالعلاقة الأكيدة مع الله تعالى ، إنهم كانوا يتمنون على الله ويرجون منه ويدعونه في أن يجعل من ذرياتهم أئمة وهداة ، يضمن لهم البقاء والاستمرار في عبوديتهم لله تعالى ، ودورهم ومهتهم في الحياة الإنسانية .

فهذا إبراهيم عليه السلام - وهو شيخ الأنبياء - ، عندما خاطبه الله تعالى وابتلاه بكلمات من عنده ؛ فجعله إماماً للناس ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ

→ وتشخيصها في خصوص أهل البيت (ع) تفسيراً ينسجم مع الأطر العامة التي جاء بها الإسلام ، وأكدها القرآن الكريم ، وترتبط - أيضاً - بمسيرة الإنسان وتكامله .

(١) هذا بحث قرآني واجتماعي مهم يرتبط بدراسة علاقة الإنسان بذريته ، وشعوره بالبقاء والخلود من خلالها .

قال إنى جاعلك للناس إماماً... ﴿١﴾ ، كان أول شيء يطرحه على الله تعالى ويرجوه منه ؛ عندما يحمل الله تعالى هذه المسؤولية ، هو أن تكون هذه الإمامة في ذريته - أيضاً - ﴿٢﴾ ...قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴿٣﴾ .

وكذلك الحال في إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يقيمان دعائم البيت ﴿٤﴾ وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴿٥﴾ ، هؤلاء في البداية يطلبون القبول من الله تعالى لهذا العمل العظيم، ثم يدعوانه تعالى أن يكونا مع ذريتهما من المسلمين المهتدين المنيبين إليه المقبولين لديه ، ﴿٦﴾ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴿٧﴾ .

ثم لا يكتفون بأن تكون هذه الذرية ذرية مسلمة مهتدية مقبولة ، بل تترقى هذه الدعوة بأه يطلبوا أن تكون هذه الذرية ذرية تتحمل مسؤولية النبوة والرسالة - أيضاً - ﴿٨﴾ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴿٩﴾ .

ولذلك كان رسول الله ﷺ يفتخر ويقول : «أنا دعوة أبي إبراهيم ﷺ» ﴿١٠﴾ ، يعني كان يرى نفسه في تحمله لهذه الرسالة ، أن ذلك كان استجابة لدعوة إبراهيم ﷺ عندما كان يرفع القواعد من البيت .

### الإمامة في الذرية سنة :

النقطة الثانية : إننا نلاحظ في دراستنا لتاريخ الأنبياء والمرسلين ، أن هذا التكريم قد تحول إلى سنة من السنن الواضحة في التاريخ الرسالي ، وذلك عندما نرجع إلى القرآن الكريم ومفاهيمه وآياته وتصوره لحركة

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) البقرة : ١٢٧ - ١٢٩ .

(٣) البحار ١٢ : ٩٢ ، حديث ١ .

الرسالات الإلهية والأنبياء ، ومن ذلك ما نقرؤه في قوله تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ﴾ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴾ وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين ﴾ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبييناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ﴾<sup>(١)</sup> ، فعندها نجد أن القرآن الكريم يتحدث عن إبراهيم ﷺ وكيف جعل الله تعالى في ذريته النبوة ، ويذكر مجموعة من أسماء الأنبياء من ذريته بدون ترتيب زمني ، ثم يشير إلى أمرين يمكن أن نفهم منهما هذه السنة التاريخية :

أولهما : الانتقال بالإشارة إلى نوح ﷺ ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾ ليربط هذا التاريخ بما قبل إبراهيم ﷺ .

ثانيهما : تعميم النعمة على الآباء والذريات والإخوان ، مما يفهم منه القانون العام ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ﴾ ليربط هذا التاريخ بما قبل إبراهيم ﷺ .

ثالثهما : تعميم النعمة على الآباء والذريات والأخوان ، مما يفهم منه القانون العام ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ﴾ .

وهكذا ما ورد في سورة مريم ، عندما تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من الأنبياء : إبراهيم وبعض ذريته وإدريس قبل إبراهيم ثم يختم الحديث بالقانون العام ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبيينا إذا تلقى

(١) الأنعام : ٨٢ - ٨٧ .

عليهم أيت الرحمن خروا سجداً وبكياً<sup>(١)</sup>.

والشيء نفسه - أيضاً - يذكره القرآن الكريم في سورة الحديد ، ولكن على نحو الإشارة ، وذلك عندما يتحدث عن نوح وإبراهيم عليهما السلام ، حيث جعل في ذريتهما النبوة ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب فمنهم متهتد وكثير منهم فاسقون ﴾<sup>(٢)</sup> . وموارد أخرى لا يسع المجال لتفصيلها .

إذن فهذه من السنن التي كانت تحكم مسيرة الرسالات الإلهية ، فلا نرى غرابة في أن هذه السنة تجري - أيضاً - في هذه الرسالة الخاتمة ، بل هي امتداد لسنة إلهية ، شاء الله أن يجعلها حاكمة على مسيرة الأنبياء والمرسلين منذ بداية الرسالات الإلهية وإلى نهايتها .

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الإمامة بدأت من نوح عليه السلام - كما يذهب إلى ذلك العلامة الطباطبائي وشهيدنا الصدر «قدس سرهما» - فقد نرى أن التأكيد في القرآن الكريم على نوح وإبراهيم عليهما السلام ، وجعل النبوة في ذريتهما ، إنما هو إشارة إلى قضية الإمامة واستمرارها في ذرية هذين النبيين ، ولا سيما أن النبي صلى الله عليه وآله هو - أيضاً - من ذرية إبراهيم عليه السلام ، حيث أنه ينتمي إلى إسماعيل عليه السلام ، وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ونبينا هو دعوة إبراهيم عليه السلام ، وبذلك تصبح القضية مرتبطة تماماً بهذه السلسلة المباركة للأنبياء من ناحية ، وهذه السنة التي كتبها الله تعالى في الرسالات الإلهية ، وهي سنة التكريم والتشريف لهم ، والنعمة الإلهية عليهم .

### حكمه الإمامة في الذرية :

النقطة الثالثة: وهي أن قضية التشخيص في أهل البيت عليهم السلام ، ليست

(١) مريم : ٥٨ .

(٢) الآية : ٢٦ .

مجرد عملية تكريم وتشريف وفضل ونعمة أنعم بها الله تعالى على أنبيائه ، بل أن وراء ذلك أموراً أخرى ، يمكن أن نلاحظها عندما نريد أن ندرس هذه الظاهرة ، وهي أمور ذات أبعاد: غيبية ، وتاريخية ، ورسالية ، وإنسانية . وهذه الأبعاد التي يمكن أن نلاحظها من خلال دراستنا للقرآن الكريم ومراجعتنا ومطالعتنا للرسالة الإسلامية قد تفسر النقطتين السابقتين ، ببيان الحكمة في هذا التكريم الإلهي ، وهذا الاتجاه الفطري في الإنسان الذي تحوّل إلى سنّة في مسيرة الأنبياء ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### البعد الغيبي :

أما ما يتعلق بموضوع البعد الغيبي ، فهنا نلاحظ أن الله تعالى خلق الإنسان بصورة وحقيقة ميّزه فيها على بقية المخلوقات ، وجاء التعبير عن ذلك بالنفخ فيه من روح الله ، قال تعالى : ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ <sup>(١)</sup> ، فالإنسان ليس موجوداً مادياً متمحضاً في الجانب المادي فقط ، وإنما فيه عنصر غيبي ، وهذا العنصر الغيبي امتياز ، شاء الله تعالى أن يتعامل معه - أيضاً - من خلال الغيب ، بمعنى أن هناك الكثير من الأسرار في حركة الإنسان وحركة التاريخ الإنساني ترتبط بالغيب ، ولم يشأ الله تعالى أن يكشف هذه الأسرار للإنسان في هذا العالم ، ولكن قد يكون لهذه الأسرار أثر في تكامل حركة الإنسان في حياته الدنيوية التي لها ارتباط - أيضاً - بالغيب في هذا العالم المشهود ، وكذلك التكامل في حياته الأخروية ، لأن الحياة المادية الدنيوية لهذا الإنسان هي حياة محدودة ، والحياة الحقيقية - كما يعبر القرآن الكريم - إنما هي الحياة الآخرة ، ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو



ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون<sup>(١)</sup> ، وهي الحياة الممتدة الطويلة الأبدية الخالدة ، وهذه الحياة الحقيقية هي حياة غيبية .

فهناك الكثير من الأسرار ذات العلاقة بالإنسان ، وحياة هذا الإنسان لم تكشف لهذا الإنسان ، ولها تأثير في حياته في العالم الآخرة ، بل ومن خلال حركة الإنسان - أيضاً - في هذه الدنيا .

وهذا الأمر لابد أن نؤكد عليه دائماً في تفسير الكثير من الظواهر الإنسانية ، فإنه لا يمكن أن نفسر الظواهر الإنسانية بالتفسيرات المادية فقط ، لوجود الجانب الغيبي في الإنسان ، ومن ثم فلا بد أن نفترض وجود جانب من التفسير يرتبط بهذا الغيب .

وهذا الأمر ليس مجرد فرضية واحتمال عقلي ، وإنما يمكن أن نجد له شواهد من القرآن الكريم - أيضاً - فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجانب الغيبي في الإنسان وحركته التكاملية - كما ذكرنا - ومن ثم فيمكن أن نفترض في أهل البيت عليهم السلام - كما ورد في النصوص والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام - وجود أسرار غيبية ترتبط بجعل الإمامة بأهل البيت عليهم السلام ، لها تأثير في حركة الإنسان وتكامل هذه الحركة .

أما الشواهد القرآنية التي نتحدث عن ارتباط الحركة التكاملية للإنسان بالغيب ، فهو ما نلاحظه في مجموعة من المؤشرات :

الأول : ما ذكرناه من أن الله تعالى خص الإنسان من دون جميع الكائنات بهذا الوصف الخاص وهو أنه نفخ فيه من روحه .

إذن ، فهذا الإنسان موجود ومخلوق يختلف عن بقية الكائنات التي لم توصف بمثل هذا الوصف ، وترتبط بالله تعالى هذا الربط في جانب الخلقة .

(١) العنكبوت : ٦٤ .

الثاني : ما يشير إليه القرآن الكريم في مجال خلق الإنسان من أن الله تعالى عندما خلق الإنسان ، أخذ عليه عهداً ومواثيق في عالم الغيب ، وليس في عالم الشهود والعالم المادي ، كما يبدو ذلك من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) ، يعني أن الله تعالى انتزع من ظهور هؤلاء الناس ذريات ، ثم بعد ذلك أشهدهم على حقيقة من الحقائق الرئيسية في الكون والحياة وهي (الربوبية) .

وهذه الشهادة ، لا ندركها الآن كأفراد نعيش الحالة المادية ، فلا ندرك ونتذكر هذا الجانب من الشهادة والعهد والميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على بني آدم في ذرياتهم ، وشهدوا واعترفوا بذلك ، وأنه سوف يحاسبهم الله تعالى في يوم القيامة - أيضاً - على هذه الشهادة ، لئلا يقول الإنسان في يوم القيامة إني كنت غافلاً عن ذلك ، فتكون الحجة لله .

نحن الآن لا ندرك ذلك بصورة مشهودة ، فهو أمر غيبي في خلق الإنسان ، نعم قد ندرك بفطرتنا وبوجداننا هذه الحقيقة المعبرة عن هذا الجانب الغيبي ، وهذا الاعتراف بالحقيقة الإلهية ، عندما تكون الفطرة سليمة . ولكن هذا المشهد الذي يشير إليه القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة لا نحس به في حالتنا المادية - وإن كنا ندرك الحقيقة في وجداننا وفطرتنا ، من خلال إيماننا بالله تعالى والاعتراف بالربوبية له تعالى - وإنما هو مشهد غيبي يتحدث عنه القرآن الكريم في أصل خلق الإنسان ، ومن ثم فهناك عنصر غيبي يتحكم في هذا الجانب .

الثالث : والذي يمكن أن نستنبطه من القرآن الكريم - أيضاً - هو حديث

القرآن الكريم الواسع والكثير ، الذي يمتد في عدد كبير من الآيات والمناسبات والآفاق حول (الاصطفاء) و(الاجتباء) في حركة التاريخ .

القرآن الكريم في آيات كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم<sup>(١)</sup> ، يتحدث عن ظاهرة الاصطفاء كظاهرة غيبية ، وقضية من القضايا الإلهية الغيبية سارية - أيضاً - في حركة التاريخ ، اصطفى الله تعالى آدم اصطفاءً خاصاً ، واصطفى نوحاً ، ثم إبراهيم وآل إبراهيم ، ثم اصطفى عمران وآل عمران ، وكذلك أكد القرآن الكريم أن هذا الاصطفاء ليس أمراً واقفاً على هذه الأسماء وهذه الجماعات ، وإنما هي قضية ذات امتداد في الذرية ، ذرية بعضها من بعض ، يعني حركة تاريخية تتحرك في التاريخ الإنساني ، يمكن أن نسميها حركة الاصطفاء ، وكذلك قد تكون حركة في الأسرة أو في الجماعة والأمة .

إذن ، فلماذا لا يمكن أن نفترض وجود هذه الحركة وهذا العامل الغيبي في اصطفاء الله تعالى لآل محمد ﷺ ؟ وهو - أيضاً - ما يشير إليه القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> ، ويتم تأكيد ذلك - أيضاً - في آية المباهلة وغيرها .

إذن فيمكن أن يكون هذا سرّاً من الأسرار الإلهية الغيبية ، التي لها دلالات معروفة - كما سوف نشير إلى بعضها - ولكن لها - أيضاً - دلالات وآثار في حركة التاريخ ، وتكامل الإنسان الدنيوي لا نعرفها في فهمنا المادي المحدود لحركة التاريخ ، ويكون لها - أيضاً - أبعاد في مستقبل حياة الإنسان الأخروية .

(١) آل عمران : ٣٣ - ٣٤ ، وهناك آيات عديدة ، يمكن أن يجدها الباحث في مادة الاصطفاء والاجتباء وغيرها ، في المعجم المفهرس .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

### البعد التاريخي :

البعد الثاني : البعد التاريخي ، وقد أشار الشهيد الصدر رحمته الله - في ما كتبه حول خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء - إلى هذا البعد التاريخي ، إذ يذكر أننا نلاحظ في تاريخ الأنبياء والرسالات الإلهية أن الله تعالى اختار الأوصياء والقادة - كما يعبر الشهيد الصدر رحمته الله - من أولئك الأقربين للأنبياء من أقاربهم أو ذرياتهم ، وهذا نص كلامه : (في تاريخ العمل الرباني على الأرض نلاحظ أن الوصاية كانت تعطى غالباً لأشخاص يرتبطون بالرسول القائد ارتباطاً نسبياً أو لذريته<sup>(١)</sup> .

وهذه الظاهرة لم تتفق في أوصياء النبي محمد صلى الله عليه وآله فحسب ، وإنما هي ظاهرة تاريخية اتفقت في أوصياء عدد كبير من الرسل . ويشير الشهيد الصدر رحمته الله كشاهد على هذه الحقيقة إلى الآيات القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ... ﴾<sup>(٢)</sup> ، وكذلك قوله تعالى ، في الآيات السابقة ٨٣ - ٨٧ من سورة الأنعام .

إذن ، فهذه الظاهرة تاريخية ، ومن ثم فقد طبقت - أيضاً - على رسالة النبي صلى الله عليه وآله ، باعتبار أن الرسالة الخاتمة وإن كانت هي رسالة كاملة ، وبكمالها تتميز على الرسائل السابقة ، ولكن هذه الرسالة الخاتمة هي في الحقيقة امتداد لتلك الرسائل الإلهية ، والنبي صلى الله عليه وآله جاء من أجل أن يصدّق تلك الرسائل ، ثم يهيمن عليها ، وقد ورد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ما يؤكد ذلك ، وأن ما تشهده هذه الرسالة الخاتمة يتطابق تماماً مع ما شهدته الرسائل السابقة ، حتى جاء التعبير في

(١) الإسلام يقود الحياة . خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء : ١٦٦ ، كما في لوط عليه السلام الذي كان يرتبط بإبراهيم ، أو في يوشع الذي كان يرتبط بموسى ، أو يرتبطون به وبذريته ، وكما هو الحال في إسحاق وإسماعيل ويعقوب وذرية يعقوب التي أشرنا إليها .

(٢) الحديد : ٢٦ .

مقام التطبيق الكامل قوله ﷺ : «لتركن سنّة من كانت قبلكم حذو النعل بالنعل...» (١).

إذن ، فإذا كانت هذه الظاهرة هي ظاهرة تاريخية في الرسائل الإلهية ، وهو أن تكون الوصاية في أقرباء النبي القائد ؛ فلماذا تختلف الرسالة الإسلامية - بعد فرض ضرورة الإمامة واستمرارها - عن هذه الظاهرة التاريخية التي هي موجودة في كل الرسائل الإلهية ؟  
ولكن هذه الظاهرة التاريخية تحتاج إلى تفسير تاريخي ، ولعل ذلك - والله العالم - لأحد أمرين :

#### الجذر التاريخي ودوره :

الأمر الأول : إن الوصي والإمام عندما يكون له هذا الجذر التاريخي والارتباط النسبي بالرسالة ؛ يكون إحساسه بالانتماء إليها وشعوره بالمسؤولية تجاهها ، متجذراً بدرجة عالية جداً ، وذلك حينما يرى في نفسه فرعاً من شجرة طيبة أصيلة ، تمتد في جذورها الرسالية عبر القرون في التاريخ الرسالي والإنساني ، وتمدّ بالعزم والإرادة والصبر والصمود والقدرة على تحمل المحن والآلام والشدائد ؛ والانتصارات والتقدم والبركة الإلهية التي شهدتها هذه الشجرة الطيبة في تاريخها .  
ويؤكد هذا التفسير عدة مؤشرات ، يمكن أن نلاحظها في القرآن الكريم :

الأول : تأكيد القرآن الكريم على الجذر التاريخي للرسالة الإسلامية ،

(١) البحار ٢٨ : ٨ ، حديث ١١ ، عن تفسير القمي ، وجاء هذا الحديث في كتب الفريقين ، إما بلفظه أو بمضمونه ، مثل مجمع البيان ٥ : ٤٩ ، وكمال الدين : ٤٧٦ ، طبعة مكتبة الصدوق ، وصحيح البخاري : باب ٥٠ من كتاب الأنبياء ، وصحيح مسلم الحديث ٦ من كتاب العلم ، سنن ابن ماجه ١٧ ، من كتاب الفتن ... الخ .

مع أن الرسالة الإسلامية هي أفضل الرسالات الإلهية ، وهي الرسالة المهمة عليها - كما ذكرنا - وهي الرسالة الخاتمة ، ورسولها أفضل الأنبياء على الإطلاق ، ومع ذلك كله كان القرآن الكريم يؤكد على هذا الجذر التاريخي والانتماء للأنبياء السابقين ، ولا سيما إبراهيم عليه السلام الذي ينسب إليه القرآن الكريم الإسلام في مواضع عديدة ، منها قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ \* أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

بل أن إبراهيم عليه السلام هو الذي سمى الأمة الخاتمة بهذا الاسم منذ البداية ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٢) .

الثاني : ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) ، فقد ذكرنا سابقاً أن وجود رسول الله كان بدعوة من إبراهيم عليه السلام ، وقد كان رسول الله ﷺ يفتخر بأنه كان دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام .

الثالث : ذكر القرآن لقصص الأنبياء وتأكيده أن أحد الأهداف لذلك هو تثبيت النبي ، وطلب الصبر والثبات منه تأسيساً بالأنبياء السابقين ﴿ فاصبر ﴾

(١) البقرة : ١٣١ - ١٣٣ .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) البقرة : ١٢٩ .

كما صبر أولوا العزم من الرسل... ﴿١﴾ .

الأمر الثاني : أن سنة الله في التاريخ تكامل الرسالات الإلهية تدريجياً ، وهي تمرّ عبر الرسالات المتعددة التي يكمل بعضها بعضاً ، كذلك الحال في تكامل الرسل والأنبياء والمرسلين ، فإنها يمكن أن تكون سنة تمرّ عبر التكامل في الجذر التاريخي للحركة والاستمرار في الذرية وأهل البيت .

وهذه السنة هي سنة قائمة في كثير من مخلوقاته عزّوجل ، فالشجرة الطيبة القوية المثمرة هي الشجرة الضاربة الجذور في الأرض ، بخلاف الشجرة الخبيثة .

وكذلك الكلمة الطيبة التي هي كالشجرة الطيبة التي ضربها الله مثلاً لها ، فإنها هي التي تكون لها أصول وجذور .

قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء \* تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكرون ﴾ ، وهذا بخلاف الكلمة الخبيثة ، فهي كالشجرة الخبيثة ، قال تعالى : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ ﴿٢﴾ .

### البعد الرسالي :

البعد الثالث : البعد الرسالي ، وما يترتب على ذلك من تحقيق مصالح الرسالة وإعداد الأفراد لمهمّاتها ومسؤولياتها ، وتحمل أعبائها الثقيلة . فقد عرفنا في جواب السؤال الأول أن عمر الرسول - عادة - يكون

(١) الأحقاف : ٣٥ .

(٢) إبراهيم : ٢٤ - ٢٦ .

أقصر من عمر الرسالة وأعبائها ومهمّاتها، وهذا ما شاهدناه - أيضاً - في الرسالة الإسلامية، فقد كان عمر رسول الله ﷺ محدوداً بالنسبة إلى أعبائها ومهمّاتها، حيث توفي رسول الله بعد مضي ثلاث وعشرين سنة من البعثة الشريفة، وبالرغم من الجهود المضنية التي بذلها، والإنجازات العظيمة التي حقّقها في هذه المدة القصيرة، فقد بقيت أعباء الرسالة الإسلامية العالمية قائمة وموجودة إلى حد كبير في مجال التفهيم والتوضيح، وفي مجال التطبيق والتنفيذ، حيث لم تتجاوز المساحة التي انتشر فيها الإسلام الجزيرة العربية، من حيث الحركة والقدرة والسيطرة، وإن كان قد خاطب رسول الله بها الأقوام المجاورين للجزيرة، أو دخل في بعض المعارك العسكرية معهم.

بل كانت بعض الجيوب والمناطق في الجزيرة العربية نفسها لازالت غير مستكملة في التفاعل مع الرسالة الإسلامية، كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك في الحديث عمن يطلق عليهم اسم الأعراب، من أولئك الناس الذين كانوا يعيشون في البوادي ولم يتعلموا الإسلام أن يتخلّقوا بأخلاقه.

أو المؤلفة قلوبهم من ضعفاء الإيمان والاعتقاد من العرب الجاهليين الذين استسلموا للواقع السياسي والاجتماعي للهيمنة الإسلامية والنصر الإلهي، فأعلنوا دخولهم في الإسلام، وإن لم يبلغ الإيمان قلوبهم.

أو أولئك المنافقون الذين أظهروا الإسلام، ولكن أضمروا الكفر والعصيان والتمرد، ويشير القرآن الكريم إلى هذه النماذج في كثير من الموارد، ومنها في سورة التوبة والحجرات والمنافقين.

وأفضل شاهد على هذه الحقيقة السياسية والاجتماعية هو ما شاهد



المسلمون من حركة الارتداد بعد وفاة رسول الله مباشرة في بعض مناطق الجزيرة العربية ، أو مواقف بعض الأشخاص والجماعات السلبية من أهل بيته .

وإذا كان الوضع الثقافي والسياسي في الجزيرة العربية بهذه الصورة ؛ فكيف الحال في خارجها؟ ، ومع هذا الوضع لا يمكن أن نفترض بأن مهمّات الرسالة قد انتهت بنهاية عمر الرسول ﷺ ، وإكمال عملية البلاغ العام .

نعم يمكن أن نقول بأن رسول الله ﷺ قد أنهى مهمّة التبیین وإقامة الحجّة ، ومهمّة التأسيس وإقامة القواعد الاجتماعية ، ومهمّة إيجاد الجماعة الإنسانية التي يمكنها أن تتحمل هذه الأعباء بصورة عامة .

وعندئذٍ ، فلا بد من وجود الإمامة ، لتحمل هذه الأعباء الثقيلة الأخرى بعده . كما ذكرنا سابقاً . ولكن تحمل هذه الأعباء الثقيلة يحتاج إلى إعداد كامل ، يتناسب مع طبيعة وحجم هذه الأعباء الضخمة ، التي سوف يتحملها هؤلاء (الأئمة) بعد النبي ﷺ .

وهنا يمكن أن نقول بأن عملية الإعداد هذه التي يراد إنجازها من أجل تحمل هذه الأعباء ، إنما يمكن أن تتم في داخل البيت الرسالي بصورة أفضل وأكمل من إنجازها في خارج البيت الرسالي .

وهذا ما أشار إليه الشهيد الصدر رحمه الله في قوله : (فاختيار الوصي كان يتم عادة من بين الأفراد الذين انحدروا من صاحب الرسالة ، ولم يروا النور إلّا في كنفه وفي إطار تربيته ، وليس هذا من أجل القرابة بوصفها علاقة مادية تشكل أساساً للتوارث ؛ بل من أجل القرابة بوصفها تشكل عادة الإطار السليم لتربية الوصي وإعداده للقيام بدوره الرباني .

وأما إذا لم تحقق القرابة هذا الإطار ؛ فلا أثر لها في حساب السماء . قال

تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

فالذرية عادة تكون قابلة ومهيئة للإعداد الرسالي بصورة أفضل في حركة التاريخ الإنساني (٢) .

### الإعداد والواقع التاريخي :

وهذه الفكرة ، إذا أردنا أن ننظر إليها من خلال الواقع التاريخي الذي عاشته الرسالة الإسلامية ، نراها - أيضاً - فكرة متطابقة تماماً مع هذا الواقع التاريخي ، حيث نرى أن الوصي الذي كان هو الإمام علياً عليه السلام قد احتضنه رسول الله ﷺ وهو طفل صغير ، حيث تذكر بعض النصوص أن رسول الله ﷺ كان قد تكفله بالتربية قبل البعثة ، من خلال التخفيف من مسؤوليات الإنفاق - أو المسؤوليات الاقتصادية إذا صح التعبير - عن أبي طالب .

(١) البقرة : ١٢٤ ، الإسلام يقود الحياة / خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء : ١٦٧ .  
(٢) صحيح أنه قد نشاهد - أحياناً - في داخل البيت الرسالي أشخاصاً يشذون عن المسيرة وعن الارتباط بالرسالة ، كما يذكر القرآن الكريم بعض النماذج .  
ومن هذه النماذج ابن نوح عليه السلام ، عندما يذكره القرآن الكريم كنموذج لخروج ولد لرسول عن أهداف الرسالة ومسيرتها .

ونموذج آخر يذكره القرآن الكريم ، له يعد آخر من الخروج وهو أب إبراهيم - كما يعتبر عنه القرآن الكريم - الذي قد يكون هدف القرآن الكريم من التأكيد عليه هو تفسير موقف (أبي لهب) من النبي ﷺ باعتباره قريباً لرسول الله وعمه ، ومع ذلك خرج على هذه الرسالة ، وهو الشخص الوحيد الذي ذكره القرآن الكريم بالاسم من المشركين ، أو أراد به بعض أقرباء الرسول الذين كانوا بمستوى الأعمام في الحالة النسبية والارتباط برسول الله ﷺ .  
ونموذج ثالث يذكره القرآن الكريم هو زوج نوح ولوط ، كمثل لما يمكن أن نتفقه الزوجة من صاحب الرسالة ، فإنها وإن لم تكن من ذريته وبيته ؛ ولكنها عادة ما تكون تحت تأثير عمله .  
ولكن بصورة عامة وإجمالية يفترض بأن عملية الإعداد عندما يراد إنجازها بصورة كاملة ، تكون أسهل وأفضل وأكمل في دائرة البيت الرسالي من إنجازها في خارج دائرة البيت الرسالي .

وبدأ الرسول ﷺ في هذه المرحلة بتربية علي عليه السلام ، وبذلك - أيضاً - يجمع المسلمون - تقريباً - أن علياً عليه السلام كان أول من أسلم ، وأنه لم يعرف في حياته عبادة الأصنام ، أو عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر يجمع عليه المسلمون ، ولذلك عندما يذكر اسمه جمهور المسلمين ، يخصصونه بدعاء (كرم الله وجهه) ، وهم بذلك يشيرون إلى هذه الخصوصية لعلي عليه السلام ، وهذه الخصوصية إنما كانت - أيضاً - بحسب النظر إلى الظروف التاريخية ، ومن هذه الزاوية ، بسبب إعداد رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام .

طبعاً ، العنصر الغيبي ، في الاصطفاء والإعداد - كما ذكرنا - قائم في نفسه مع العناصر الأخرى ، ولكن من هذه الزاوية وهذا الجانب نرى - أيضاً - هذه الحقيقة قائمة .

مضافاً إلى ذلك ، ما تشير إليه النصوص التاريخية ، وتؤكد روايات بعض الأشخاص - حتى ممن لم يكن يميل إلى علي عليه السلام من الناحية الروحية والنفسية - من إعداد رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام علمياً ومعنوياً ، فيما كان يسارده في ليله ونهاره ، لأن علياً عليه السلام كان قريباً من رسول الله ﷺ ، بحيث كان يأخذ منه العلم والأخلاق في كل مناسبة ، بل في كل وقت .

والكلمة معروفة عن النبي ﷺ ، وعن علي عليه السلام بهذا الشأن ، أمّا عن النبي ، فهي عندما قال : «أنا مدينة العلم وعلي بابها»<sup>(١)</sup> ، وأمّا عن علي عليه السلام فهي

(١) البحار ٢٨ : ١٩٩ ، حديث ٦ ، وجاء في مستدرک الصحيحين ٢ : ١٢٦ ، عن ابن عباس ما لفظه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وكذلك جاء في كنز العمال ١١ : ٦٠٠ ، حديث ٣٢٨٩٠ ، و ٦١٤ ، حديث ٣٢٩٧٨ ، و ١٣ : ١٤٧ ، حديث ٣٦٤٦٣ .

عندما قال : «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»<sup>(١)</sup>.

هذه الحقيقة إذا أردنا أن ننظر إليها من الناحية التاريخية والمادية ؛ نراها كانت قائمة من خلال هذا الاقتراب في دائرة علي عليه السلام من النبي ﷺ ، حيث تربى في حضن رسول الله ﷺ وهو ابن عمه ، تزوج من ابنته ، فكان رسول الله ﷺ يدخل إلى بيت علي كما يدخل إلى بيته ، وعلي يدخل على رسول الله ﷺ كما يدخل إلى بيته .

هذه العلاقة كانت موجودة بدرجة عالية ، الأمر الذي أثار - أحياناً - غيرة بعض نساء النبي ﷺ أو حساسيتهن ، أو أي تعبير آخر يمكن أن نقوله أو نعبر عنه في هذا المقام بصورة مناسبة<sup>(٢)</sup>.

إذن ، فمن الناحية الواقعية والخارجية - أيضاً - نشاهد بأن التاريخ يؤكد على هذه العملية وهذه الفكرة والنظرية ، وكان لها واقع خارجي في الرسالة الإسلامية ، من خلال إعداد علي عليه السلام ، وقد تحدث علي عليه السلام شخصياً فيما روي عنه عن ذلك ، كما تحدث أئمة أهل البيت - أيضاً - عن ذلك ، وهو ما سوف نشير إليه - إن شاء الله - في بعض الأبحاث الآتية .

(١) البحار ٢٦ : ٢٩ - ٣٠ ، حديث ٢٦ ، ٢٧ ، و ٢٣ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، في تفسير الفخر الرازي الكبير ، في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ نُوحًا...﴾ ، (آل عمران : ٣٣) ، قال علي عليه السلام : علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم ، واستنبطت من كل باب ألف باب ، قال : فإذا كان حال المولى هكذا فكيف حال النبي ﷺ ؟ وكذلك جاء الحديث في كنز العمال ١٢ : ١١٤ ، حديث ٢٦٢٧٢ .

(٢) لهذه المقامات المقدسة والبيوت الطاهرة خصوصيات ، قد يعجز الإنسان عن اختيار الألفاظ المناسبة المؤدبة ، عندما يريد أن يتحدث عن بعض علاقاتها ، ولكن أي حال التاريخ يشهد في كثير من النصوص ، بأن هذا الاقتراب من علي عليه السلام ، وعناية رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام في هذا الجانب - جانب الإعداد والتعليم والتأهيل لتحمل هذه المسؤولية - كان يثير في كثير من الأحيان الحساسية أو الغيرة أو الانفعالات أو غير ذلك من الشؤون حتى في دائرة الأشخاص القريبة لرسول الله ﷺ .

## الإعداد والنظام العام :

ومن الطبيعي - أيضاً - أن نفترض - كما نفترض في عقائدنا - بأن هؤلاء الأئمة يمكن أن تتحقق لهم الإمامة دون هذا الإعداد ، لأن الله تعالى قادر على كل شيء ، ولا يمنعه من إلهام الأشخاص والأفراد بكل المعلومات دون ذلك الإعداد السابق ، هذا الشيء يمكن أن نفترضه ، وفيه الكثير من الحقيقة بالنسبة إلى الكثير من الأفراد الذين عرفهم التاريخ ، ولكن في الوقت نفسه يمكن أن نفترض أن النظام العام في الحركة الاجتماعية يراد لها أن تسير في الكثير من الموارد ، حسب النظام العام ، وليس من المفروض لها دائماً أن تكون خارجة عن النظام العام ، إلا بقدر الحاجة إلى هذا الاستثناء ، كما هو الحال في موارد المعجزة مثلاً ، وهذا يعني أنه مادام الإعداد ممكناً حسب النظام العام ؛ فسوف يتم كذلك ، ويكون الاستثناء عند الحاجة والضرورة ، فيتم الإعداد من خلال نظام آخر وهو النظام الغيبي .

إذن ، فالطريق الطبيعي للإعداد الأفضل والتأهيل الأكمل إنما يكون في دائرة البيت القريب .

ويمكن أن نرى هذا الشيء في معالم أخرى من التاريخ ، وفي مفردات وصور عديدة .

وهذه الظاهرة ، نراها قد تجسدت - أيضاً - في الأسر العلمية الشريفة في تاريخ جماعة أهل البيت (عليهم السلام) ، حيث قامت بأعمال شريفة في هذا التاريخ ، وتحملت مسؤوليات كبيرة في مختلف أدوار التاريخ .

فإننا عندما ننظر إلى تاريخ ما بعد الغيبة الصغرى ، بل حتى في تاريخ زمن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ؛ نلاحظ أن هناك ظاهرة كانت موجودة وقائمة في جماعة أهل البيت ، وهي ظاهرة وجود الأسر العلمية ، فمثلاً أسرة

زرارة بن أعين ، هذه الأسرة كانت تعرّف كأُسرة بحيث كان جميع رجالها ثقات ، أو أسرة بني فضّال هذه الأسرة كانت - أيضاً - تعرّف كأُسرة ، أو أسرة الأشعريين الذين أقاموا أسس العلم في مدينة قم المقدسة ، أمثال سعد الأشعري وأسرته ، وهكذا نلاحظ أسرة بني بابويه الذين كان لهم دور عظيم جداً كأُسرة ، حيث عندما نرجع إلى التاريخ نجد أن هؤلاء يمثلون عدداً كبيراً جداً من العلماء والفضلاء الذين كانوا يتحملون هذه المسؤوليات ، وهكذا يتسلسل هذا الأمر .

ولا أريد الآن أن أطيل الحديث في ذكر الشواهد ، ولكن عندما يرجع الإنسان إلى التاريخ ؛ يجد أن هذا الأمر كان من الأمور الواضحة جداً في جماعة أهل البيت عليهم السلام ، وفي علماء أهل البيت ، بحيث كانت هناك أسر علمية تتوارث هذا العلم جيلاً بعد جيل ، حتى أوصلت هذا العلم إلى هذا العصر ، وهذا التوارث إنما كان باعتبار هذه الخصوصية ، وهي أن عملية الإعداد والتربية والتأهيل في إطار البيت الواحد تكون أسهل مما تكون هذه القضية في خارج البيت الواحد<sup>(١)</sup> .

### البعد الاجتماعي :

البعد الرابع : البعد الاجتماعي ، وهو ما يترتب على الاختصاص بأهل البيت من مصالح اجتماعية ، في التأثير على حركة الأمة وهدايتها وارتباطها بالرسالة الإسلامية وصاحبها ، حيث أن هذه الإمامة التي تريد أن تقوم بهذه المسؤوليات الكبيرة أو الضخمة في المجتمع الإنساني ، تحتاج إلى مؤهلات اجتماعية ، كما تحتاج إلى المؤهلات الروحية

(١) في العصور المتأخرة كانت هناك أسر علمية أخرى من قبيل أسر آل بحر العلوم ، وأسرة آل كاشف الغطاء ، أسرة آل شيخ راضي ، وهكذا أسرة الشيخ الأنصاري - من بناته - وقبلهم الشيخ المجلسي ، والوحيد البهبهاني ، وغيرهم .

والفكرية .

كما أن الناس في حركتهم الاجتماعية والروحية والنفسية يتأثرون بمثل هذا العامل الإنساني ، وينظرون إلى الشرف والاصالة في الانتماء وتكامل الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة نظرة معنوية وإنسانية واجتماعية خاصة .

أما بالنسبة إلى حاجة الإمامة إلى المؤهلات الاجتماعية ، فهو من الأمور التي يشار إليها في أبحاث علم الكلام .

من قبيل أن لا يكون في النبي أو الإمام نقص في الأعضاء مَخْلًا بوضعه الاجتماعي ، أو أن لا يكون النبي أو الإمام وضيعاً في المجتمع الإنساني ، أو من عائلة وضيعة وغير شريفة ، أو ممتنها لحرفة ومهنة وضيعة ، إلى غير ذلك من القضايا التي يشار إليها في علم الكلام عند الحديث عن مواصفات الأنبياء والأئمة الذين يتحملون هذه المسؤولية .

وأما بالنسبة إلى تفاعل الناس وتأثرهم بهذا العامل الاجتماعي ، فهو أمر مشهود في تاريخ الأمم والمجتمعات الإنسانية السابقة واللاحقة، يتفاضلون فيه ، ويفتخرون ويتأثرون به ، لأنه عامل إنساني واقعي في الحركة التاريخية ، وله تأثير إيجابي في حركة الأمم وبناء المجتمع ، وإن لم يكن من العوامل المؤثرة في تكامل الإنسان كفرد عند الله تعالى ، أو مما يدخل في حسابه يوم القيامة ، كما تشير إلى ذلك النصوص الدينية ، ومنها قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولكنه على أي حال من العوامل المؤثرة في حركة التاريخ الإنساني والعلاقات الإنسانية <sup>(٢)</sup> .

(١) المؤمنون : ١٠١ .

(٢) تذكر بعض النصوص استثناءً في التأثير لنسب رسول الله ﷺ في يوم القيامة ، وهو أمر يحتاج إلى بحث علمي واجتماعي لهذه النصوص ، لا مجال له في حديثنا في الوقت الحاضر .

### خلفيات البعد الاجتماعي :

ولعل مرجع هذا العامل إلى عدة قضايا، نفسية، واجتماعية، وفطرية. أمّا القضية النفسية ، فهي تأثّر الإنسان روحياً بمعالم العز والشرف والكرامة والمنجزات العلمية والاجتماعية .

وأما القضية الاجتماعية ، فهي - ما أشرنا إليه في البعد الثالث - من أن التأهيل والإعداد في بيوت الشرف والكرامة والعز والطهارة ، يكون بصورة طبيعية لتحمل المسؤوليات ، وإنها تنبت الشرف والكرامة والعز والطهارة بموجب السنة والقاعدة القرآنية : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا...﴾<sup>(١)</sup> ، وهو أمر يدركه الناس من خلال رؤيتهم للتاريخ ، وحركة النظام العام للمجتمع الإنساني ، وإن كان قد يشذّب بعضهم عن هذه القاعدة .

ولذا ورد التأكيد في الإسلام ، في عدة موارد على هذا الاتجاه في الزواج وفي المشورة ، وفي المصاحبة والصدقة والمعاشرة .  
وأما الجانب الفطري ، فهو يرتبط بنظرة الإنسان الفطرية التي أكدت الشريعة الإسلامية ، وهي أن تكامل المجتمع الإنساني بصورة عامة يقوم على تكامل الأسرة والعائلة والقبيلة .

وهذا بحث اجتماعي مهم له مجال آخر ، ولكن بنظرة إجمالية يمكن أن نقول : إن الإسلام يرى أهمية تكامل الأسرة وارتباطها وامتنادها التاريخي في القبيلة والعشيرة ، وإن ذلك هو الطريق الأفضل لتكامل المجتمع الإنساني بصورة عامة ، إذا أردنا تنظيم هذا المجتمع بصورة صحيحة ومحكمة وقوية .

وإن هذا التنظيم القوي ، يعتمد على عنصرين رئيسيين :



العنصر الأول: هو إحكام علاقات الأسرة التي يفترض أن يتم إحكامها، كما حثّ الإسلام على ذلك من خلال الزواج والعلاقات الزوجية القائمة على أساس الحقوق المتبادلة، وتهيئة ظروف الاستقرار والسكن والمودة والرحمة، وكذلك من خلال الارتباط بين العشائر والقبائل والأسر المختلفة، ولذلك كان من الاتجاهات في تكوين الأسرة أن يتزوج الإنسان من خارج دائرة الأقربين، لإيجاد حالة التكامل الاجتماعي العام بين المفردات الرئيسية في المجتمع، وهي القبائل والأسر، وقد يكون في ذلك - أيضاً - تكامل جسمي (فسيولوجي)، كما يذكره الأطباء، ولكن فيه - أيضاً - تكاملاً اجتماعياً من الناحية الاجتماعية، لأن إيجاد الروابط بين القبائل والأسر يكسر الحواجز النفسية والاجتماعية الموجودة بين هذه القبائل والعشائر والأسر، التي قد تكون معيقة لتكامل المجتمع وحركته عندما تصبح كبيرة وعالية، وتمنع من وحدة المجتمع، وتخلق العصبية العشائرية أو الاجتماعية، وبذلك تصبح الأسرة والعشيرة أحد الأعمدة الأساسية والرئيسية في البناء القوي للمجتمع في نظرية الإسلام.

العنصر الثاني: هو قضية بناء العشيرة والقبيلة نفسها، حيث يمكن أن يقال بأن هناك اتجاه في الإسلام إلى تثبيت دعائم العلاقات الأسرية والقبلية والعشائرية، لا إلى تفكيكها وإضعافها، وذلك من خلال ما ورد في التأكيد على صلة الأرحام، بدرجة تصل - أحياناً - إلى مرحلة الإلزام في الوجوب والحرمة، حسب اختلاف هذه الصلة ودرجتها، فإن قطيعة الرحم حرام، ووجود أصل الصلة واجب من الواجبات الشرعية. وكذلك - من خلال ما يشير إليه القرآن الكريم - في قضية التوارث، حيث أن التوارث في المال وضع في إطار علاقات الأرحام، لقوله تعالى:

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...﴾<sup>(١)</sup> وحتى وصل بها الإسلام إلى العلاقات البعيدة نسبياً، من قبيل علاقة الولاء، وهي عندما يدخل الإنسان في ولاء أسرة من الأسر، وتتقطع سلسلة الأقرباء من المواريث، فيتحول الميراث إلى الأولياء، أي إلى أولئك الذين يكونون قد دخلوا في العشيرة عن طريق علاقة الولاء، إذن، هذا يعبر عن اتجاه لتحكيم الأواصر، وربط بعضها ببعض.

وكذلك نلاحظ أن من التشريعات الموجودة في النظرية الإسلامية التي تؤكد هذا الاتجاه، قضية وقف الذرية، فأن الوقف على أقسام - كما يعرف الأخوة الأعزاء والأفاضل الدارسون للفقه - وأحد أقسام الوقف هو الوقف الذي يوضع لخصوص الذرية، أي يتسلسل في الورثة، ويتحول في طبقات الورثة، حسب شرط الواقف، أو يشركهم فيه، بكل طبقاتهم ومراتبهم، فإن هذا الحكم يؤشر على أن الإسلام يتجه إلى تحكيم أواصر العشيرة والأسرة الواحدة.

### الإسلام والعلاقات العشائرية :

وكذلك المفاهيم الواسعة التي طرحها القرآن الكريم في تفسير المفردات الاجتماعية، وطبيعة علاقاتها، من تقسيم الناس إلى شعوب وقبائل قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن الناس وإن كانوا قد خلقوا من ذكرٍ وأنثى؛ ولكنهم قد قسّموا إلى شعوب وقبائل؛ لتقوم علاقات التعارف والتعاون بينهم، فهو تقسيم معترف به إسلامياً.

(١) الأنفال : ٧٥.

(٢) الحجرات : ١٢.

وهكذا عندما يتحدث القرآن الكريم عن موضوع (الولاء) ، حيث يشير - أيضاً - إلى أن قضية الولاء في داخل العشيرة أمر طبيعي ، مثل ولاء الآباء والأبناء والإخوان ، فهو ولاء مقبول ، ولكنه يجب أن يكون في إطار ولاء الله تعالى ، ولا يصح أن يخرج عن حالة الولاء لله تعالى ، أو أن يكون في مقابل الولاء لله تعالى . وأعطى القرآن الكريم عناوين عديدة لذلك في التأكيد على هذا النوع من الولاء في آيات عديدة : ﴿... وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...﴾<sup>(١)</sup> ، وكذلك التأكيد عليه في مجال الإنفاق على ذوي القربى - كالتأكيد على الإنفاق على المساكين والمحتاجين - كمورد من موارد الإنفاق .

وفي الجملة نلاحظ في الكثير من معالم الشريعة الإسلامية وجود هذا الاتجاه ، في تحكيم أو اصر العشيرة والأسرة والقبيلة ، لا على تفكيكها وإضعافها .

وهذا التحكيم - كما ذكرت - إنما يكون صحيحاً في إطار الشيء الأعظم والأهم من العلاقة ، وهو حب الله سبحانه وتعالى ، والولاء لله تعالى والإرتباط به ، ولا يكون خارجاً على ذلك ، وفي داخل هذا الإطار العام ، كما أكد عليه قوله تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فترتبصوا حتى ياتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾<sup>(٢)</sup> .

وبهذا نرى أن الإسلام عندما أراد بناء المجتمع ؛ وضع أحد الأسس التي تحكم هذا البناء الاجتماعي ، وتجعله أكثر ترابطاً ، هو إحكام هذه

(١) الأنفال : ٧٥ .

(٢) التوبة : ٢٤ .

العلاقات الأسرية بين هؤلاء الناس ، وحاول في الوقت نفسه أن يعالج خطر تحوّل العشيرة إلى صنم يعبد من دون الله بإسلوبين :

أحدهما : تأكيد أن يكون هذا الولاء ضمن إطار الولاء لله تعالى .

والآخر : هو كسر الحواجز الاجتماعية والنفسية التي قد تنمو بين الشعوب والقبائل ، من خلال الحث على التعارف بينها والزواج ، والإتصال والمساواة في القيمة الإنسانية .

وهذا الأمر في الواقع يمكن أن يذكر كأحد العناصر المهمة في تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية ، ولذلك نرى المجتمع ينظر إلى ابن الأسرة وإلى ابن البيت الذي يكون قريباً من صاحب البيت ، ينظر له ويتفاعل معه ، نظرة تختلف عن نظرته إلى الأجنبي عن ذلك البيت ، وهذه الحقيقة من الحقائق القائمة اجتماعياً .

ولذلك نحن ننظر إلى الزهراء (عليها السلام) في قربها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خلال أمور كثيرة ، ولكن أحد هذه الأمور التي ننظر فيها إلى الزهراء (عليها السلام) هي هذا القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١) .

إذن ، فهذا الانتماء يعطي الوصي والخليفة والإمام موقعاً (اجتماعياً) متميزاً في الحركة الاجتماعية ، ولعل ذلك أحد العوامل والأسباب في هذا الامتداد .

(١) ذكرت في محاضرة سابقة، أن الزهراء عندما أرادت أن تستثير المسلمين تجاه مظلوميتها، تحدثت في البداية عن حقوقها المغتصبة، في الخطبة المعروفة التي يتحدث عنها الخطباء، ولكن في حركة أخرى دخلت الزهراء (عليها السلام) إلى المسلمين من هذا المدخل، أي مدخل أنها ابنة رسول الله، ويجب أن تحمى باعتبار هذه القرابة وهذه الصلة برسول الله، وعندما تحدثت مع الأنصار الذين كانوا قد دخلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ميثاق وعهد، بأن يحموا رسول الله وأهله وعشيرته وأقرباءه، وقد تخلفوا عن هذه الحماية بعد وفاته، تحدثت معهم من هذا المدخل وخاطبتهم بصورة خاصة (أيها بني قبله)، وهذا المنطلق يعبر عن حقيقة كانت قائمة في الحالة الاجتماعية .

# هدف الحياة الإنسانية

(١)

✽ الشيخ مرتضى المطهري

هدف الخلقة :

تعتبر مسألة (هدف الحياة) إحدى المسائل الأساسية التي ينبغي أن يركز عليها الفكر الإنساني . فلقد ارتسم أمام الإنسان دائماً هذا السؤال :



ما هو الهدف من هذه الحياة ؟ أي ، لأي شيء يعيش الإنسان ؟ أو ما هو الهدف الذي ينبغي أن يستهدفه الإنسان من حياته وفي هذه الحياة ؟ ومن جانب آخر فإننا إذا حاولنا أن نبحث الموضوع من وجهة النظر الإسلامية ؛ للزمنا أن نطرحه على النحو التالي : (والواقع أن جذور البحث ترجع إلى هذه النقطة بالخصوص) :

ما هو الهدف من إرسال الأنبياء ؟ وماهي الغاية الأصلية لذلك ؟ من المسلم به أن هدف بعث الأنبياء لا ينفصل - بحال - عن الهدف

الحياتي لأولئك الذين بُعث إليهم الأنبياء ليرشدوهم ، فإن الأنبياء بعثوا ليقودوا البشرية ويوصلوها إلى هدفها النهائي .

ولو تقدمنا مرحلة أخرى ، لوصلنا إلى بحث حول (الهدف من الخلقة) ، ومن خلال البحث عن مسألة (هدف الخلقة) تطرح مسألة خلق الأشياء ، ومن جملتها خلق الإنسان والهدف منه . وهنا يجب أن يوضح الموضوع على النحو التالي :

إن تعبير (هدف الخلقة) ماهو ؟ تارة يطلق ويراد منه التساؤل عن هدف الخالق من عملية الخلق هذه ، أي ماهي الدوافع والعوامل التي دفعته لهذه العملية ؟ وحينئذ نقول : إن هذا التساؤل - بهذا العرض - لا معنى له ، ولا يمكن أن يكون لعملية الخلق هنا هدف ، أي لا معنى لأن يستهدف الخالق تحقيق شيء من عملية الخلق . فإن الهدف هنا يعني العامل والدافع المحرك للفاعل ليقوم بهذا العمل ، ولولا وجود هذا العامل والدافع لما قام به .

إننا لا نستطيع أن نقول بوجود هدف وغرض في المجال الإلهي ، بمعنى أن الفاعل يريد عبر فعله أن يصل إلى غرض معين ، وأن ذلك الغرض هو الذي حركه نحو هذا الفعل . أي أن هناك شيئاً دفع الفاعل ليكون فاعلاً ، يسعى لتحقيق ذلك الشيء . وهذا يستلزم نقص الفاعل . ومثل هذا الاستهداف إنما يتصور في الفاعلين بالقوة والمخلوقات ، أما في الخالق فهو غير متصور . إن مثل هذا الاستهداف يرجع إلى الاستكمال ، بمعنى أن الفاعل يسعى عبر عمله هذا للوصول إلى شيء يفقده .

ولكن - وتارة أخرى - يتركز الحديث عن هدف الخلق ، لا على غاية الفاعل وهدفه ، وإنما على هدف الفعل ومعنى غاية الفعل . إن أي فعل -

نركز عليه - لابد أن يكون باتجاه هدف معين ، ونحو كمال خُلق لأجله ،  
فالفعل خلق ليصل إلى هذا الكمال ، لأن الفاعل عمل هذا العمل ليصل هو  
إلى كماله ، بل ليصل الفعل إلى كماله ، أي أن نفس الفعل يسير باتجاه  
الكمال .

فإذا قلنا أن ناموس الخلقة يقضي بأن أي فعل يتحرك منذ بدئه باتجاه  
الكمال ، فإنه - والحال هذه - تكون للخلقة غاية .  
وهذا هو الواقع ، فإن أي شيء يوجد له - أساساً - كمال منتزع ، وأنه  
خلق ليصل إلى كماله المنتزع ، وأن ناموس هذا العالم - بشكل عام - قائم  
على أن أي شيء يبدأ وجوده من النقص ، وتكون مسيرته مسيرة  
الكمال ، لكي يصل إلى كماله اللائق والممكن .

إن مسألة (ماهي الغاية من خلق الإنسان ؟) ، ترجع إلى التساؤل عن  
(ماهية الإنسان) ، وماهي الإمكانيات الكامنة في الوجود الإنساني ،  
وماهي الكمالات الممكنة له ؟ لذا يجب البحث عن الكمالات التي يمكن  
للإنسان أن يبلغها .

إن الإنسان خلق لتلك الكمالات ، وطبيعي أن الحكمة - بهذا الاعتبار -  
تعبّر عن أن يكون عملٌ ما لأجل هدف معين ، فلا يختلف الحال إذا عبّرنا  
عنها بالحكمة أو الغاية .

وعلى هذا فلا داعي لأن نبحث بشكل مستقل عن غاية الخلقة  
الإنسانية وهدفها ، وإنما يرجع هذا البحث إلى التساؤل عن هذا الإنسان .  
ماهو ؟ وماهي الإمكانيات الكامنة فيه ؟

وبعبارة أخرى : ما دما ننظر للبحث من زاوية إسلامية لا عقلية  
فلسفية ؛ فإن علينا أن نعرف نظرة الإسلام للإنسان ، والكمالات التي  
يمكنه أن يبلغها في التصور الإسلامي .

وطبيعي أن بعثة الأنبياء كانت تستهدف تكميل الإنسان . ومما يتفق الجميع عليه أن الأنبياء جاءوا ليعينوا الإنسان ، ويأخذوا بيده إلى الكمال . إن في حياة الإنسان - في الواقع - نوعاً من الخلأ والنقص لا يمكن للإنسان الفردي ، بل وحتى الإنسان الاجتماعي أن يسده بمعونة طاقات الأفراد العاديين ، فيتعين عليه أن يستعين بالوحي ليكون قادراً على التحرك باتجاه مجموعة الكمالات الممكنة له . فكون الهدف من بعثة الأنبياء هو تكميل الإنسان وإيصاله إلى غاية خلقته بشكل عام ، أمر لا ينبغي البحث فيه لأن الكل مسلم به .

كما أنه لا مجال للبحث في ماهية الهدف الحياتي - بشكل عام - لكل فرد من الزاوية الفردية ، فإنه - وحسب ما يمكننا أن نكون ، وماهية الاستعدادات المتوفرة في وجودنا بالقوة والتي نستطيع إلى نوصلها إلى المرحلة الفعلية يكون هدفنا الحياتي مطابقاً لذلك تماماً .

إلا أن هذا المقدار من البحوث يبقى كلياً مبهماً ، ويلزمنا حينئذ أن نعود إلى القرآن ليحدثنا - بشكل أكثر تفصيلاً وأشد تعييناً - عن هدف الإنسان ، وهل تحدث عن الهدف من خلق الإنسان ؟ وهل ذكر لنا الهدف من بعثة الأنبياء ؟ وهل تحدث عن الهدف الذي يعيش له الإنسان ؟

إننا - في الغالب - نتحدث عن المفهوم العام - وهو صحيح بدوره . فنقول : إن الإنسان خلق للسعادة ، وإن الله لا هدف له من خلق الإنسان ، ولا يصله نفع من ذلك ، وإنما خلقه ليصل إلى سعادته ، منتهى الأمر أن الإنسان يقف في مرتبة من الوجود ، وموضع يجب معه أن يختار سبيله بكل حرية ، وإن الهداية الإنسانية تكليفية وتشريعية لا هداية تكوينية وغريزية وجبرية .

ولما كانت له حرية فإن الإنسان بعد أن هدي السبيل قد يحسن



الاختيار وقد يسيء ذلك . ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا أمر صحيح بلا ريب ، ولكن أين يشخص القرآن هذه السعادة الإنسانية ؟

يقال - عادة - : إن الهدف من خلقه الإنسان ، والذي ترتب به السعادة الإنسانية ، وبالتالي يكون الهدف من بعثة الأنبياء - بالطبع - ، هو تقوية الإنسان في جانبي (العلم) و(الإرادة) ، فالله خلق الإنسان للعلم والمعرفة - وكماله في معرفته الأكثر - كما خلقه للقدرة ليحقق ما يريد ، فتقوى إرادته ويصبح قادراً على تحقيق ما يشاء .

وعلى هذا فإن الهدف من خلق حبة حنطة (أو ما هو استعدادها) هو أن تكون بشكل نبتة الحنطة ، وأن سعادة الخروف - في حدها الأقصى - تكمن في التهامه علفه وصيرورته سميناً ، أمّا ما في إمكان الإنسان فهو يعلو فوق هذه المسائل وهو أن (يعلم) و(يقدر) . وكلما علم أكثر ، وقدر أكثر ، كان إلى الغاية والهدف الإنساني أقرب .

وتجدهم تارةً يقولون : إن الهدف من حياة الإنسان هو السعادة . بمعنى أن يقضي الإنسان نصيبه من الحياة الدنيا بشكل أفضل وأسعد ... يتمتع أكثر بمواهب الخلقة والطبيعة ، ويقلل من تألمه فيها ، سواء من جانب العوامل الطبيعية ، أو من جانب أمثاله من أبناء نوعه الإنساني . وليست السعادة شيئاً غير ذلك .

فالهدف من خلقنا ، هو أن نستفيد في هذه الدنيا من وجودنا ، ومن الأشياء التي حولنا غاية الاستفادة ، أي أن نحصل على (الحد الأعلى من اللذة) و(الحد الأقل من الألم) .

وحينئذ فإن الأنبياء جاءوا ليحققوا هذا الغرض ، فتكون حياة الإنسان

قرينة السعادة ، أي الحد الأكثر من اللذة الممكنة والحد الأقل من الألم الممكن - وهو الهدف . وإذا كان الأنبياء قد عنوانوا مسألة الآخرة بعد ذكر مسألة (الحياة) ؛ فإنما ذلك لأنهم عينوا سبيلاً للسعادة الإنسانية . وبالطبع فإن سلوك هذا السبيل يستلزم ثواباً ، كما أن مخالفته تستدعي عقاباً خاصاً . ومن هنا جاءت الآخرة تبعاً للدنيا كما أن كل جزاء يتبع وضع أي قانون ، فلكي لا تكون القوانين في هذه الدنيا عبثاً ولغواً - خصوصاً وأن الأنبياء لم يكونوا قوة تنفيذية ، ولم يستطيعوا أن يثبوا أو يعاقبوا الأشخاص - فقد طرحوا مسألة عالم الآخرة ، لكي يعاقب المذنبون ويثاب المحسنون ، إلا أننا لا نجد مثل هذا في القرآن الكريم .

إن القرآن يصرح في موضع منه : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾<sup>(١)</sup> فغاية خلق الإنسان والموجود الآخر المسمى بـ (الجن) هي العبادة .

وربما كان هذا أمراً صعب القبول ، فما معنى هذا الهدف ؟ وما هي الفائدة التي تعود بها العبادة على الله ؟ وهي حتماً ليست بذات فائدة له ، وما هي فائدتها العائدة على البشر ليخلق البشر لأجل العبادة ؟ ولكن القرآن - على أي حال - يذكر هذا الموضوع بكل صراحة (أي أن العبادة هي غاية الخلق الإنساني) .

وعلى العكس من النظرة السابقة التي تجعل الآخرة أمراً طفيفاً تبعياً ؛ تصرّح بعض الآيات بأنه لو لم تكن القيامة لكان الخلق عبثاً ، وهذا يعني أنها جعلت بمنزلة الغاية . وقد تكرر هذا المفهوم في القرآن الكريم كثيراً ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) المؤمنون : ١١٥ .

والعبث يطلق على الشيء الذي لا غاية حقيقية له في قبال الحكمة .  
فيأتي الإنكار بمعنى أنكم حسبتم أن لا حكمة في خلقكم ، وأن ليس هناك  
غاية حكيمة ، ولذا فهذه الخلقة عبث وخواء . ثم يأتي عطف البيان ﴿ وإنكم  
إينا لا ترجعون ﴾ وهذا يعني أنه لو لم يكن هناك رجوع إلى الله ؛ فالخلقة  
عبث .

وإننا لنجد القرآن يكرر التقارن بين مسألة القيامة من جهة ، ومسألة  
كون الخلق بالحق ، وعدم الباطل واللغو واللعب فيه ، وهو في الواقع نوع  
من الاستدلال .

ذلك أن أحد أنماط الاستدلال القرآني على الآخرة هو الاستدلال اللامي  
- حسب المصطلح المنطقي - ، بمعنى أنه بعد الإيمان بوجود إله لهذا  
العالم ، وأنه لا يفعل عبثاً ، وأن عمله إنما هو بالحق ، ولا مجال للباطل  
واللعب فيه ، نعم ، بعد الإيمان بأن الخليقة لها خالق حكيم ، يأتي الإيمان  
بالرجوع إلى الخالق . في الواقع أن القيامة والرجوع إلى الله هي التي تبرر  
خلق هذا العالم ، وهذا ما يركز عليه التعبير القرآني . وإننا لن نعثر في  
القرآن الكريم على ما يوحي بأن الإنسان خلق ليعلم أكثر ، ويقدر أكثر  
لكي يصل إلى هدفه حين يعلم ويقدر ، وإنما خلق الإنسان ليعبد الله ، وأن  
عبادة الله هي الهدف . فلو أن الإنسان علم وعلم أكثر ، وقدر وقدر أكثر ،  
ولم تكن في البين معرفة الله التي هي مقدمة العبادة ، ولم تكن هناك  
عبادة لله ؛ فإن الإنسان لم يخطُ على طريق هدف الخلقة ، ولا يُعَدُّ من  
وجهة نظر القرآن إنساناً سعيداً . أما الأنبياء فقد جاءوا ليوصلوا البشرية  
إلى السعادة وهي في نظرهم عبادة الله .

وبهذا المعنى فلن يكون الهدف الأصلي من الحياة في منطق الإسلام -  
بالطبع - شيئاً سوى المعبود ، فالقرآن يريد صياغة الإنسان ، ويمنحه

هدفه وغايته . والهدف الذي يريد أن يوصل الإنسان إليه هو الله لا غير ، وأي شيء غير ذلك ؟ ليس إلا مقدمة لا أصالة له ولا استقلال ، وليس هو الهدف الأصلي .

فالآيات التي تصف الإنسان الكامل ، أو تتحدث على لسان هذا الإنسان ، تعرف هذا الإنسان بأنه الذي حدد هدفه بوضوح ، واتجه نحوه وعمل لأجله .

يقول القرآن الكريم على لسان إبراهيم : ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين﴾<sup>(١)</sup> و ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾<sup>(٢)</sup> .

وتوحيد القرآن هذا ليس توحيداً فكرياً يعتقد الإنسان معه بأن مبدأ العالم واحد ، وخالقه واحد فحسب ، وإنما هو توحيد في المرحلة الخاصة للإنسان أيضاً ، بمعنى أن الإنسان من الجانب العقائدي يعتقد بأن خالق العالم واحد لا شريك له . ومن جانب الهدف يصل إلى الحد الذي لا يرى هدفاً يستحق أن يستهدف إلا الله لا غير . وبالطبع تكون الأهداف الأخرى منبعثة ونابعة من هذا الهدف ، فلا استقلال لها ولا أصالة وإنما تستمد من هذا الهدف وجودها .

فكل شيء في الإسلام يدور حول المحور الإلهي ، سواء من حيث الهدف من بعثة الأنبياء ، أو من حيث الهدف الحياتي للفرد .

ولندرس الآن مسألة جعل العبادة هدفاً للخلق في القرآن :

فعن الإنسان الكامل وعن هدفه الحياتي يقول القرآن الكريم : ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾<sup>(٣)</sup> فالإخلاص هو المقصود

(١) الأنعام : ٧٩ .

(٢) الأنعام : ١٦٢ .

(٣) الأنعام : ١٦٢ .

قبل كل شيء ، والعبد المخلص هو الذي لا يجد في وجوده حاكماً غير الله.

وأما مسألة هدف الأنبياء فللقرآن فيها تعبيرات مختلفة . فهو يقول تارة : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾<sup>(١)</sup> .

وأخرى يقول : ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾<sup>(٢)</sup> .

فمن الواضح أن بعض التعبيرات صريحة في دعوتها الناس للتعرف على الله ، وأن الأنبياء هم حلقة اتصال بين المخلوق والخالق والرابط بينهما .

ونجد آية أخرى تذكر بصراحة تامة شيئاً آخر كهدف لبعث الأنبياء ، وهو «العدالة الاجتماعية» .

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾<sup>(٣)</sup> ، فما هو هدف البعثة - طبق الآية - وهي من أفعال الله التي لا يمكن أن تكون بلا هدف ؟

إن القرآن يقول : بأن البعثة تمت لإقرار العدالة بين الناس ، فكل الأنبياء جاءوا للعدالة . وهنا نجد فلسفة البعثة قد طرحت بشكل آخر من خلال فرضين :

الفرض الأول : إن الهدف الأساس هو إقرار العدالة بين الناس ، ولما كانت العدالة الواقعية لا تقوم بين الناس ، - كما يستدل أمثال الفيلسوف أبو علي سينا - إلا أن يقوم قانون عادل بينهم ، ومثل هذا القانون العادل لا يمكن أن يضعه البشر لعلتين :

(١) الأحزاب : ٤٥ .

(٢) البقرة : ٢٧٥ .

(٣) الحديد : ٢٥ .

الأولى: لأن البشر غير قادر على أن يشخص الحقيقة ، ويتخلص من الميول والأغراض المصلحية .

والثانية: لعدم وجود ضمان للتطبيق ، فإن الطبع الإنساني يدفعه لتقديم نفسه على الغير ، أو تشريع القانون إلى الحد الذي يحقق منافعه ، فإذا كان هناك أي ضرر رفضه ، وعليه فيجب أن يكون القانون قانوناً يخضع له الإنسان ، ومثل هذا القانون لا سبيل له إلا أن يكون من الله ، بحيث يحس الإنسان من عمق وجدانه بالخوف من عصيانه . ولما كان الأمر كذلك أي لكي تتم العدالة ؛ نحتاج إلى القانون العادل ، وهذا القانون يجب أن يكون له ثواب وعقاب موضوعان من قبل الله . ولكي يؤمن الناس بالثواب والعقاب ؛ يجب أن يعرفوا الله . فمعرفة الله صارت عبر عدة وسائل مقدمة لإقرار العدالة . وكذلك فإن العبادات قررت لهذا الغرض ، أي لكي لا ينسى الناس مقتن القانون ، ويبقوا دائماً على ارتباطهم به ، ويذكروا أن لهم رباً يراقبهم ، وهو الله الذي شرع القانون العادل لهم .

ووفقاً لمثل هذا السير الفكري - ولو بقينا نحن وهذه الآية - يجب أن نقول : إن الهدف الأصلي من بعثة الأنبياء هو إقرار العدالة بين الناس . وتكون الدعوة إلى الله ثانوية لكي يتعرفوا على مقتن القانون ، ويحسبوا له حسابه ، وإلا فليست لمسألة الدعوة إلى الله ومعرفة الله أصالة ، وإنما تقوم على الأساس الآنف .

فلدينا هنا في الواقع ثلاثة أنماط من المنطق يجب أن نعرف القابل منها للقبول .

الأول : هذا المنطق الذي عرضناه ، ولا نجد له مؤيداً ، أما ما نقلناه عن أمثال أبي علي بن سينا ، فلم يكن مؤيداً منهم تأييداً تاماً .

لقد جعل هذا المنطق هدف بعثة الأنبياء هو إقرار العدالة بين الناس ،  
فالحياة السعيدة - في الواقع - للناس هي في هذه الدنيا . ومسألة المعرفة  
والإيمان بالله والإيمان بالمعاد هي - تماماً - مقدمة ذلك ، لأن العدالة لا تتم  
إلا بمعرفة الناس لإلههم وإيمانهم بالمعاد . فالإيمان مقدمة العدالة .

أما المنطق الثاني - فعلي العكس من ذلك - يؤكد أن الهدف الأصلي هو  
معرفة الله وعبادة الله هي الهدف الأصيل ، والتقرب إلى الله هو الهدف  
الحقيقي ، أما العدالة فهي هدف ثانوي ، ذلك لأن البشرية لكي تصل إلى  
المعنوية وتفوز بها ، عليها أن تعيش هذه الحياة الدنيا ، ولأن الحياة  
الإنسانية لا تستقر إلا في ظل الشكل الاجتماعي لها ، والشكل الاجتماعي  
لا يتم إلا باستقرار العدالة . فالقانون والعدالة هما مقدمتان لأن يقوم  
الإنسان في هذه الحياة الدنيا - باطمئنان - بعبادة الله . وإذا لم يكن الأمر  
كذلك فلا قيمة للعدالة .

وعليه فإن المسائل الاجتماعية التي نقول بأهميتها إلى هذا الحد ،  
ونطرحها في مجال العدالة ، هي هدف الأنبياء ، ولكن لا الهدف الأولي  
وإنما الهدف الثانوي أي هي مقدمة لهدف آخر .

وهناك رأي ثالث ، بأن يقول أحد : ما الداعي لأن نفترض - لبعثة  
الأنبياء وبالتالي للخلقة والحياة - هدفاً أصيلاً ونعتبر باقي الأهداف  
مقدمة ؟ فإن بالإمكان القول بوجود هدفين لذلك ، وأنهم بعثوا الهدفين  
مستقلين عن بعضهما .

الأول : لكي يكونوا واسطة الاتصال بين البشر وخالقهم ، وليعبدوا  
الله ، والثاني : لإقرار العدالة بين الناس .

وليس أي من هذين الهدفين مقدمة للآخر ، بل كل منهما هدف أصلي ،  
خصوصاً وأننا رأينا القرآن الكريم يذكر كلا الهدفين . فما المانع من أن

يكونا هدفين أصليين ولا يكون أيّ منهما مقدمة للآخر ؟  
ولهذا الأمر نظائر في مجالات أخرى تعرّض لها القرآن .  
فمثلاً نجد القرآن الكريم يؤكد على تزكية النفس كثيراً ، أنه يؤكد على  
هذا التهذيب والتنمية النفسية كثيراً فيقول :  
﴿ قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دساها ﴾ (١) .

ففلاح الإنسان رهين تزكية النفس في نظر القرآن وهنا يقال :  
هل أن تزكية النفس هذه هي بنفسها هدف في تصور الإسلام ؟  
هل أن تزكية النفس هدف لحياة الإنسان وبعثة الأنبياء وخلقة  
الإنسان ؟  
أم أنها مقدمة ؟

وإذا كانت مقدمة فهي مقدمة لأي شيء ؟  
هل هي مقدمة لمعرفة الله ، ومقدمة للاتصال بالله وعبادته ؟  
هل هي مقدمة لإقرار العدالة الاجتماعية ؟  
وقد جاء الأنبياء لهدف إقامة العدالة الاجتماعية ، ومن الضروري لكي  
تقوم بين الناس أن تعتبر بعض الصفات التي لا تنسجم مع الحياة  
الاجتماعية رذيلة ، والأخرى المنسجمة معها فضيلة ، وحينئذ فلا بد  
للإنسان أن ينزه نفسه من الصفات التي لا تنسجم مع الحياة الاجتماعية ،  
ويخلصها من الحسد والكبر والعجب ، وعبادة الذات والهوى وغير ذلك ،  
ويزين نفسه بتلك الصفات التي تعتبر أخلاقاً اجتماعية ، وتساعد على  
إقرار العدالة الاجتماعية ، مثل الصدق والأمانة والإحسان والمحبة  
والتواضع وغيرها .

أو قد يقال : إن تزكية النفس - أساساً وبقطع النظر عن أيّ هدف آخر -



هي بنفسها هدف مستقل .

والآن أيُّ هذه الآراء ينبغي قبوله ؟

إننا نرى أن القرآن يرفض أي نوع من الشرك ، وبأي معنى كان . إنه كتاب توحيدي بكل معنى الكلمة .

● توحيدي بمعنى أنه يرفض وجود أي مثل لله (التوحيد الذاتي : ليس كمثله شيء) <sup>(١)</sup> .

● وهو توحيدي بمعنى أنه يصف الله بكل الصفات التي تعطي الحد الأعلى من الكمال له ﴿له الأسماء الحسنى﴾ <sup>(٢)</sup> والأمثال العليا ﴿ولله المثل الأعلى﴾ <sup>(٣)</sup> .

● إنه كتاب التوحيد ، بمعنى أنه يرفض أي فاعل في قبال الله ، ويرى أن أي فاعل ؛ يأتي بعد الله وفي طوله - كما يصطلح - وهذا هو معنى ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله﴾ .

● وهو كتاب التوحيد بمعنى أنه لا يرى الكائنات هدفاً أساسياً مستقلاً ونهايئاً إلا الله .

● وخلال كل ذلك فهو لا يرى للإنسان - سواء في حركته التكوينية أو حركته التكليفية والتشريعية - هدفاً غير الله .

إن البون يتسع باتساع البعد بين السماء والأرض ... بين الإنسان الذي تريده المدارس الفلسفية البشرية ، وذاك الذي يريده الإسلام . فهناك الكثير من الأشياء التي يقول بها الإسلام والتي تشبه ما يقوله الآخرون ، ولكن ليس من زاوية نظر واحدة . إن الإسلام ينظر للأمور دائماً نظرة توحيدية إلهية .

(١) الشورى : ١١ .

(٢) الحشر : ٢٤ .

(٣) النحل : ٦٠ .

فمثلاً أشرنا سابقاً إلى أن الإنسان في فلسفته توصل إلى وجود قوانين ثابتة غير متغيرة حاکمة في هذا الكون .  
والقرآن الكريم يقول بهذا الرأي ، ولكن ليس بهذا التعبير ، وإنما يقول به من زاوية إلهية :

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ <sup>(١)</sup> إن القرآن يقبل مبدأ العدالة . بل هو يعطيه قيمة غير عادية وأهمية خاصة ، ولكن لا بعنوان أن العدالة هي هدف نهائي ، أو أن العدالة مقدمة ليسعد بها الإنسان في هذه الحياة بهذا الشكل الذي نعرفه من السعادة ، بل إنه يعتبر الحياة السعيدة في الدنيا بالنحو الذي يرضاه الإسلام ، في ظل نوع من التوحيد العملي ، أي أن يكون الإنسان خالصاً لله .

إن إنسان القرآن موجود لا يستطيع تأمين سعادته أحد إلا الله ، بمعنى أن الإنسان موجود لا يروي ظمأه إلى السعادة ، ولا يؤمن له سد الخلاء ، ولا يحقق رضاه الكامل ، ولا يقوده في مسيرته الحقيقية ؛ إلا الذات الإلهية ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ <sup>(٢)</sup> وهو تعبير عجيب ومعجز ! هؤلاء الذين آمنوا واطمأنت قلوبهم بذكر الله ... ذكرهم مثبت لهم هذه الصفة وهي اطمئنان قلوبهم بذكر الله ... ولكن هل تطمئن قلوب الآخرين بأشياء أخرى ؟ كلاً إن القرآن ينفي ذلك ، بعد أن يمهد بذكر كلمة (ألا) التنبيهية ! إنه يذكر وينبه ويعلن أمراً هاماً ، ويقدم كلمة (بذكر الله) وحقها أن تتأخر نحويّاً ، ولكنه يقدمها لتفيد الحصر كما يقول أهل البيان ، إذ أن ما من حقه - بحسب القاعدة - أن يؤخر إذا قُدِّم أفاد الحصر بشكل طبيعي ، والجار والمجرور متعلق

(١) فاطر : ٤٢ .

(٢) الرعد : ٢٨ .

بالفعل ويأتي بعده - بحسب القاعدة - ولكنه هنا قدّم ليفيد الحصر ويعلن أنه يذكر الله لا غير ، بنسيان ما عدا الله ، تطمئن القلوب ، وأن الذي يؤمن سعادة القلب المضطرب الباحث عن الحقيقة ليس إلا الله ، أما كل شيء عداه فما هو إلا مقدمة له ، إنه موقف من المواقف الإنسانية في مسيرتها الطويلة لا المقصد النهائي ، وحتى العبادة كذلك ، إذ يقول : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ <sup>(١)</sup> وفي آية الصلاة ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ <sup>(٢)</sup> يذكر القرآن خاصية الصلاة ويقول عن هدفها : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ <sup>(٣)</sup> .

إن الإسلام يريد الإنسان للعبادة وسبيل التقرب إلى الله والتعرف عليه وذكره . وطبيعي أن يحصل الإنسان على قدرته هنا ، إلا أن العلم والقدرة بالنسبة لكل الأشياء أيضاً مقدمة لا أصل . وكذلك تزكية النفس فإنها جميعاً أهداف ثانوية ، فهي أهداف لشيء ووسائل لشيء آخر .

### أساس الأخلاق الفردية والاجتماعية :

يحتاج الإنسان في حياته الإنسانية - الفردية والاجتماعية - إلى مجموعة من الأهداف اللامادية . ونحن هنا لن نتعرض إلى جانب الضرورة الفردية في حياة الفرد للأهداف والقيم المعنوية وغير المادية ، لأننا لا نرى فعلاً حاجة لذلك ، وربما يتوضح الحال فيها من خلال بحوثنا الاجتماعية .

ومن المسلم به أن أية مدرسة اجتماعية تحتاج إلى وجود مجموعة من الأهداف المشتركة بين جميع الأفراد ، ذلك أن هذه الأهداف المشتركة إن عذمت فإن الحياة الاجتماعية بمفهومها الواقعي - أي الحياة المنظمة -

(١) طه : ١٤ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) م . ن .

تعود غير ممكنة . فالحياة الاجتماعية معناها التعاون . والتعاون في مجال الأهداف المشتركة ممكن . أما إذا لم يوجد في البين هدف مشترك؛ فإن هذا الإمكان ينتفي . وإن الهدف المشترك يعم الأهداف المادية والمعنوية .

فمن الممكن أن يكون الهدف المشترك لجميع الأفراد هدفاً مادياً ، كمثل الشركات التجارية والصناعية للأفراد المشتركين في تأسيسها ، حيث يجتمع عدٌ من الرأسماليين ويؤسسون شركة تجارية أو صناعية ، أو يتفق صاحب رأسمال وصاحب ساعدٍ عامل ، أو يتفق أصحاب سواعد عاملة ، فالعمل والساعد من أحدهما ، ورأس المال من الآخر ثم يأتي العمل المشترك .

فالهدف المشترك أعم من المادي والمعنوي ، إلا أن المجتمع الإنساني لا يمكن أن يُشكّل تماماً كما تشكل الشركات ، بمعنى أنه لا يمكن أن يكون أساس الحياة الاجتماعية شركة كبرى لا غير . هذا ما نراه نحن بالطبع . وإلا فإن البعض يفترض هذا التصور . وهذا (راسل) يبني أخلاقه على هذا الأساس !! لأنه لا يرى للأخلاق أساساً اجتماعياً سوى المنافع الفردية . إنه يقول إن أخلاق المجتمع في الواقع نوع من التعاقد يقوم به الأفراد . ذلك لأن الأفراد جميعاً يدركون أن الحفاظ الأفضل على منافعهم يقتضي أن يراعي كل منهم حقوق الآخرين ووجودهم .

ويضرب لذلك مثلاً فيقول :

«أنا - بحسب الطبع - أميل لأن امتلك بقرة جاري ، ولكنني ملتفت إلى أن هذا العمل إذا تحقق فإن جاري سوف يردُّ عليه ويأخذ بقرتي ، وهكذا يقوم الجار الآخر بنفس العمل ، وحينئذ - فبدلاً من الانتفاع الأكبر - سوف أصاب بضرر أكبر ، وحينئذ أقول : إن المصلحة تقتضي أن أحترم حقك

وأعتبر بقرتك ملكاً لك ، لتكون بقرتي ملكاً لي» . وهكذا يعتبر (راسل) الحفاظ على المنافع الفردية أساساً للأخلاق الاجتماعية . وفي الواقع فهو يرى أن أساس الاحترام للحقوق الفردية . هو أن يحترم عدة من الشركاء حقوق كل فرد منهم ، لأنهم يرون أن مصلحة الفرد تكمن في التعاون .

ونحن نقول : إن العلاقة بين اللصوص تقوم على هذا الأساس ، فإن عدداً من اللصوص عندما يتفقون على السرقة ، ويقطعون الطريق ؛ نراهم يقسمون النتائج بالسوية والعدالة بينهم ، ويراعي بعضهم البعض لأنهم يعلمون أن كل فرد لو حده لا يستطيع القيام بهذا العمل ، ولأن كل فرد يحتاج للآخرين فإنه يحترم حقوقهم . ولهذا كنا نقول دائماً : إن فلسفة (راسل) تخالف شعاره ، فلقد كان شعاره المحبة الإنسانية ، في حين تعمل فلسفته على اقتلاع جذور الإنسانية ، ذلك لأنه كان يرى الأخلاق الاجتماعية قائمة على أساس المنافع . ويمكن لهذه الأخلاق أن تشمل الفرد الذي يلاحظ منفعته في التعاون مع الآخرين ويخاف ردود فعلهم ، وعندما تكون هناك مجموعة متكافئة من حيث القدرة والقوة فإن كل فرد يخاف الآخرين ، ويرعى حقوقهم ، أما عندما يصل أحدهم إلى حد يطمئن معه تماماً إلى أن أياً من هؤلاء المتعاونين معه لا يستطيع أن يقاومه لضعفه ، فلا داعي يدعو لمراعاة الجوانب الأخلاقية . ولماذا يفعل ذلك ؟ فلنفترض نيكسون وبريجينيف (يلاحظ أن الحديث كان في حالة كون نيكسون رئيساً للولايات المتحدة الأميركية) يقف بعضهما في قبال البعض ، ولأنهما متساويان في القدرة والقوة ؛ فإن كلا منهما يحسب حساب الآخر ، ويرى أن منفعته تكمن في مراعاة مصالح الآخر ، ولكنه في قبال أي شعب ضعيف ليس لديه أي داع للسلوك الأخلاقي ، وهناك فاعتراض (راسل) على أميركا في حربها ضد فيتنام مثلاً لا معنى

له ، ولا معنى لوصفه بأنه غير إنساني ، إذ ماذا يعني قوله غير إنساني ؟ وما الملزم لأميركا أن لا تحارب ولا تعتدي ؟

وعلى أي حال فهذا منطق مطروح ، وطبيعي ، أنه منطق سخيّف ذلك لأنه يّجيز أساساً للقوي أن يستغلّ قوته ، غاية الأمر أنه يقول للضعيف: كن قوياً لكيلا يستطيع القوي أن يظلمك ، وهذا كلام صحيح ، ولكنه لا يّبقى للأخلاق موضعاً ، لأنه لا يستطيع أن يأمر القوي قائلاً له : مع أنك تعلم أن الضعيف لا يستطيع أن يرد عليك ولكن لا تظلم . فإن أمره هذا بلا مبرر . فلماذا لا يفعل ، مع أن هذا العمل في مثل هذه المدرسة مجاز قطعاً . إذن يجب الاتجاه نحو شيء آخر . ويمكن أن يقوم رأي على أساس تلك الأهداف المادية المشتركة . ولكن للتخلص من المفاسد يطرح سبيلاً آخر فيقول :

إن علينا أن نبحث عن دوافع اعتداء الأفراد على غيرهم ، ثم نعمل على محو هذه الدوافع ، وليس من الضروري أن تكون تلك عللاً وجدانية أو نفسية ، أو نتيجة اتباع مدرسة خاصة وتربية معينة أنه يقول :

«نفترض أنكم اعترضتم بعدم وجود مانع وراذع للقوي حين يصمم على ظلم الضعيف ، ولكننا يجب أن نبني المجتمع على النحو الذي لا يتضمن وجود قوي وضعيف ، إذ في أي شيء يكمن أساس القوة والضعف ؟ فإذا استطعنا القضاء جذرياً على هذا الأساس ، كان أفراد المجتمع على حد سواء ، وحينئذ نجدهم - بالطبع - يمتلكون الاحترام المتبادل لحقوق الأفراد لأنهم متساوون .

وليس ذلك الأساس سوى الملكية ، ذلك لأن كل القدرات السياسية والاجتماعية وغيرها تنبع منه .

أقضوا على الملكية ليعود الأفراد جميعاً بمستوى واحد ، وبقدرة

واحدة ، وبهذا فهم لا يستطيعون الاعتداء على غيرهم ، وتكون للجميع أهداف مشتركة - وهي الحياة المادية - ، ويعود المجتمع بشكل شركة واقعية لا يستطيع أي من المشتركين فيها أن يتحكم بالأفراد الآخرين ، لأن وسيلة الضغط والشقاء هي الملكية وقد أزلناها .

والماركسية تقريباً تقول بمثل هذا الرأي . وهذه المدرسة لا تعتمد مطلقاً على المسائل المعنوية ، ولا تتحدث عن الوجدان والوجدان الأخلاقي وأمثال ذلك . أنها تعتمد فقط على الشيء الذي تعتقد أنه سر الشرور والشقاء ، وأنماط الظلم المختلفة ، والتعدي . وهو الملكية . فإذا قضينا على الملكية فقد قضينا على وسيلة الاجرام والتجني ، وإذا ما انتفت الملكية الفردية وحلت محلها الملكية الاجتماعية ، وراح كل فرد يعمل بقدر ما يستطيع ، ويأخذ من المجتمع بقدر ما يحتاج ؛ فسوف يعم المجتمع الصفاء والعدل والأخلاق الحسنة ، وتنمحي أسباب العداء والنفور والعقد ، ويعيش الناس كأخوة متساوين .

وهكذا ، وبدون أن يلجأ هذا الاتجاه للمعنويات ؛ يعمل على أن يدير المجتمع بلا إعطاء أي دور للقيم المعنوية . وهذا الأمر ناقص وباطل . وذلك لأن الواقع العملي أظهر أن المجتمعات التي ألغت الملكية لم ينعلم فيها الظلم والانحراف ، ولو كان ما يقولون صحيحاً لما عدنا نرى أي فساد فيها بعد وصولها للحياة الاشتراكية ، في حين إننا نجد هذه المجتمعات الشيوعية مبتلاة بين الحين والحين بأساليب التصفية وغير ذلك ... إن سبب ذلك يرجع إلى أن الملكية ليست العامل الوحيد للحصول على الامتيازات .

ويتوضح ذلك بملاحظة ما يلي :

أولاً: إن الامتيازات ليست كلها امتيازات مالية ، فهناك امتيازات يقول

بها الإنسان لا ترتبط بالمال . فالمرأة الجميلة لها امتيازها على النسوة الأخرى وهو امتياز حياتي لا ربط له بالمال ، بمعنى أنه حتى لو كانت الملكية اشتراكية فإن هذا الامتياز باقٍ على حاله .

والأهم من كل ذلك ، المقامات ، فقيمة المقام لدى البشر أعلى من قيمة المال وأكبر ، فهذا فوردي وأروكفلر يسعى دائماً للاشتراك في انتخابات رئاسة جمهورية أميركا، وهكذا نجد هذا الرجل - وهو أغنى أغنياء العالم، أو من جملة مجموعة تمتلك أكبر ثروة في العالم - نجده وحلم رئاسة الجمهورية يؤرقه ويكوي قلبه . وهناك الكثيرون ممن يضحون بثروتهم - غالباً - لكي يصلوا إلى الشهرة والفخر والرئاسة والقدرة وغير ذلك . وذلك أمر له قيمته ؛ أن يجد الإنسان الآخرين يخضعون له إما من خلال إيمانهم وحبهم وتعلقهم به ، أو خوفاً منه ومن سطوته .

فمثلاً ألا يأمل الأفراد أن يكون أحدهم كالإمام المرحوم البروجردى - (وهو أحد كبار العلماء المحبوبين) والذي يحلم الكثيرون برؤيته ، ويقبلون يده بكل خشوع ، ويعطونه أموالهم ، ويفتخرون بجوابه على سلامهم ؟ أليست هذه قيمة للإنسان ؟ وهل أن كل القيم تأتي من المال ؟ أو في الطرف الآخر يصبح الإنسان ملكاً يقف أمامه مئات الآلاف من الجنود والضباط - ولو لخوفهم منه - فيستعرضهم ويقدمون عرضهم احتراماً له .

وعلى أي حال فمثل هذه الأمور لها قيمتها لدى البشر ، ولو لم تكن كذلك ؛ لما ضحى الإنسان في سبيلها بكل شيء . وهذه أمور ليست بغير ذات بال .

وعلى هذا فجدور الاعتداء على حقوق الآخرين ، وسر الامتيازات ليست المال والثروة فحسب . على أن الأشياء الأخرى لا تقبل الاشتراك لجعلوها اشتراكية .



ثانياً؛ عندما يكسبون امتيازاتهم بوسائل أخرى؛ فإنهم - حتى في تلك المجتمعات الاشتراكية - سيحصلون على المال والثروة ، وتكون فرصتهم في الحصول على هذه الامتيازات أكبر بلا ريب . ففي روسيا مثلاً هل تساوى خروشوف والفلاح الروسي من حيث المال والثروة ؟ وحتى مع كونه مندوباً للطبقة الفلاحية ، لكنه على أي حال يقطع الدنيا هنا وهناك في أضخم الطائرات ، مع أن ذلك الفلاح لم يتفق له في عمره كله أن وفق لركوب طائرة من هذه المدينة إلى تلك .

فليس الامتياز الوحيد هو المال والثروة لتحل المشكلة عبر الاشتراكية في الثروة ، كما أنه ليست استفادة الأفراد من الثروة الاشتراكية على حد واحد مع اختلاف مقاماتهم .

وبالتالي فإذا ركزنا على أموال الدولة - وهي من الأموال العامة ، وليست ضمن الملكية الفردية - فهل يستفيد الأفراد منها بشكل واحد ؟ كلا . فالمدير العام - مثلاً - يستفيد من الخزينة العامة بعناوين مختلفة ، الأمر الذي لا يمكن لغيره أن يفعله .

علاوة على هذا فإن هناك أمراً لا يخلو من أهمية ، بل هو الأهم مما سبق ، فالمجتمع الاشتراكي يحتاج إلى أنماط من الإيثار والتضحية وغض النظر عن المواهب المادية . كأن يكون أحدهم جندياً ، وعليه الدخول إلى ميدان الحرب والتضحية بالنفس . وفي مثل هذه الحال لا معنى لتحكيم المنافع المشتركة ، وإنما يجب الاعتماد على المبادئ والعواطف وغيرها ليضحي الجندي بنفسه في سبيلها . وهنا نجد أشد المبادئ مادية في حاجة ماسة للجوء إلى نوع من المعنويات ، ولو على أساس جعل المسلك نفسه معبوداً ومحبواً قيماً ، يضحي الفرد لأجله . وهذا نوع من المعنويات .

إن مسلكاً يبني كل شيء على أساس الاشتراك في المنافع المادية

والحفاظ عليها ؛ لا يمكنه أن يكون مسلماً جامعاً ، بل لا يمكنه - أساساً - أن يكون مذهباً عملياً ، ولهذا فإن هذه الحاجات تطرح مسألة مجموعة من المعنويات ، فسلوك القادة الماديين الشيوعيين - مثلاً - بالنسبة للشعارات والعلائم المتعلقة بالمذهب له حالة متميزة . إنهم يسلكون على النحو الذي يجعل المذهب فوق كل شيء ، في حين أنه - وفقاً لما تنبؤ - لا يكون المذهب إلا وسيلة للوصول إلى المنافع الحياتية . فإنه - في التصور المادي - لا يعود المذهب إلا خارطة يعمل المهندسون وفق مخطّطها لكي يتم البناء . وليس لها في قبال البناء أي جانب تقديسي مطلقاً . إن أفضل الخرائط ينظر إليها نظرة ثانوية في قبال أصل البناء ، ولذا فلا يتصور أن نضحي بالبناء في سبيل الحفاظ على الخارطة ، لأنها هي بدورها لصالح البناء . والمسلك المادي - في أفضل حال - إنما هو وسيلة لبناء المجتمع ، فلماذا تتحول المادة إلى صنم يعبد ؟ إن الخارطة لصالح البناء ، والبناء بدوره لمصلحتي ، فلماذا أضحي في سبيله ؟

إن هذا ممّا لا معنى له ، ومع ذلك نجدهم ينظرون إلى مذهبهم على أنه وسيلة لبناء المجتمع من جهة ، ولصالح حياة الأفراد من جهة أخرى ، وكأنه أمر له قيمته وقديسيته وعظمته ، يفتخر الإنسان بالتضحية في سبيله ورغم أنه أمر لا مبرر له ؛ ولكنهم مضطرون لهذا المعنى فهم يغرسونه في الأفراد ولو بنحو التلقين .

وعلى هذا التصور وهو عدم استغناء أي مجتمع كان عن مجموعة من الأهداف المعنوية أو (القيم المعنوية) - كما يعبر عنها حديثاً - يجب أن نعرف حقيقة هذه القيم المعنوية ، هل هي أمور واقعية أو هي مجموعة من التلقينات والخداع للأفراد السذج ، تماماً كما يقال بالنسبة للوطن والشعب ، وأمثال ذلك حيث يطرحون هذه الشعارات الفارغة لخداع السذج البسطاء ؟

نعم يجب أن نعرف حقيقة هذه القيم المعنوية التي يعطيها الإنسان قيماً عظمتي ، إلى الحد الذي يضحى معه بكل منافعه المادية في سبيلها . وهنا يبرز هذا السؤال : ماهي (القيمة) ؟

إن الإنسان يقوم بأعمال إرادية ، ولكل عمل اختياري هدف ، وعندما يستهدف الإنسان شيئاً فإن ذلك الشيء له أهميته وقيمه لديه بلا ريب ، سواء كان هذا الهدف مادياً أو معنوياً . بمعنى أن للهدف جاذبية للطبيعة الإنسانية ، وإلا فمن المحال أن يتحرك ويسعى الإنسان نحو هدف لا يجذبه إليه . فقد قيل أن العبث المطلق لغو ، واللغو المطلق محال صدوره من الإنسان ، وكل ما نسميه عبثاً فقد يكون من حيث المبدأ الفكري والعقلي عبثاً ، ولكنه من حيث مبدأ آخر يصدر عنه ليس عبثاً . ففكرة الخيال - مثلاً - محرك نحو هدف ما . إن قوة الخيال تصل إلى هدفها بينما تعجز القوة العاقلة .

لا ريب في أنه يكمن في الأمور المادية شيء نافع لحياتي . ولما كنت أحب حياتي هذه حباً غريزياً وبالطبع ؛ فإنني أتحرك باتجاهه . لأن له قيمة لدي ، وإن كانوا لم يصطلحوا بعد على إعطاء قيمة للأمور المادية ، ولكننا نقصد القيمة بمعناها الأعم من الأمور المادية . فالطبيب له قيمة لدي لأنه يساعدني في الخلاص من المرض ، والدواء له قيمته ، والغذاء كذلك لأنه يحلّ محل ما يفقده الجسم من الخلايا .

بعد هذا نصل إلى الأمور المعنوية التي لها ما يوازيها من الماديات في الخارج . فما هو الحال فيها ؟

إن الأمور المادية هي الأمور الجسمانية واقعاً والنافعة للجسم ، بأن تكون هي بنفسها من الأجسام مثل الغذاء ، أو أنها ليست بجسم ، ولكن الجسم وسلامته تتعلق بها كالرياضة . ذلك أن الإنسان يهتم بسلامة بدنه ، ولما كانت الرياضة توجب سلامته فهي ذات قيمة لديه ... أما عمل

الخير - بالنسبة للآخرين - دون أن تكون فيه للإنسان منفعة مادية ولكنه عموماً يشكّل خدمة للمجتمع ، والجيل الآتي فما هو الموقف فيه ؟  
 كأن يشتغل إنسان ما في مؤسسة ثقافية ، ويبذل جهوداً جبارة لكي يخدم الجيل الآتي من هذا الشعب . وبشكل لا يعود على شخصه بأي منفعة ، بل له ضرر أيضاً لأنه يستهلك من وقته وعمله ، ويمنعه من الكسب الأكثر ، فكيف ندرس هذه الحالة ؟

إن مسألة المعنويات مسألة هامة في حياة الإنسان ، وهنا يطرح هذا السؤال نفسه : هل أن الإيمان بالأمور المعنوية ينحصر بالإيمان بالله ؟ وهل أن الإيمان بالله يقع في أول قائمة الإيمان بالمعنويات ؟ أو أنه لا مانع من أن لا يكون في البين إيمان بالله ؟ في حين تتحكم بالحياة الإنسانية مجموعة من القيم المعنوية .

هناك جملة وردت في كتاب (أصالة الإنسانية) لسارتر نقلاً عن داستويوفسكي الكاتب الروسي المعروف إذ يقول :

«إن لم يكن هناك واجب الوجود ؛ فكل شيء جائز» بمعنى أننا إذ نقسم الأعمال إلى حسن وسيء فنقول : هذا فعل حسن يجب فعله ، وهذا قبيح يجب تركه ، وإذ تفرض الجوانب المعنوية - طبيعة - أن نصدق وأن لا نكذب ، وأن لا نخون المجتمع بل نخدمه ، فهذا كله تابع للاعتقاد بالله وواجب الوجود . فإذا لم يكن هناك واجب الوجود ؛ فكل شيء جائز ، أي أن كل شيء مباح لنا ، ولا معنى للمنع والردع ، وما ينبغي وما لا ينبغي ، فكلها تنتفي من قاموس الحياة . فهل أن الأمر كذلك ؟

هناك خصلة حسنة في فعال الماركسيين ، وهي أنهم لا يسعون خلف المسائل المعنوية ولا يدعونها - لأنهم ماديون - ولا يتحدثون عن الإنسانية ، وإذا ذكروا الإنسانية السالمة وضحوا أنهم يقصدون المجتمع اللاتبيقي ، لأن الإنسان في نظرهم إما سالم أو ذو عيب ، فالناس

لأجل الملكية والتفاوت الطبقي يفسدون . فإذا رفعنا الملكية ؛ عاد الناس إلى حالتهم الأولى ، ولا كمال آخر للإنسان ، ولا مجال آخر للرقى والتكامل في المجال المعنوي .

فيكفي الإنسان أن لا يفسد بواسطة الملكية ، أن لا يكون عابداً للمال . ولكن المذاهب المادية الحديثة نجدها مادية من جهة ، وتدعي الإنسانية من جهة أخرى .

فمثل سارتر وغيره يبني مذهبه على الأمور المعنوية ، ويعتمد على مبدأ (المسؤولية) فكيف يكون ذلك ؟

إنهم يعتقدون من جهة بأن الإنسان حرّ وأن ليس هناك أي شيء يتحكم في مصيره لا إلهي ولا طبيعي ، وأن الإرادة الإنسانية لا ترتبط مطلقاً بالماضي ، فالإنسان هو الذي يصنع نفسه ، لا البيئة ولا القدر ولا الله ولا غير ذلك ، فهو مسؤول عن نفسه ، ولأن كل عمل يؤديه الإنسان يقوم به على أنه عمل حسن - وهو أمر صحيح ، بمعنى أن الإنسان حتى عندما يأتي عملاً سيئاً فإنه لن يفعله ما لم يعطه عنواناً حسناً ليقنع به وجدانه - ولو بلحاظ خاص ، أنه يجعله مما ينبغي في وجدانه .

وعلى هذا فهو يقول - أي سارتر - إن كل عمل يختاره الإنسان عمل جيد ، أي يدل - كما يصطلح عليه طلاب العلوم العقلية والنقلية - بالدلالة الالتزامية على أنه حسن . فعندما أقوم بعمل فكأنني أقول للمجتمع : بأن عملي حسن ، ويجب عمله وينبغي أن تعملوا مثله ... أنه يقول : إن كل عمل جزئي يحمل في مضمونه طابعاً كلياً ، بمعنى أن كل عمل يؤديه الإنسان بشكل فردي فإنه يريد أن يقول للمجتمع : هكذا يجب أن يكون العمل ، وعندئذ يجبر المجتمع على هذا السلوك ، بمعنى أن كل إنسان يعتبر عمله نموذجاً يحتذى . فالإنسان إذن مسؤول عن نفسه وعن الآخرين ، ذلك لأنه يعطي عمله قيمة ويراه حسناً . ومن هنا فهو يدعو الآخرين إليه .

وهنا يطرحون مسألة (المسؤولية) فيرون كل فرد في هذا العالم مسؤولاً عن نفسه والآخرين . فلنلاحظ الآن هذه المسؤولية : ماهي ؟ وما معناها ؟ إن المسؤولية ليست أمراً مادياً ، إنها أمرٌ معنوي بالمعنى غير المادي . ومن الطبيعي أن نقول : أن يصبح الشخص موضعاً للتساؤل يتطلب البحث عن شخصية المحاسب ومن هو ؟ يجب أن يجيب الماديون على مثل هذا السؤال . فيقولون مثلاً : إن للإنسان وجداناً يحاسبه ، مثل النفس اللوامة في المنطق الديني . وفي الواقع يمتلك الإنسان شخصيتين ، إحداهما حيوانية والأخرى إنسانية ملكوتية . فإذا قام بفعل قبيح ، عاتبت الشخصية الثانية الشخصية الأولى ، ولكنهم ينكرون مثل هذا الوجدان ، فإذا لم يكن شيء من هذا القبيل فأين هو مركز المسؤولية ؟ وبغض النظر عن مركز المسؤولية ، فإذا لم يستطيعوا إثباتها ؛ فإنهم يقولون بها على أي حال ، وكما قلنا فإن المسؤولية أمرٌ معنوي : فأنا مسؤول أمام أفراد البشرية ، وأنا مسؤول أمام الجيل الآتي وأمثال ذلك ، ماذا يعني ؟ إنهم يسلكون مسلكاً مادياً ، ومع ذلك فهم يسعون لطرح الإنسانية والمعنوية للإنسان ، ويلزمونه بهذه المعنوية . كل ذلك بغض النظر عن الإيمان بالله ، بل نجدهم يقولون : إذا آمنا بالله ؛ ذابت كل هذه المعنويات ، ذلك إن سرها جميعاً هو حرية الإنسان ، فإذا آمنا بالله ؛ انتفت الحرية ، فإذا لم تكن هناك حرية فلا معنى للاختيار ، وبالتالي فلا مجال للمسؤولية . ولأنه لا يوجد في البين إله ، ولكون الإنسان حراً فالمسؤولية غير موجودة في حياة الإنسان .

وهكذا نجدهم يسعون للاعتقاد بنوع من المعنويات المسلكية لا الفلسفية ، رغم أن مذهبهم مادي ، فهل ترى ذلك ممكناً أم لا ؟ قد يقول أحد : ما المانع من أن لا نعتقد بالله مع الإيمان بنوع من المعنوية ؟ ذلك لأن جذور المعنوية متوفرة في الوجدان الإنساني ، بغض النظر عن منشأ

البناء الإنساني ، فهي ليست إلهية ، ولكنها موجودة ، بمعنى أن الإنسان مهما كان يملك من وجدان فهو يلتذ بمجموعة من الأعمال الحسنة ، وينفر من مجموعة من الأعمال القبيحة ، ولذا فإن الإنسان يؤدي العمل لا لأجل منفعه المادية وإنما لأنه يلتذ به ، وعليه فلذات الإنسان لا تنحصر بالذات المادية ، بل لديه لذات معنوية ، فهو يلتذ للعلم رغم أن لا يعود عليه بشيء ... يلتذ لمعرفة التاريخ والاطلاع على أحوال الماضين ، أو الجغرافية أو رؤية أعماق البحار ، رغم أنه يعلم - على الفرض - أن هذه المعلومات لا تعود عليه بشيء من الفائدة ولا تضيف إلى دخله المادي شيئاً ، ولكنه يلتذ بهذه المعرفة أنه خلق - على أي حال - بشكل يلتذ عند المعرفة .

كما أنه خلق بشكل يلتذ معه بالأمور الأخلاقية حتى ولو لم تعد عليه بأية منفعة مادية ، لأن الإنسان يقوم بالعمل ليلتذ . منتهى الأمر أن هناك لذة مادية وأخرى معنوية .

فهذا أبيقور - وهو من قدماء الفلاسفة - يعتبر من أنصار اللذة ، أصالة اللذة ، وإن كانوا يعبرون عنه عادة بأنه من أنصار (اغتنام الفرصة) - كما جاء في التعبير المنسوب للخيام - ويقصدون الالتذاز والتمتع الطائش الظاهري واغتنام أية فرصة في الأكل والشرب ، وأية لذة مادية ، ولهذا فقد عرف مذهب (اللامبالاة) بعد ذلك بالمذهب الأبيقوري ، إلا أنهم يقولون المذهب الواقعي لأبيقور لم يكن كذلك ، أنه لم يحصر اللذات بالذائد الحيوانية ، وإنما يعتقد بوجود مجموعة من اللذائد المعنوية ، ويعتقد أن اللذائد المعنوية أكثر دواماً وأقل تألماً من اللذائد المادية .

فما المانع من أن نقيم المعنوية على أساس الوجدان الإنساني الملتذ بالأعمال الأخلاقية حتى لو لم يكن هناك إله في البين ؟ فالإنسان - مثلاً - يلتذ بالجمال دون أن تكون له أية منفعة مادية تعود على جسمه بالنفع .

ونحن نجد الإنسان يلتذ بمنظر باقات الزهور التي يزين بها منزله ولها قيمتها لديه ، في حين أن المنظر بنفسه ليس مادة يصل إليها الإنسان ، ولا تعود على الجسم بأية منفعة ، إلا أنه يعود على النفس الإنسانية بالفائدة والمتعة . فالإنسان إذن ينتفع بها ويلتذ . وهكذا لو كان هناك طائر شجي الألحان يملأ البستان نغماً فإن له قيمته لدى الإنسان ، ويلتذ به في حين أنه لا النغم أمرٌ مادي يصل إليه ولا ينتفع جسمه به وإن كانت نفسه تلتذ به .

وهذا الكلام - إلى حد ما - صحيح ولكن يواجه اعتراضين :

الأول : إن مثل هذه الأنماط من الوجدانيات ليست قوية ، إلى الحد الذي يمكن أن يبنى على أساس منه مذهب يستطيع أن يحصل برنامجاً التربوي ، إلى الحد الذي يضحى فيه الإنسان بمنافعه للصالح العام ، أو إلى المستوى الذي يضحى الإنسان فيه بنفسه في سبيل ذلك . كلا فليس يمتلك هذا المستوى من التأثير .

وفي الواقع أن الإنسان إذا كان يؤدي عملاً للذة فقط ولو للذة المعنوية؛ فإنه يقف عند حد الموت ، وقد يصل إلى حد الرضوخ للسجون المتوالية ، فيصبح الأمر لديه عادة وتفنناً ، ولكنه لا يستطيع أن يشكل حاجة بشرية عميقة ، وهي التي يحتاجها المذهب التربوي لكي يدفع الأفراد المعتقدين به إلى (التضحية) و (الفداء) ، تماماً كما لا نجد في العالم إنساناً يضحى بنفسه في سبيل بقاء باقات الزهور في بيته ، ذلك أنه يريد الزهور ليلتذ بها لا العكس . وهكذا بالنسبة للتعاون الذي يبديه للآخرين . فإذا افترضنا أنه يلتذ بهذا العمل ولذا يقوم به ، وولاًؤه لمثل هذا العمل هو بمقدار التذاده؛ به فإنه سوف لن يقدم على التضحية بنفسه في سبيله لأن ذلك لا معنى له .

فصحيح إذن أن الإنسان يلتذ في عمق وجدانه بالأعمال العامة



والحسنة . والقرآن الكريم نفسه يقبل هذا الوجدان ، ولكن هذا المقدار من الوجدان لا يكفي لأن يشكل أساساً وخميرة لمذهب ما . فحاجة المذهب للإيمان بالمعنوية هي بمستوى أعلى بكثير وأسمى . فإذا قال أحدهم مثلاً: «إن الحسين انطلق إلى كربلاء وضحى بنفسه وشبابه وقدم نساءه وأطفاله للأسر ؛ لأن وجدانه كان يلتذ بالخدمة التي يقدمها للناس» كان هذا الكلام باطلاً ، ذلك أن اللذة تعود في النهاية لنفس الإنسان وبالتالي فهي لا تنسجم مع فقدان الذات .

الثاني : إن لم يكن هناك إله في العالم ، ولم يكن هناك أي هدف لهذا النظام ، وإن لم تكن هناك أية رابطة باطنية بين الأشياء والأفراد؛ فبالإمكان أن يقال أن هذه اللذة التي عُجِّتَ بها هي مجرد غلط في الطبيعة ، فهي أمر موجود فينا ، لكنه اشتباه طبيعي محض ، ذلك أن أية لذة من اللذات المادية إنما هي لأجل الحاجة الطبيعية لها لا غير .

يقول شو بنهاور : «إن الطبيعة لكي تخدع الأفراد وتقودهم إلى مقاصدها ؛ عجنّت الإنسان بلذائذ ، وهي بالتالي تخدعهم وترسلهم خلف مقاصدها وأهدافها» .

فالتبيعة - مثلاً - تستهدف أن يبقى النسل الإنساني . فإذا راحت تأمر الإنسان بأنه لكي يبقى النسل ، عليك أن تمتلك عائلة وتعيّلها كادحاً . فإن الإنسان العاقل لن يفعل ذلك ولكن لكي تخدع الإنسان وترسله خلف مقاصدها ، فقد غرست في أعماقه اللذة لينطلق بنفسه برغبة واختيار ، وبكل شوق نحو الزواج . فعلى أي حال كل لذة تنبع من حاجة . فإذا كنا نلتذ بطعام فلأن طبيعتنا تحتاج إليه ، وإذا لم نكن نلتذ لم نقدم على الأكل ، وإننا نلتذ بشرب الماء لأن طبيعتنا تحتاجه ، وهكذا نلتذ بالنوم ، فكل لذة هي على أساس حاجة واقعية ، وكذلك كل ألم يقوم على أساس مانع طبيعي .

فلسفة اللذائذ المادية واضحة ، وهي أعمال حكيمة في الطبيعة ،  
ولكن ماهو الحال بالنسبة للذائذ المعنوية ؟

لماذا ألتذ من شبع طفل يتيم وما علاقة ذلك بي ؟ أنه يلتذ ، فلماذا ألتذ  
أنا ؟ إن هذا الالتذاذ شيء شبيه بالخواء واللغو ، بمعنى أنه لا حكمة وعلّة  
لذلك في وجودي أنا ، فهي بلا دليل . فإذا قلنا بوجود نوع من الروابط  
والعلائق في نظام العالم والخلقة ؛ فهو يعمل على أساس ، من الحكمة ،  
كانت هناك بيني وبين الأفراد الآخرين علاقة في أصل الخليقة ، وكنا  
جميعاً أعضاء لجسم واحد . ولذا فأنا أسعى على أساس مبدأ متقن في  
الخلقة . أما إذا كانت هذه اللذة بالصدفة ، كأن أكون قد خلقت صدفة بنحو  
يجعلني ألتذ من إيصال الخير للآخرين ، حتى ولو لم تكن هناك أية فلسفة  
من هذا الالتذاذ ، فإن الأمر بالتالي ينتهي إلى الخواء واللغو . بمعنى أن  
الطبيعة لم تكن ذات هدف في غرسها هذه اللذة ، وها أنذا أسعى خلف هذا  
العمل الطبيعي اللغو ، وأفدي نفسي في سبيله ، فأنا أضحي بنفسي مثلاً -  
وأنا جندي - للوطن لأنني ألتذ بذلك . ولكن ما هي اللذة نفسها ؟ لا أدري ...  
ولكنني هكذا بنيت تماماً كأن يولد الإنسان وفي يديه أصابع ستة ،  
فالطبيعة في هذه الحال قامت بعمل خاطيء لا معنى له ، وعلمي أنا بالتبع  
مما لا معنى له . وهذا في الواقع ليس قيمة ولا هدفاً .

إن الشيء الذي يكمن فيه هدفي ، والذي يقوم على أساس من لذة  
غرس خطأ في أعماقي فهي بلا هدف ، لا يمكنه أن يخلص حياتي من  
العبثية . فنحن إذن في نفس الوقت الذي نقول بالوجدان الأخلاقي ، وأن  
الإنسان يلتذ بالفطرة من العمل الحسن ، وينفر من العمل القبيح ، فإننا  
نؤمن بأنه لو لم يكن في البين إله وخلقة هادفة فإن عملنا لن يتخلص من  
العبث مطلقاً .

إنني أعتقد أن الوجدان خلقه الله في أعماقنا لكي نقوم بأعمال هادفة .

إنني أنا وهذا اليتيم وهذه العجوز - أعضاء في متن الخلقة لجسم واحد ، وأجزاء لخارطة واحدة ، وأطروحة معينة تتبع مشيئة أزلية واحدة ، ونسير نحو حكمة واحدة . فنحن إذن نؤمن هدف الخلقة وهدف خالق الخلقة ، وعندئذ فإن هذا الأمر المعنوي ليس عبثاً ، وإنما هو حقيقي واقعي . وعلى هذا فإن أي مذهب أو نظام فكري واجتماعي محتاج إلى مجموعة من المثل المعنوية . ولهذا نقول : إن الأيديولوجية بحاجة إلى القيم فوق المادية ، وإن هذه القيم يجب أن تكون أقوى إذا امتلكت نوعاً من القدسية . وعلاقة التقديس في أمر ما هو أن يراه الإنسان أمراً يضحى لأجله بنفسه فداء له .

فكل مذهب يحتاج إلى مثل هذه الأهداف والقيم المعنوية ، ولا يكفي مجرد الاشتراك في المنافع ، ولا يمكن إقامة مذهب إنساني جامع على أساسها ، كما تقوم الماركسية على مثل هذا الأساس . وكذلك فإنه لا يمكن - بدون الله - أن توجد مثل هذه المثل القيمة للإنسان .

إن المذهب الذي يدعي على لسان الشاعر :

إن السحاب والضباب والشموس والقمر

تسعى لكي تأكل خبزاً ضمن وعي وبصر

ويقول - كما جاء في القرآن الكريم :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(١)</sup> .

إنه يلقي عبء المسؤولية على كل ذرة ، ويرى أن كل شيء في الخلقة خلق لسبيل خاص ، وكلُّ مسؤول عن عمل . فالشمس لها عمل ومسؤولية ، وهي تقوم بعملها ، والسحاب المتحرك يقوم بأداء واجبه ،

فحركته تعني القيام بمسؤوليته ، وحركة الهواء تعني القيام بواجب ، وكذلك أن تقوم الشجرة بالإثمار .

هذا المذهب يجعل الإنسان مسؤولاً . إن الإنسان موجود مسؤول في بحرٍ من المسؤولية .

أما المذهب العاري من الهدف والغاية ، ولا يعتقد لأي موجود بمسؤولية ، وعندما يصل للإنسان فقط يجعل له وظيفةً وواجباً بحيث يشعر الإنسان واقعاً بأنه مسؤول ... مسؤول عن نفسه والآخرين ... وعليه أن يضحى في سبيل هذه المسؤوليات والمعنويات ، هذا المذهب سخيـف بلا ريب .

وإلا فلماذا هذه التضحية وعلى أي أساس ؟ إن أقصى ما يمكن أن يقال: إنه يفعل ذلك لاللتذاز ، وهي لذة عبثية تقوم بها الطبيعة هباءً . وعلى هذا فلا يمكن لأي مذهب -دون الاعتقاد بحكمة الخلقة- أن يصل إلى الايمان بالقيم المعنوية . في حين أن مثل هذه القيم هي من ضروريات أية حركة يريد إيجادها . إن الهدف يعني منتهى الأمانى ، بمعنى أن لا تكون الحياة الفردية منتهى أمله ، وإنما هو الأعمال الكبرى . فهذا رجل يتزوج حديثاً ويعمل على تشكيل عشه العائلي يأتي إلى الرسول الأكرم ﷺ ويخبره بأنه يتمنى الشهادة ويطلب من الرسول أن يدعو الله ليرزقه الشهادة .

إن المذهب يمنح الإنسان شأواً بعيداً من الأهداف ، بحيث يسعى نحوها ويطلب الشهادة في سبيلها . ومثل هذه الأهداف الكبرى لا يمكن أن تنسجم مع هذه التحليلات السخيفة ، فلا يمكن أن يصنع الإنسان هكذا . فبدون المثل العليا لا يستحق أي مذهب تربوي أن يطلق عليه إسم (المذهب) .

## ضروري الدين والسيرة

✽ السيد هاشم الهاشمي

في البداية يلزم أن نذكر ، وكما ذكره العلماء ، بأنه يعتبر في تحقق إسلام الشخص وصدقه في عرف الشارع والمتشعبة . الذي تترتب عليه أحكام الإسلام من المواريث وحقن الدماء وحل الذبائح والطهارة ، الاعتراف والشهادة بوجوده تعالى ووحدانيته ، والاعتراف والشهادة بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ورسالته ، ويكفي الاقرار الظاهري الصوري للشخص باظهار الشهادتين ، في صدق الإسلام وترتيب أثره ، ولا يتوقف على العلم بوجود الاعتقاد القلبي والايمان الحقيقي الذي هو المناط في صدق الايمان والفوز في الآخرة للاخبار ، التي دلت على كفاية اظهار الشهادتين والاعتراف بهما في ترتيب الآثار المذكورة .

وصدق الإسلام ، وسيرة المؤمنين على التعامل معهم معاملة الإسلام ولكن قد توسع في لفظ الكفر في النصوص حيث اطلق على

ما يقابل الإسلام ، وكذلك على ما يقابل الايمان ، وأيضاً اطلق على ما يقابل الاطاعة أي المعصية حيث اطلق على من عصى حكماً شرعياً الزامياً ، ترك الواجب وفعل الحرام ولكن حديثنا حول المعنى الأول فحسب وهو ما يقابل الإسلام ، إذن فإنكار المعتقدات الأساسية أي الاعتقاد بالله والرسول ﷺ أو الجهل بها ، موجب للحكم بكفر جاهلها أو منكرها ، حيث يعتبر كافراً في عرف الشارع أو المشرعة ، وأن كان جهله عن قصور ، بل وان رفع العقاب عن بعضهم لأجل جهلهم عن قصور ، ولكن لا يرفع عنهم اسم الكفر<sup>(١)</sup> . وبذلك يظهر ان رفع العقاب عن بعض لا يعني أن مبدأهم على حق ، كما تذهب إليه بعض اتجاهات التعددية الدينية ، وان جميع الأديان بل بعض المبادئ غير الدينية أيضاً على حق . ومن أدلتها رفع العقاب عن بعض أتباعها ، وذلك لأن الأدلة القطعية الكثيرة تدل على أن الحق منحصر بعد بعثة الرسول ﷺ بالشرعية المحمدية الأصلية دون غيرها من الأديان والمبادئ ، وبمقتضى الأدلة والأحاديث اليقينية الكثيرة وحديث الثقلين المتواتر عن الرسول ﷺ : «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا» .

ان الحق والإيمان الحقيقي وعدم الضلال منحصر بالتمسك بالقرآن الكريم والعترة (أهل البيت ﷺ) ، وبقية الكلام في المقال الذي كتبناه عن التعددية الدينية ومناقشتها .

ولكن إنما يكفي الاعتراف بالشهادتين في صدق الإسلام شرعاً ، بحيث تترتب عليه الأحكام المذكورة ، فيما إذا لم يظهر ما ينافي هذا

(١) يلاحظ مصباح الفقيه ١ : ٥٦٤ ، والتنقيح في شرح العروة الوثقى ٢ : ٦٦ .

الاعتراف من القول أو الفعل الصريح الذي يدل على عدم اعترافه بهما ،  
كما في المرتد ، وإلا فلا تجدي هذه الشهادة والاعتراف .

وفي هذه الدراسة أبحث : هل أن أنكار الضروري كإنكار هذه  
المعتقدات ، قولاً أو فعلاً ، موجب للكفر والخروج عن الإسلام بحيث حتى  
لو أنكر الضروري عن جهل تقصيراً أو قصوراً يوجب الكفر أم لا ؟

وقبل البحث عن ذلك يجدر البحث عن معنى الضروري ، عند العلماء .  
وبعد ذلك استعرض آراءهم حول منكر الضروري وتحديد ما يوجب  
الكفر منه ، ثم أبحث عن الروايات التي يمكن الاستدلال بها على ذلك ،  
وبعده أبحث عن ضروري المذهب وحكم منكروه ، ثم أبحث عن سيرة  
المسلمين والمتشعبة وتحديد ما هو الحجة وغير الحجة منها .

#### معنى الضروري :

يظهر من العلماء ، أنه لا يكفي في صدق الضروري العلم بكونه من  
الدين ، بل لابد أن يكون من الواضوح بحيث لا يخفى على كل مسلم ، ولا  
يحتاج للبرهان عليه ، بل وحتى غير المسلمين أو بعضهم ، وخاصة  
المقاريين للمسلمين ، يعلم بأن بعض الأحكام والمعتقدات من ملازمات  
الإسلام وضرورياته ، بحيث يستلزم انكارها من قبل المسلم ، لإنكار  
الدين والرسالة ، وتكذيب الرسول ﷺ ، لذلك لا يقبل من المسلم ، الذي  
نشأ في بلد المسلمين منذ صغره ، لو أدعى جهله وعدم معرفته به ،  
كوجوب الصلاة والصوم والحج والزكاة وحرمة الزنا والخمر ، نعم قد  
يقبل ذلك ممن تحكمت شبهة في نفسه أو جبت الانكار ، فيما لو كان هناك  
دليل معتبر يدل على وجود هذه الشبهة من الجهل أو القصور أو امكان

وجودها فيه ، لذلك يقبل ادعاء الجهل ممن كان جديد عهد بالإسلام ، أو بعيداً عن ديار المسلمين ، ولا يقبل ممن كان مسلماً ونشأ في بلد المسلمين ، فإن جهله يتنافي واقعه .

وقد ذكر هذا المعنى للضرورة ، المحقق الهمداني في مصباح الفقيه ، في مجال حديثه عن ضرورة الفرائض الأصلية في الإسلام ، الجرية مجرى العادة من عدم اختفاء شرعيتها على أحد من المسلمين بل يعرفها كل من قارب المسلمين فضلاً عما تدين بهذا الدين ، وإنكار وجوب الصلاة لشبهة مجرد فرض لا يتحقق له مصداق في الخارج<sup>(١)</sup> فالعادة تقتضي أن يعرف كل مسلم هذه الضروريات ، وعبر السيد الخوئي عنها (وكان من جملة الواضحات)<sup>(٢)</sup> .

ويمكن تعريف الضروري بأنه عبارة عما ثبت من الدين ، وكان ثبوته من الواضحات ، بحيث لا يخفى عادة على كل مسلم ، بل حتى بعض غير المسلمين ، يعلمون بأنه من ملازمات الإسلام ، ويستلزم إنكاره - مع العلم بأنه ضروري - لانكار الدين والرسالة وتكذيب الرسول ﷺ ، ما لم تكن شبهة ممكنة في حقه أوجب إنكاره .

ومن هنا نعلم بأن مجرد العلم بكون الحكم من الدين ، أو قيام الدليل المعتبر على شرعيته ، لا يعني ضروريته ، كما أن الثبوت الشرعي ، لا يختص بالضروري ، بل يشمل موارد العلم والدليل المعتبر ، ففرق واضح بين وجوب الصلاة نفسها ، فإنه ضروري الثبوت ، وبعض خصوصيات الصلاة ، حيث تقوم أدلة معتبرة ، أو علمية على شرعيتها .

(١) مصباح الفقيه ١: ٥٦٦ .

(٢) التنقيح في شرح العروة الوثقى ٢: ٦٧ .



ويجدر أن نذكر : أنه إذا قام خبر الثقة أو الموثوق به على حكم أو معتقد أو حدث ، مع امكانه عقلياً أو عقلائياً ، وعدم استحالته ، فيساهم الامكان العقلي والعقلائي ، مع وجود النص المعتبر على اثباته أو شرعيته ، وهذه القاعدة (مشاركة الامكان مع الدليل المعتبر على الوقوع) قاعدة عقلائية ، في اثبات الشيء حكماً أو اعتقاداً أو حدثاً ، وخاصة لو قلنا بأن المعتبر والحجة الخبر الموثوق به ، فيكفي في اثباته حصول الوثوق والاطمئنان بوقوعه . وان لم يوجد نص معتبر السند ، فيكفي اقترائه بقرائن توجب الوثوق ، لذلك قد نتوسع باعتبار الرواية والخبر فيما إذا حصل الوثوق والاطمئنان بصدقه وان لم يكن معتبر السند ، فلا تتحدد بحدود اعتبار السند إذا حصل الوثوق به بسبب بعض العوامل والقرائن الموجبة له ، امثال شهرة القدماء ، واتفاق العلماء والمتشريعة .

وخلاصة الكلام في آراء العلماء حول المسائل العقائدية والقضايا التاريخية :

هناك قسمان للمسائل العقائدية :

القسم الأول من المسائل العقائدية : وهي اصول الدين ، يجب تحصيل اليقين بها ، كما يجب الاعتقاد بها تفصيلاً ، وإنما وجب ذلك عقلاً ، لتوقف التمسك بالدين عليه ، ومن جردها ، ولو عن قصور خرج من الدين ، كما ذكرناه ولا يمكن التعبد للأدلة النقلية فيها . كما هو موضح في محله .

القسم الثاني : سائر المسائل العقائدية ، كتفصيلات البرزخ وأحوال الصراط وخصوصيات الجنة والنار مثلاً ، حيث لا يتوقف عليها أصل التمسك بالدين ، إذ يمكنه التمسك بها حتى لو لم يعرفها أو يعتقد بها ، وإن

كان لها تأثيرها في زيادة ايمانه ، ويمكن التعبد والتسليم فيها للأدلة النقلية الشرعية ، والمطلوب في هذه المسائل الاعتقاد بها ، لا تحصيل اليقين فيها<sup>(١)</sup> ، ولكن لو حصل (اليقين) بها ، وخاصة لو بلغ حد (الضرورة) ، كما ذكره حول المعاد والمعراج الجسمانيين ، وجب عليه الاعتقاد بها تفصيلاً<sup>(٢)</sup> ، ولا يجوز له انكارها ، لأنه من انكار الضروري - بعد ثبوت ضروريته - وكذلك لو حصل العلم بها من أخبار النبي ﷺ ولا يجوز رده ، لأن رده يعني تكذيب الرسول ﷺ<sup>(٣)</sup> بعد ثبوت العلم بصدوره من رسول الله ﷺ ، لذلك لا بد من اثبات ضرورية بعض المعتقدات والأحكام ، أو العلم بصدورها ، ليصدق على انكارها انكار ضروري أو المعلوم الصدور .

وأما لو حصل (الظن) بتفصيلاتها وخصوصياتها . فإذا كان (الظن معتبراً) كخبر الثقة أو الموثوق به ، عن أحد المعصومين عليه السلام مثلاً ، لزم الاعتقاد بمضمونه ، كبعض تفصيلات البرزخ حيث دلت عليها روايات معتبرة<sup>(٤)</sup> ، أو يحصل الوثوق بها من خلال بعض العوامل التي أشرنا لبعضها .

وأما إذا كان الظن (غير معتبر) كما لو قام على بعض التفصيلات (خبر ضعيف) فلا يحق لنا الاعتقاد بمضمونه ، ولكن بما أن المطلوب في هذا القسم الاعتقاد لا المعرفة التفصيلية ، فعليه الاعتقاد بما هي عليها في واقعها ، والملاحظ ان الاعتقاد بمختلف اشكاله ، مقدور للنفس . لما تملكه

(١) نهاية الأفكار ٢: ١٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، وحاشية الخراساني على الفوائد : ١٠٤ .

(٣) عناية الأصول ٣: ٣٨ ، بحر الفوائد : ٢٧٦ .

(٤) منتهى الدراية ٥: ١٠٩ .

من قدرات ، فمثلاً لو قامت رواية غير معتبرة على بعض تفصيلات البرزخ ، فلا يحق لنا الاعتقاد بمضمونها ، بل علينا الاعتقاد بما هي عليها في واقعها<sup>(١)</sup> وتسمى مثل هذه المعرفة (المعرفة الاجمالية) أو (الاعتقاد الاجمالي) .

بل ان بعض العلماء ذهب إلى أنه حتى مع قيام الدليل الظني المعتبر على التفصيلات يجوز لنا الاعتقاد بتلك المسألة بما هي عليها في الواقع ونفس الأمر ، ولا نعتقد بمضمون هذا الدليل الظني المعتبر ، ولكن لا يجوز لنا رد هذا الدليل الظني المعتبر وانكاره ، لأن فيه رداً وتكذيباً لأدلة اعتباره<sup>(٢)</sup> .

وعلى كل حال فإذا ثبت المعتقد عند أحد أنه من الدين ضرورة أو يقينا أو صدوره من الرسول ﷺ فلا يجوز انكاره ، لأن فيه تكذيباً للرسول ﷺ ، مع استلزامه لانكار الرسالة وتكذيب الرسول كما هو الحال في انكار الأحكام العملية التي ثبت صدورها عن الرسول ﷺ يقيناً ، ولعل ذلك يشمل القضايا التاريخية التي ثبت وقوعها أو صدورها ضرورة أو يقيناً ، فلا يجوز انكارها ، وخاصة إذا ترتب عليها اثبات الدين أو المذهب الحق ، ورد مخالفينهم وأعدائهم .

ولكن الدليل الظني المعتبر القائم على المسائل العقائدية أو القضايا التاريخية ، إنما يثبت جواز الاعتقاد ، أو حرمة الانكار في المسألة العقائدية أو جواز الاخبار وحرمة التكذيب في القضية التاريخية ، لأن الاعتقاد والاخبار والانكار والتكذيب ، من أفعال الإنسان الاختيارية

(١) نهاية الأفكار ١ : ١٨٩ ، منتهى الدراية ٥ : ١٠٩ .

(٢) غاية الأصول ٣ : ٣٨٢ .

المقدورة ، يمكن أن تتعلق بها أحكام شرعية ، والدليل الظني المعتبر ، إنما يثبت بدليل اعتباره ، الآثار والأحكام الشرعية المترتبة على أفعال المكلفين ، ولا فرق في أفعال المكلفين الاختيارية المقدورة بين الأفعال الجوارحية والعملية ، والجوانحية الاعتقادية ، ولا يجوز رد الدليل المعتبر أو انكار وتكذيب القضية التاريخية أو المسألة العقائدية ، مع أن المفروض امكانها عقلياً أو عقلائياً وقيام النص المعتبر عليها ، لأنه سيكون من الرد والانكار على النصوص والأدلة المعتبرة .

والحديث بتوسع حول آراء علمائنا حول مدى لزوم المعرفة والاعتقاد في المسائل العقائدية ، ومدى اعتبار النصوص والأدلة فيها وفي المسائل العقائدية ، يحتاج لدراسة أوسع ، تعرض لها علمائنا في مختلف بحوثهم الأصولية والفقهية ، وخاصة في مبحث دليل الانسداد من علم الأصول ، وقد لخصت آراءهم في مقال حول هذا الموضوع .

ومن الجدير أن نذكر : بأن (حكم) الضروري عند العلماء يشمل (ماعلم) انه من الدين . ولا يختص بانكار الضروري ، بل ربما يظهر من المحقق الأردبيلي ، شمول مفهوم الضروري لذلك لا حكمه فحسب ، قال (والظاهر ان المراد بالضروري الذي يكفر منكروه الذي ثبت عنده يقيناً كونه من الدين ولو كان بالبرهان ولم يكن مجمعا عليه)<sup>(١)</sup> .

فلا يختص مصطلح الضروري عندهم بما كان من الواضحات بحيث لا يحتاج لدليل وبرهان في اثباته ، بل يشمل ما علم أنه من الدين يقيناً ، وان ثبت ذلك بالبرهان ، وبعضهم استفاد هذا التعميم من نفس

(١) مجمع الفائدة والبرهان ٣ : ١٩٩ .

الضروري إذ لا خصوصية فيه ، بل لأجل أن الضروري يستلزم (العلم) بكونه من الدين .

ويظهر من البعض ، أنه لا يكفي في صدق الضروري<sup>(١)</sup> كون الحكم مجمعاً عليه ، ما لم يبلغ الاجماع درجة الضرورة ، بحيث يكون واضحاً عند الجميع .

قال الشهيد الثاني في شرح اللمعة (والمضابط : انكار ما علم من الدين ضرورة ويعتبر في ما خالف الاجماع كونه مما يثبت حكمه في دين الإسلام ضرورة ، كما ذكر لخفاء كثير من الاجماعيات على الآحاد ، وكون الاجماع من أهل الحل والعقد من المسلمين ، فلا يكفر المخالف في

(١) ومن الجدير ذكره، أنه لا بد من اثبات كون الحكم ضرورياً أو مقطوع الصدور ليشمله حكم منكر الضروري، ولكن ربما تطرأ على الحكم بعض العوامل والعناوين التي تسلب منه فاعليته وتنجزه كالعناوين الثانوية، كالاضطرار والهرج والضرر وامثالها، ولكن عدم المطالبة به في بعض الظروف لا يعني نفي ضروريته أو القطع بصدوره من الرسول (ص)، حيث يكون انكار كونه من الدين انكاراً للدين وتكذيباً للرسول (ص) ونبوته ورسالته.

أما الحديث حول تغير الأحكام وثباتها، ومجالات التغير والثبات في الشريعة، مما تحدثنا عنها في مقالات نشرت في اعداد سابقة من رسالة الثقلين، حيث بحثنا بالتفصيل حول بعض الآراء المنحرفة في هذا المجال، الذي ربما يدعيها البعض، من القول بتغير الشريعة بكل أحكامها ومجالاتها، حسب تغير الزمان والمكان، أو القول ببشرية السنة أو الوحي، وأنه تجربة بشرية، أو أنه محدد في زمانه، أو القول بالتعددية الدينية وان جميع الأديان والمذاهب الدينية بل بعض المبادئ غير الدينية، كلها حق. يجوز لكل إنسان اعتناق أي منها عن وعي واختيار. وأنها موجبة للنجاة في الآخرة، أو أن كل فهم من النصوص الدينية، كنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة صحيح ومشروع. حتى لو استلزم إلغاء الأحكام والمعتقدات الضرورية الثابتة كما تدعيه بعض النظريات في فهم النص، وأمثالها من الآراء التي تعرضنا لها في تلك المقالات وناقشناها، وإن لم ننكر وجود بعض المجالات المتغيرة في الأحكام، أشرنا إلى بعضها في تلك المقالات. حيث أن هناك أحكام وموضوعات متغيرة ولكن ضمن مبادئ معينة. إذن فنحن لا ننكر وجود بعض الأحكام المتغيرة، وبعض النصوص القابلة للاجتهادات والتفسيرات المتعددة، ولكن كلامنا في تلك الأحكام الثابتة الضرورية، والنصوص القطعية بعد ثبوت ثباتها، وضروريته، ونصوصيتها.

مسألة خلافية وإن كان نادراً<sup>(١)</sup>.

إذن فلا يكفي في الحكم أن يكون مجمعاً عليه ما لم يبلغ درجة الضرورة، والوضوح عند الجميع، لأن الحكم المجمع عليه قد يخفى على بعض المسلمين، بل ربما على بعض الخواص أيضاً، كما في تعبير المحقق الأردبيلي الذي سننقله.

ويلزم أن يكون هذا الاجماع بين أهل الحل والعقد أي بين العلماء، فلا يكفي الاجماع عند غيرهم، وبطبيعة الحال أن الضروري ما كان مجمعا عليه بين العلماء وغيرهم، لأنه مقتضى الضرورة والوضوح عند الجميع، وأما إذا لم يجمع عليه العلماء بل اختلفوا فيه، فلا يملك حكم الضروري.

وقال المحقق الأردبيلي في هذا المجال (فإن المدار - في حصول الارتداد - على حصول العلم والانكار وعدمه، إلا أنه لما كان حصوله في الضروري معلوماً غالباً جعل ذلك مداراً وحكماً به، فالمجمع عليه ما لم يكن ضرورياً لم يؤثر، فإنه قد يجهله العوام بل بعض الخواص أيضاً<sup>(٢)</sup>). ونقل في مفتاح الكرامة عن الشهيد الثاني في روض الجنان (وفي حكم استحلال ترك الصلاة استحلال شرط مجمع عليه كالطهارة أو جزء كالركوع دون المختلف فيه كتعيين الفاتحة<sup>(٣)</sup>).

ولعل الحاق الحكم المجمع عليه من باب أنه ما علم من الدين يقيناً، وإن لم يعلم به ضرورة، لما ذكرناه أن البعض ذهب إلى أنه لا

(١) الروضة البهية ٩: ٣٣٥.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان ٣: ١٩٩.

(٣) مفتاح الكرامة ١: ١٤٣.

خصوصية للضروري ، وإنما المهم العلم بثبوتة يقيناً من الدين ، وإنما ذكر الضروري من باب أنه المثال الواضح لا لخصر الحكم به<sup>(١)</sup>. لذلك إذا لم يوجب الإجماع العلم بثبوتة من الدين يقيناً ، أو لم يكن الإجماع حجة فلا يكون له هذا الحكم . كما يمكن القول بذلك في الكثير من الإجماعات المنقولة التي ناقش فيها العلماء .

#### الشبهة :

وقد ذهب العلماء إلى رفع حكم المرتد مع وجود الشبهة المحتملة ، والممكنة في حق المنكر ، ويقبل ادعاءه الشبهة فيما لو امكنت في حقه ، وقد مثلاً لإمكان الشبهة ، فيما لو كان المنكر جديد عهد بالإسلام ، أو كان بعيداً عن المجتمع الإسلامي ، كما لو كان في البوادي والأماكن النائية .

قال العلامة الحلبي (وان كان مما يخفى وجوبها عليه ، لأنه نشأ بالبادية أو كان قريب عهد بالإسلام عرّف وجوبها ولم يحكم بكفره)<sup>(٢)</sup>. وقال الشهيد في الدروس (ويكفر مستحل ترك الزكاة والمجمع عليها إلا أن يدعي الشبهة الممكنة)<sup>(٣)</sup>.

وقال الشهيد الثاني (ولو أبدى المستحل ، لترك الصلاة ، شبهة محتملة في حقه ، لعدم علمه بالوجوب كقرب عهده بالإسلام أو سكناه

(١) مجمع الفائدة والبرهان ٣ : ١٩٩ ، مستمسك العروة الوثقى ١ : ٣٧٨ .

(٢) التنكرة ٥ : ٧ - ٨ .

(٣) الدروس ١ : ٢٢٩ .

في بادية بعيدة عن أحكام الإسلام قبل<sup>(١)</sup>.

كما ذهب لهذا الرأي علماء آخرون في أبواب عديدة في الفقه ، من ان الاستحلال لشبهة ، يرفع حكم الاستحلال ، كما يظهر هذا الرأي من أمثال المحقق الأردبيلي وصاحب المدارك<sup>(٢)</sup> والفاضل الاصفهاني<sup>(٣)</sup> والوحيد البهبهاني وكاشف الغطاء<sup>(٤)</sup> وغيرهم .

### منكر الضروري :

ذهب علماءنا إلى أن انكار الضروري موجب للارتداد والكفر ، والخروج عن الإسلام ، ولكن وقع الكلام بين الاعلام في تحديد منكر الضروري الموجب للكفر ، وقد طرحت آراء في هذا الموضوع نستعرضها .

### الرأي الأول :

(إن انكار الضروري سبب مستقل للكفر بنفسه)<sup>(٥)</sup> بمعنى (إن انكار الضروري بما هو له موضوعية وسببية تامة للكفر كإنكار الله تعالى وإنكار رسالة رسول الله ﷺ ، فإن إنكار أحدهما علة تامة للكفر ولو كان الإنكار لشبهة حصلت له قصوراً فضلاً عن التقصير)<sup>(٦)</sup> وقد ذكرنا في

(١) روض الجنان : ٢٥٤ .

(٢) مدارك الأحكام ٧ : ٥ .

(٣) كشف اللثام ٢ : ٤٣٥ .

(٤) كشف الغطاء : ١٧٣ .

(٥) التنقيح ٢ : ٦٧ .

(٦) خلاصة الجواهر ١ : ١٠٩ .



بداية الدراسة أن إنكار هذه الأصول التي يتوقف عليها تحقق الإسلام موجب للكفر وإن كان عن جهل قصوري ، وحكي هذا الرأي في منكر الضروري عن ظاهر القواعد للعلامة الحلي ، وعن مفتاح الكرامة نسبته لظاهر الأصحاب .

ولكن يلاحظ على هذا الرأي ما سنذكره ، بأنه لا يصح القول بأن إنكار الضروري بنفسه ، أو عن شبهة موجب للكفر بحيث يكون كإنكار الأصول ، ما لم يعلم المنكر باستلزامه لإنكار الرسول ﷺ وتكذيبه ، وكذلك يلاحظ على مفتاح الكرامة ، بأن نسبة هذا الرأي لظاهر الأصحاب غير صحيح ، مع اختلافهم في الرأي ، ولم يحرز أنه على السببية المستقلة ، وإن أكثرهم يصرح باستثناء صورة الشبهة حيث يظهر من هذا الاستثناء أن إنكار الضروري ليس في نفسه سبباً مستقلاً للكفر ما لم يستلزم إنكار الرسالة وتكذيب الرسول ﷺ ، كما ذكر هذه الملاحظة المحقق الهمداني في مصباح الفقيه .

### الرأي الثاني :

(إن إنكار الضروري إنما يوجب الكفر والارتداد فيما إذا استلزم تكذيب النبي ﷺ وإنكار رسالته)<sup>(١)</sup> ، فيتوقف على العلم بأنه ضروري من الدين وجاء به الرسول ﷺ ومع علمه بذلك ينكره ، لأنه في الحقيقة تكذيب النبي ﷺ وإنكار لرسالته ، بخلاف ما إذا لم يستلزم إنكاره ذلك ، كما إذا أنكر ضرورياً معتقداً عدم ثبوته في الشريعة المقدسة وأنه مما لم يأت به

(١) التنقيح ٢ : ٦٧ .

النبي ﷺ إلا إذا كان ثابتاً فيها واقعاً بل كان من جملة الواضحات فإن إنكاره لا يرجع حينئذ إلى إنكار رسالة النبي ﷺ ، وسنذكر أن الإنكار مع الشبهة لا يوجب الارتداد ، بل يتوقف على العلم بأنه ضروري للدين صادر عن الرسول ﷺ . فإن إنكار مثل هذا الضروري مع العلم يستلزم بطبعه إنكار الرسالة وتكذيب الرسول ﷺ كما هو واضح . ولكن يلزم أن تكون الشبهة مما تمكن في حقه كما لو كان جديد عهد بالإسلام . وإنكر ضرورياً ، وأما إذا نشأ مسلماً بين المسلمين فلا يقبل ادعاؤه الشبهة في إنكار الضروري ، وخاصة إذا اعتمد على أدلة غير عقلانية وغير إسلامية مشروعة .

وعلى هذا الرأي ، فإن حكم الكفر لا يختص بإنكار الضروري ، بل يشمل إنكار كل ما علم ثبوته في الدين ، وصدوره عن الرسول ﷺ فإن إنكاره بطبعه يستلزم إنكار الرسالة وتكذيب الرسول أيضاً ، وقد ذكرنا في بداية الدراسة أن من ينكر الرسول ﷺ فهو كافر ، فالملك في الكفر هو إنكار الرسالة والرسول مشترك بين الضروري ، والمعلوم صدوره عن الرسول ﷺ ، وقد أكد على هذه الحقيقة المحقق الأردبيلي في مجمع البرهان حيث قال (الضروري الذي يكفر منكروه هو الذي ثبت عنده يقيناً كونه من الدين ولو بالبرهان إذ الظاهر أن دليل كفره هو إنكار الشريعة وإنكار صدق النبي ﷺ ، وذلك مع ثبوته يقيناً عنده ، وليس كل من أنكر مجمعاً عليه يكفر بل المدار على حصول العلم والإنكار وعدمه ، إلا أنه لما كان حصوله في الضروري غالباً جعلوا ذلك مناطاً وحكموا به) (١) .

(١) مجمع الفائدة والبرهان ٢ : ١٩٩ .

وفي كتاب تعاليق مبسوطة على العروة الوثقى (لا دليل على أن انكار الضروي سبب مستقل للكفر وعدم انكاره معتبر في الإسلام . بل أن انكاره مع الالتفات إلى أنه انكار للرسالة كفى ، ولكنه لا يختص به بل انكار كل حكم شرعي مع الالتفات إلى أنه مما جاء به الرسول ﷺ كفر وان لم يكن ضرورياً باعتبار أنه تكذيب للرسالة)<sup>(١)</sup>.

ويظهر هذا الرأي ، وهو عدم السببية المستقلة لانكار الضروي ، بل إنما يوجب الكفر لو استلزم انكار الرسالة والرسول ﷺ من بعض العلماء ، أمثال صاحب كشف اللثام<sup>(٢)</sup>.

ويذهب الإمام الخميني لهذا الرأي قال في تحرير الوسيلة (الكافر وهو من انتحل غير الإسلام أو انتحله ووجد ما يعلم من الدين ضرورة بحيث يرجع جوده إلى انكار الرسالة أو تكذيب النبي ﷺ أو تنقيص شريعته المطهرة)<sup>(٣)</sup>.

وعن ظاهر الذخيرة وشارح الروضة الذهاب لهذا الرأي . وذهب إليه السيد الخوئي قال (ومما ذكرنا يظهر أن الحكم بكفر منكر الضروي عند استلزامه لتكذيب النبي ﷺ لا تختص بالأحكام الضرورية لأن انكار أي حكم في الشريعة المقدسة إذا كان طريقاً إلى انكار النبوة أو غيرها من الأمور المعتبرة في تحقق الإسلام على وجه الموضوعية فلا محالة يقتضي الحكم بكفر منكره وارتداده)<sup>(٤)</sup>.

(١) م. ن. ١ : ٩٠ .

(٢) كشف اللثام ٢ : ٤٣٥ .

(٣) تحرير الوسيلة ١ : ١١٨ .

(٤) التنقيح ٢ : ٦٨ .

وذهب إليه السيد الفيروزآبادي قال :

(ومن جميع ما ذكر يعرف أنه لا يختص الكفر بمنكر الضروري فقط ، بل كل حكم من أحكام الله ورسوله إذا علم المنكر وتيقن أنه حكم الله تعالى ورسوله ، ومع ذلك أنكره فهو كافر ، لأن مرجع انكاره إلى انكار الله أو انكار رسالة رسول الله وأن فرض أنه لم يكن الحكم الذي أنكره مجعماً عليه فضلاً عن أن يكون من ضروريات الدين ، فالملاك كل الملاك في سببية الانكار للكفر هو أن يكون الحكم المنكر بالفتح بما علم المنكر بالكسر أنه حكم الله ورسوله ، ولكن حيث أن العلم بذلك مما لا يحصل غالباً إلا في الضروريات فخصص الفقهاء المسألة بالضروري فقط دون غيرها ، كما مر ذلك كله في كلام الأردبيلي<sup>(١)</sup> .

وذكر السيد السبزواري في مذهب الأحكام (ثم ان انكاره الضروري إذا رجع إلى انكار الالهية أو التوحيد أو الرسالة فلا ريب في كونه موجباً للكفر ، وكذا أن دل دليل عليه بالخصوص ، وأما إن كان الاعتقاد بها ثابتاً ، ومع ذلك أنكر بعض الضروريات فلا دليل على كفره ، بل مقتضى الأصل والاطلاق عدمه . ولكن نسب للمشهور ان انكار مطلق الضروري من حيث هو موجب للكفر) .

ولعل هذا الرأي هو الحق والموافق للأدلة ، لأنه وكما ذكرنا ، سواء علم أنه ضروري ، أو قطع بأنه من الدين والرسول ﷺ فلو أنكره فإنه يستلزم إنكار الرسالة والرسول ﷺ ، لأن الملاك في الكفر إنكار الله أو الرسالة أو الرسول ﷺ وتكذيبه ، وان كان العلم بالحكم ناشئاً من البرهان والدليل ،

(١) خلاصة الجواهر ١ : ١٠٩ .

لا من الضرورة ، ولكن من تحكمت فيه شبهة ، أنكر بسببها الضروري ، فلا يشمل حكم إنكار الضروري ، لأنه لا يستلزم إنكار الرسالة وتكذيب الرسول ﷺ لأنه مع اعتقاده إليها ، ينكر هذا الحكم أو المعتقد ، ومن هنا حكموا بأن المنكر لو كان جديد عهد بالإسلام ، أو بعيداً عن المجتمع الإسلامي ، لا يحكم بكفره ، لأنه يحتمل قوياً عنده عدم العلم بالضروري ، أما الذي نشأ في بلد المسلمين منذ صغره ، فالمفروض علمه بضروريات الإسلام حيث يحرز علمه بالضروري ، ولو من خلال الأصل العقلائي ، وهو نشأته بين المسلمين ، لذلك لا يقبل منه الجهل بالضروري ، لأنه من الواضحات لكل مسلم ، وأما من كان جديد عهد بالإسلام فليس الضروري من الواضحات عنده .

وقد ذكروا أن من عرضته الشبهة في إنكار الضروري (يجب عليه أن يعرض شبهته على الفقيه الجامع للشرائط فلو استقر على إنكاره بانياً على تخطئة النبي ﷺ فيما أنكره كان كافراً)<sup>(١)</sup> .

وهذا هو الصحيح ، فيجب أن يعرض المنكر شبهته على العلماء ، فلو أصر على إنكاره ، حكم بارتداده لاسلزامه إنكار الرسالة وتكذيب الرسول ﷺ ، وكذلك لو نبهه العلماء وعرضوا الأدلة المقنعة التي تزيل شبهته ، ولكنه أصر عليها ، فيترتب عليه حكم منكر الضروري ، إذ لا يمكن أن يصح رأيه مع ضرورة صدور الحكم من الله والرسول ﷺ ، لذلك لو أصر ، فيظهر كذبه في ادعاء الشبهة ، وقال العلامة الحلي في كتابه القواعد حول المرتد للشبهة (لو قال حلوا شبهتي ، احتمل الانظار

(١) مهذب الأحكام ١ : ٢٩٢ .

إلى أن تحل شبهته والزامه التوبة في الحال ثم يكشف له<sup>(١)</sup> وقال الفاضل الاصفهاني (وإن اعتذر بالشبهة أوّل ما استتيب قبل انقضاء الثلاثة أيام أو الزمان الذي يمكن فيه الرجوع أمهل إلى دفعها وإن أخر الاعتذار عن ذلك لم يمهل لأدائه إلى طول الاستمرار على الكفر والمضي ما كان يمكن عليه ابداء العذر وازالته ولم يُبده فيه)<sup>(٢)</sup>.

الظاهر من حال كل مسلم نشأ بين المسلمين علمه فعلاً بهذه الضروريات، أمثال مودة أهل البيت، أو بعض الأحكام كوجوب الصلاة وحرمة الخمر فهي من الواضحات لدى كل مسلم نشأ بين المسلمين انها من الدين ولا يقبل جهله بها.

مع وجود الأدلة والبيّنات الواضحة على بطلانها، فلو أنكرها مع هذا الوضوح كان تكذيباً للرسول ﷺ وانكاراً للأصول، وعدم صدقه في ادعائه الشبهة.

وقد ذكر المحقق العراقي في هذا المجال (وبقية الفرق الإسلامية يحكم بالإسلام ما لم ينكروا ضرورياً مع التفاتهم لضروريته، ومع غفلتهم عنها اشكال، لعدم دليل على كفرهم عدوى دعاوى الاجماع على موضوعيته، وفيه نظر، لإمكان حمل الاطباق على جعل ظاهر حاله طريقاً إلى كون انكاره راجعاً إلى تكذيب النبي ﷺ ولا يسمع منه دعوى الاشتباه، لا أنه موجب لكفره حتى مع الجزم باشتباهه، والمسألة لا تخلو من اشكال جداً)<sup>(٣)</sup>.

(١) القواعد ٢: ٢٧٥.

(٢) كشف اللثام ٢: ٤٣٦.

(٣) شرح التبصرة ١: ٢٤٠.

فلا دليل على موضوعية انكار الضروري للكفر إلا الإجماع ، ولكن فيه نظر ، إذ لعل اجماعهم أن من ينكر ضرورياً فهو بحسب الظاهر يكذب الرسول ﷺ عن التفات ، ولا يقبل منه الجهل والاشتباه ، مع وضوح الضروري عند الجميع ، وليس مورد اجماعهم مع الجزم بالاشتباه ، ولا أقل من الشك فيه ، فيؤخذ بالقدر المتيقن للاجماع لأنه دليل لبي .

إذن ، فالشبهة تحتاج لدليل يوجب العلم بها ، ولا يكفي مجرد الشك فيها ، مع وجود ظاهر حال المسلم الدال على معرفته بكونه ضرورياً ، وإن إنكاره إنكار للرسالة وتكذيب للرسول ﷺ .

ولعل هذا هو مراد البعض ممن اعتبر إنكار الضروري بنفسه موجباً للارتداد ، وقوله بأن الشبهة ترفع حكمه ، وبذلك يجمع بين الأقوال .

### الرأي الثالث :

ان المنكر للضروري إن كان متولداً في بلاد الإسلام حتى شاب وعرف انه من ضروريات دين الإسلام فهو كافر وإن فرض أنه بنفسه من لم يتيقن بالحكم ، بل اعتقد الخلاف لشبهة حصلت له ، وأما إذا كان بعيداً عن بلاد الإسلام بحيث يمكن في حقه خفاء الضرورة وعدم العلم بأنه من ضروريات دين الإسلام فليس بكافر ، فسببية إنكار الضروري للكفر على هذا مما يكفي العلم بأنه من ضروريات الدين وإن فرض أنه بنفسه ممن لا يعلم أنه حكم الله ورسوله لشبهة حصلت له فضلاً عن أن يكون ضرورياً عنده ، والفرق بين هذا الرأي والثاني أنه إذا فرض أن المتولد في بلاد الإسلام أنكر حرمة الخمر مثلاً ، وهو يعلم أنها من الضروريات عند المسلمين ، ولكنه بنفسه قد حصلت له الشبهة وأعتقد

أن المسلمين كلهم على الخطأ وأن حرمة ليست من حكم الله ورسوله فعلى الثاني ليس بكافر وعلى الثالث كافر .

ومن خلال التدبر في كتاب الجواهر يظهر أنه رأي صاحب الجواهر . ولكن مع قولنا بأن الملاك في حكم الكفر إنكار الرسالة وتكذيب الرسول ﷺ فكيف يؤدي إنكاره في هذا المورد لكفره ، مع بقاء اعترافه بل واعتقاده بالأصول ، وإنكاره للضروري لا يستلزمه ، فلم يحصل منه ما يستلزم إنكار الأصول التي يتوقف عليها تحقق الإسلام .

بل ربما لا يكون مثل هذا المنكر الجاهل مقصراً أو ملتفتاً لمخالفة شبهة ورأيه للواقع ، بل حتى لجهله وتردده ، لما ذكره بأن الجاهل القاصر لا ينحصر بمن كان بعيداً عن المسلمين أو كان جديد عهد بالإسلام ، بل ربما شمل من عاش بينهم ، ولكن قطع بما يخالف الحكم الواقعي ، لبعض العوامل ، بل ربما شمل حتى بعض العلماء ، إذا حصل له قطع وجداني بالخلاف نتيجة لاجتهاده بأن يكون جهله مركباً . دون أن يكون متردداً أو ملتفتاً لخلافه ، بل ربما حدثت شبهة مقابل بديهية في نفس الإنسان لبعض العوامل الفكرية أو النفسية أو الاجتماعية وغيرها مع ما ذكرناه من أن الخروج عن الإسلام يتوقف على إنكار الأصول التي يتوقف عليها تحقق الإسلام ، فالملاك في كفر منكر الضروري استلزامه لإنكار الأصول ، والمفروض عدم إنكاره لها ، بل يعترف ويعتقد بها عن التفات وعلم ، بحيث لو علم أنه مشتبه لرفض شبهته ، فكيف يستلزم الإنكار الناشيء من الشبهة لكفره وعدم اعتقاده بالأصول ، ففرق واضح بين أن ينكر هذه الأصول ابتداءً ولو عن جهل وقصور ، وأن ينكر الضروري دون إنكاره الأصول .



ولكن يمكن الملاحظة على ذلك ، بأن ما ذكر صحيح بالنسبة لغير الضروري ، مما ثبت بالظن ، أو حتى العلم ، ولكن لم يبلغ حد الضرورة من المسائل الخلافية أو النصوص الظنية التي تقبل اختلاف الآراء والتفسيرات فيها ، وأما المسائل الضرورية من الأحكام والمعتقدات ، فلا يحتمل الجهل أو الغفلة أو الشبهة مهما كان نوعها وجداناً ، لمن عاش بين المسلمين ، وخاصة لو كان من العلماء ، مع ما ذكرناه من تعريف الضروري بما لا يخفى على أحد من المسلمين بل حتى بعض غير المسلمين ، فكيف يخفى على من عاش بينهم ، واحتمال الجهل أو الشبهة بالنسبة لأمثال هؤلاء ، هو مجرد فرض لا واقع له خارجاً ، وخاصة مع تنبيهه على ذلك ، وأنه من الضروريات ومع ذلك أصر عليه اعتماداً على العناد ، أو الأدلة الضعيفة والواهية والمرفوضة إسلامياً مع ثبوت ضرورة صدور الحكم عن الله والرسول ﷺ ، لأن هناك الكثير من الأحكام والمعتقدات الضرورية الثابتة ، والنصوص اليقينية التي لا يمكن انكارها ، أو الخلاف فيها ، وإنما يصح الاجتهاد أو اختلاف الآراء في تلك المسائل الخلافية ، أو النصوص الظنية ، وإلا لو قبلنا إمكان الاجتهاد والقراءة المتعددة والتغير حتى في الأحكام والمعتقدات الضرورية والثابتة واليقينية الاتفاقية ، دون أن توجد مبررات التغير وإنما كان الفهم والأحكام تابعة لآراء الناس ، فلا تبقى شريعة ثابتة ، وحينئذٍ سيتبع الدين والحق آراء الناس ﴿ولو اتبع الحق أهوائهم...﴾ ، ولا بد معها أن نكون من المصوبة ، وأن أحكام الله ثابتة لآراء المجتهدين ، وأمثال هذه الآراء عبر القرآن الكريم عنها بالظن ، وبقية الكلام في المقالات التي نشرناها في مناقشة هذه الآراء .

## الرأي الرابع :

ذهب الشيخ الأنصاري إلى التفصيل في الحكم بارتداد منكر الضروري بين المقصر وغيره ، بالحكم بالارتداد في الأول لاطلاق الفتاوى والنصوص دون غيره ، إذ لا دليل على سببية إنكاره للارتداد ، فإن إنكاره ليس مبغوضاً ومحرمًا في حقه مع كونه مقصراً ، وما لم يكن مبغوضاً في الشريعة المقدسة يبعد أن يكون موجباً لارتداد فاعله وكفره<sup>(١)</sup>.

ولكن يمكن القول بأن ما ذكرناه من الملاك في كفر منكر الضروري ، وهو استلزامه لإنكار الرسالة وتكذيب الرسول ﷺ لا ينطبق على الإنكار للضروري مع الجهل عن تقصير ، نعم يمكن القول بأنه مع الجهل عن تقصير لا يرتفع العقاب ، لا أنه يصدق عليه الكفر ، مع عدم توفر ملاكه وموضوعه .

## بحث حول الأدلة :

ويجدر البحث عن الروايات التي يمكن الاستدلال بها على كفر منكر الضروري ، وتعداد دلالتها :

الروايات التي دلت على هذا الحكم طوائف ، نتعرض لطائفتين :

## الطائفة الأولى :

ما ورد فيها لفظ (الجحد) أو (الجحود).

منها : رواية أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « قيل

(١) التنقيح ٢ : ٦٨ .

لأمير المؤمنين عليه السلام من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟ إلى قوله ﷺ: فما بال من جحد الفرائض كان كافراً؟<sup>(١)</sup> ومنها مكاتبة عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «الإسلام قبل الايمان وهو يشارك الايمان فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عنها كان خارجاً من الايمان وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى الايمان، ولم يخرج به إلى الكفر والجحود والاستحلال، وإذا قال للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال، ودان بذلك، فعندها يكون خارجاً من الايمان والإسلام إلى الكفر»<sup>(٢)</sup>.

ولكن يشكل على استفادة الكفر من مجرد انكار الضروري أو الحكم الشرعي منها بأنه أخذ فيها عنوان (الجحود) وهو لا يصدق إلا مع علم المنكر بأنه حكم الشارع وينكره كما في قوله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾، فلا يصدق على مجرد الإنكار من دون علم، كما في موارد الشبهة، حيث لا يعلم المنكر أنه من الدين، إذ لو كان يعلم لم ينكره، فلا تدل على أن مجرد الانكار بدون صدق الجحود موجب للكفر. واعترض أيضاً على سندهما، بأن الأول ضعيف لأن في السند محمد بن الفضيل، لأنه لا يعلم كونه الثقة وهو محمد بن قاسم بن فضيل، بل الظاهر أنه محمد بن الفضيل بن كثير الأزدي وهو ضعيف، لأنه الذي يروي عن أبي الصباح الكناني، والثاني بعبد الرحيم القصير، فإنه لم يوثق، ولكن المحقق الهمداني عبر عن الرواية الأولى بالصحيحة.

(١) الوسائل الباب ٢ من أبواب مقدمة العبادات ج ١٣ - ١٨.

(٢) م. ن.

### الطائفة الثانية :

لم يذكر فيها لفظ الجحود ومنها ما يدل على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر ، وزعم أنها حلال ، أخرجه ذلك عن الإسلام ، وهي صحيحة عبدالله بن سنان « قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل يرتكب الكبيرة ، فيموت هل يخرج من ذلك من الإسلام ؟ وإن عذب كان عذابه كعذاب المشركين ؟ أم له مدة وانقطاع ؟ فقال : من ارتكب كبيرة من الكبائر فزعم أنها حلال أخرجه ذلك من الإسلام ، وعذب أشد العذاب وإن كان معترفاً أنه ذنب ومات عليها أخرجه من الإيمان ولم يخرج من الإسلام وكان عذابه أهون من عذاب الأول »<sup>(١)</sup> .

يضاف لذلك الروايات الواردة في كفر منكر الحلال والحرام والصلاة والزكاة وأمثالها .

وهذه الروايات مطلقة ، لم يؤخذ فيها لفظ الجحود أو الضرورية ، فهي تدل على كفر من استحل حراماً أو حرم حلالاً ، سواء كان عالماً بحرمة أم لا ، وسواء كان ضرورياً أم لا .

وأشكل المحقق الهمداني وغيره على دلالتها : ان الرواية مطلقة كما ذكرنا : فتقتضي الحكم بكفر كل من ارتكب كبيرة مع زعمه أنها حلال ، وهو مما لا يمكن الالتزام به ، لأن لازمة أن يحكم كل من اعتقد بحرمة شيء بكفر ما يراه الآخر محلاً حتى لو كان مجتهدين وكذلك يلزم الحكم بكفر كل من أنكر محرماً واقعاً مع عدم العلم بأنه محرم . أو للاشتباه عليه ، فلا بد من تقييدها ، أما بالضروري بأن يكون ارتكاب الكبيرة موجباً للارتداد في خصوص ما إذا كان الحكم ضرورياً ، أو نقيدها بالعلم ، فنقول بأن من علم بالحرمة وأنه محرم شرعاً ، وارتكبها مع

(١) الوسائل الباب ٢ من أبواب مقدمة العبادات ح ١٠ .

استحلالها والبناء على حليتها ، وحيث أن الرواية غير مقيدة بأحدهما ، وترجيح أحد التقيدين على الآخر من غير مرجح ، فتصبح الرواية في حكم المجهول وتسقط عن الاعتبار ، ولكن يمكن القول بترجيح تقييدها ، بالعلم بقريظة الطائفة الأولى التي أخذ منها لفظ الجحود .

وناقشه السيد الخوئي : أنه لا موجب للتقييد مع كونها مطلقة ، فنتمسك باطلاقها ، ويحكم بكفر مرتكب الكبيرة إذا زعم أنها محلة ، من دون فرق بين الأحكام الضرورية وغيرها . ولا بين العلم وعدمه ، وإذا لم يمكن الالتزام بالكفر في بعض الموارد ، أخرجناها عن اطلاقها ، ويسبق غيرها مشمولاً للرواية ، فنأخذ باطلاقها ونلتزم بالارتداد لجميع الأقسام إلا في صورة واحدة ما إذا كان ارتكاب الكبيرة وزعم أنها حلال للجهل عن قصور كما في المجتهدين أو مقلديهم ، فيختص حكم الرواية بصورة الجهل عن تقصير . ولكن لابد من حمل الكفر في الرواية على بعض مراتب الكفر ، لأن للكفر مراتب .

ومن مراتبها ما يقابل المطيع لأنه كثيراً ما يطلق الكفر على العصيان ، ويقال ان العاصي كافر . «فقد ورد عن زرارة عن حمran بن اعين ، قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً . قال : اما أخذ فهو شاكراً واما تارك فهو كافر»<sup>(١)</sup> .

وفي بعض الروايات : ان المؤمن من لا يزني ولا يكذب ، فقيل : انه كيف هذا مع أنا نرى أن المؤمن من يزني ويكذب فأجابوا عليهم السلام : بأن الإيمان يخرج من قلوبهم حال عصيانهم ويعود إليهم بعده فلا يصدر منهم الكذب - مثلاً - حال

(١) الوسائل الباب ٢ من أبواب مقدمة العبادات .

كونهم مؤمنين<sup>(١)</sup>.

فالمراد من الكفر في صحيحة عبدالله بن سنان ، ما يقابل الطاعة ، لا ما يقابل الإسلام ، حيث لا يسلب من مرتكب الكبيرة وصف الإسلام الذي تترتب عليه الآثار التي تترتب على المسلم .

ولكن يمكن حمل صحيحة عبدالله بن سنان على صورة الجحود ، أي إنكار ما علم أنه من الدين بقرينة الطائفة الأولى ، كما هو الظاهر منها ، حيث أن استحلاله للحرام يفترض عليه بأنه حرام ، فلا تحمل على إطلاقها ، بل هي مقيدة بصورة العلم بالحرام .

ويؤيده ، ما ذكرناه بأن بعض الواجبات كالفرائض المذكورة في الطائفة الأولى ، وبعض الكبائر المذكورة في الطائفة الثانية ، لا تخفى بطبيعتها على كل أحد ، لشهرتها ووضوح ثبوتها في الدين ، حيث أن المفروض والمتعارف علم المسلمين بوجوبها أو حرمتها ، فحمل الصحيحة على صورة الجحود والعلم أو الضروري ليس ببعيد ، بعد أن لم يمكن حملها على انكار المحرم الواقعي دون أن يعلم به أحد ، كما ذكرناه في توضيح كلام المحقق الهمداني وغيره في توجيه الصحيحة ، فلا بد من حملها على المحرم المشهور الذي يلزم العلم لدى المسلمين ، بل وكما ذكرنا ، حتى بعض غير المسلمين ، من المقاربين لهم ، يعرفون ثبوتها في الدين الإسلامي .

وقد ذكرنا ، أن مجرد اظهار الشهادتين وحده لا يكفي في ترتيب الآثار ، بل يلزم أن لا يظهر ما ينافي اعتقاده أو اعترافه بأي أسلوب كان ،

(١) يلاحظ الكافي ٢ : ٢٨٠ ، والوافي ١ : ٢٦ .

كما صرح علماؤنا بذلك فإن اظهاره ما ينافي اعترافه موجب للارتداد ، بل كل لفظ أو فعل يدل صريحاً على عدم اعتقاده بها بل وحتى التردد فيها ، كمن أنكر ضرورياً مع العلم بأنه ضروري .

وعلى كل حال فإن الجمع بين الروايات الدالة على إسلام مظهر الشهادتين والمعترف بالله والرسول ﷺ والروايات الدالة على كفر مستحل الكبيرة أو منكر الفرائض لا يتم إلا بما ذكرناه .

### ضروري المذهب :

وبعضهم الحق انكار الإمامي لضروري المذهب بانكار المسلم لضروري الإسلام ، وضروري المذهب يعني ما يعلم كل إمامي بأنه من مذهب الإمامية بحيث يكون المنكر له خارجاً عن المذهب ، ولا يخفى على كل إمامي نشأ منذ صغره في مجتمع إمامي ، بل ربما حتى غير الإمامي يعلم بأن هذا الحكم من ملازمات الإمامية وضروراتها ، كمشروعية النكاح المنقطع ، وإمامة أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام وغيرهم ، وقد ذهب لهذا الرأي صاحب الجواهر قال (بل الظاهر حصول الارتداد بانكار ضروري المذهب كالمتعة من ذي المذهب أيضاً)<sup>(١)</sup> ، وذهب السيد السبزواري (ان انكار ضروري المذهب إن رجع إلى انكار الرسالة أو الألوهية أو التوحيد يوجب الكفر وإن لم يرجع ففي ايجابه له اشكال)<sup>(٢)</sup> . ولكن لو قطع الإمامي بصدور هذا الحكم أو المعتقد الإمامي ، من الرسول ﷺ وأنه من الدين الإسلامي ، وأنكره ، فيوجب الكفر كما ذكر

(١) جواهر الكلام ٤١ : ٦٠٢ .

(٢) مهذب الأحكام ١ : ٢٩٠ .

هذا بعض العلماء ، فبعد أن ناقش رأي صاحب الجواهر قال (وعلى هذا ، فلو أنكر أمراً قطعياً معلوماً من الرسول ﷺ فيرتد ، ويكون بذلك كافراً لتكذيبه ﷺ عن نفسه ، وإن الحكم عليه في الظاهر يتوقف على كونه ضرورياً من الدين ، فإن أراد صاحب الجواهر هذا فهو اختيار لمختار مخالفه ، وإن أراد غيره فالدليل لا يفي به) ، ويظهر أيضاً من السيد السبزواري .

ولكن يمكن القول : بأن حكم الارتداد لو ترتب على كل من أنكر ما علم أنه من الدين ، وعلم بصدوره من الرسول ﷺ ، فلا يختص بالإمامي ، بل يشمل غير الإمامي لو قطع بصدور الحكم عن الرسول ﷺ ، وأنكره وكذلك لو قطع أن قول الإمام ﷺ من الدين وأنكره ، فلا وجه لتخصيص انكار ضروري المذهب بالإمامي ، فيما لو علم صدور هذا الضروري من الرسول ﷺ أو أنه من الدين ، ولعل لهذا الرأي ذهب صاحب الحقائق ونسبه لقدماء الأصحاب<sup>(١)</sup> .

فإن الأحكام والمعتقدات الإمامية ، بعضها ثبت بالضرورة أو القطع صدورها عن الرسول ﷺ ، وبعضها ثبت صدورها كذلك عن الإمام ﷺ ، وإن كان عقيدتنا أن كل ما صدر عن الإمام ﷺ فهو في واقعه عن الرسول ﷺ ، فانكار الأول يوجب الارتداد مع علمه بذلك ، دون الثاني فإنه يوجب الخروج عن المذهب ، لذلك يشمل الإمامي وغيره ، بل وكذلك لو كان انكاره لما ثبت عن الإمام ﷺ مستلزماً لانكار الرسالة أو الرسول ﷺ فيلحقه حكمه ، لأن الملاك ، كما ذكرنا في الكفر ، تكذيب الرسول ، وانكار الرسالة ، بأي طريق حصل .

(١) الحقائق الناضرة ٥ : ١٧٥ .



فلو علم أي مسلم بصدور النص عن الرسول ﷺ بولاية أهل البيت عليه السلام ، وانكره ، فإن انكاره يوجب تكذيب الرسول ﷺ وانكار الرسالة ، وقد ذكرنا أن الحكم لا يختص بانكار الضروي ، بل يشمل انكار المقطوع الصدور عن الرسول ﷺ ، وما ثبت أنه من الدين أو ما يستلزم تكذيب الرسول ﷺ وانكار الدين والرسالة .

ومن الجدير أن نذكر بأن الأحاديث الكثيرة الصادرة عن الرسول ﷺ الدالة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته ، وبعض هذه الأحاديث قطعية الصدور لتواترها أو اقترانها بقرائن توجب قطعيتها . وصريحة الدلالة في ذلك ، ولكن حاول البعض تحريف دلالتها ومعناها لمعان آخر ، مما أثر في حصول الشبهة عند البعض اجتهداً أو تقليداً ، ولذلك فإن كل من علم بهذه الأحاديث الشريفة بمعناها الصحيح وأنكرها ، فإن انكارها مستلزم لتكذيب الرسول ﷺ (١) .

وأما محبة أهل البيت عليه السلام والمودة لهم ، فإنها من ضروريات الدين الواضحة يعلم بها كل من نشأ بين المسلمين ، بصدورها عن الرسول ﷺ ، وإنها من مستلزمات الرسالة بل نص عليها القرآن الكريم ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وتدل عليها أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ ، بلغت حد التواتر .

لذلك كان انكارها انكاراً لضروري الدين وتكذيباً للرسول ﷺ . ومن هنا ذهب العلماء لشمول حكم الارتداد للناصبي الذي يظهر العداء والبغض لأهل البيت عليه السلام ؛ وكذلك (الغلو) فإن حكم الارتداد يشملها ، كما لو

(١) التفتيح في شرح العروة الوثقى ٢ : ٩٩ .

اعتقد بالإمام أنه إله ، ولكن لابد من الدقة العلمية والشرعية في تحقق الغلو وثبوته ، بالنسبة لبعض الأفراد أو الصفات ، لذلك يراجع ما كتبه علماؤنا وفقهاؤنا في هذا المجال مستندين في ذلك لما ثبت من الكتاب والسنة الصحيحة .

### سيرة المسلمين أو المتشركة :

إذا كانت سيرة المسلمين قائمة على بعض الأعمال . فهل تكون هذه السيرة حجة ومشروعة أم لا ؟

ذكر علماؤنا شروطاً لاعتبار السيرة وشرعيتها ، منها أن يعلم باتصالها بزمان المعصومين عليه السلام لتكتسب شرعيتها من مشاركتهم فيها ، وأن تكون هذه السيرة صادرة من المتشركة بما هم متشركة ، أي من المسلمين المؤمنين الملتزمين في سلوكهم بأحكام الإسلام وتعاليمه المقدسة ، وأما إذا صدرت من غير المباليين بالالتزام الشرعي في حياتهم ، فلا تكون حجة ، وقد مثلوا لهذه السيرة غير المبالية . بأمثلة في الكتب الفقهية ، أمثال تصرف الكبار بأموال القصر والصغار .

وقد أشار الشيخ المظفر إلى هذين الشرطين في اعتبار السيرة ، فذكر حول السيرة إذا لم يعلم باتصالها بزمان المعصومين عليه السلام (فلا نجد مجالاً للاعتماد عليها في استكشاف موافقة المعصوم على نحو القطع أو اليقين ، قال الشيخ الأعظم - الأنصاري - في كتاب البيع في مبحث المعاوضة) (وأما ثبوت السيرة واستمرارها على التوريث - يقصد توريث ما يباع معاوضة - فهي كسائر سيراتهم الناشئة من المسامحة وقلة المبالاة بالدين مما لا يحصى في عباداتهم ومعاملاتهم) .

ثم يبحث الشيخ المظفر بدقة عن منشأ أمثال هذه السيرة التي لا تبالي بالدين ، حيث تصل إلى مرحلة (يكون الخروج عليها خروجاً على العادات المستحكمة التي من شأنها أن تتكون لها قدسية واحترام لدى الجمهور ، فيعدون مخالفتها من المنكرات القبيحة ، وحينئذ يتراءى أنها عادة شرعية وسيرة إسلامية ، وأن المخالف لها مخالف لقانون الإسلام وخارج عن الشرع ، ولأجل هذا لا نثق في السيرات الموجودة في عصورنا انها كانت موجودة في العصور الإسلامية الأولى ، ومع الشك في ذلك فاجدر بها ألا تكون حجة لأن الشك في حجية الشيء كاف في وهن حجيته ، إذ لا حجة إلا بعلم<sup>(١)</sup> .

وقال السيد محمد تقي الحكيم في كتابه الأصول العامة (وحجية سيرة المتشركة انما تكون بعد اثبات امتدادها تاريخياً إلى زمن المعصوم ، واثبات مشاركتهم لهم في السلوك ، ولو من قبيل عدم رده مع إمكان الردع ، وبهذا ندرك قيمة ما يحتج به أحياناً من ادعاء قيام السيرة القطعية على فعل شيء أو تركه مع عدم امكان اثبات امتدادها تاريخياً إلى زمن المعصوم ، وقد يكون منشؤها فتوى سائدة يمر عليها جيل أو جيلان تتخذ طابع السيرة لدى الناس ، وكثير من الاعراف والعادات التي تشيع في بلد ما ، أو بيئة معينة حسابها نفس هذا الحساب ، وإن أصبح لها في نفوس العوام طابع الشعار المقدس<sup>(٢)</sup> .

بالإضافة لما يذكر في محله ، ان الإسلام إنما بعث لتصحيح أو لتغيير معتقدات الناس وعاداتهم وتقاليدهم ، لا لأجل اتباعهم في أهوائهم

(١) أصول الفقه ٢ : ١٧٥ .

(٢) الأصول العامة للفقه المقارن : ١٩٩ .

وتقاليدهم ﴿لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض﴾ ، فإنما يعترف بممارساتهم لو كانت خاضعة للأحكام الشرعية الخاصة أو العامة ، وأما لو كانت مخالفة لها ، فلا يعترف بها بل يلزم مواجهتها ، كما فعل الرسول ﷺ حين واجه معتقدات الجاهلية وممارساتهم ، فيما لو لم تكن هناك عوامل ثانوية كالتيقية ، أو التدرج تقتضي السكوت عنها ، وقد لا تختلف أساليب المواجهة من باب ارشاد الجاهل أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه والموعظة الحسنة ، وربما اقتضى ذلك استعمال القوة كما يلاحظ في باب الحدود والديات .

ويستفاد من هذه النصوص وغيرها من أقوال علماءنا أنه يعتبر في حجية السيرة ، أمور ، نذكر بعضها هنا :

١ - العلم باتصالها بالمعصومين ، فلا يكفي العلم بعدم الاتصال أو الشك به .

٢ - عدم وجود مانع من الردع ، أمثال التقية التي تمنع المعصوم ﷺ من ابداء رأيه .

٣ - أن تكون صادرة من المتشريعة ، بما هم متشريعة لا بما هم غير مبالين بالالتزام الشرعي ، فربما حتى لو اتصلت بالمعصومين ، فلا أهمية لها ولذلك لمخالفتها للأحكام الإسلامية الخاصة أو العامة التي تعتبر بمنزلة الردع لها .

٤ - إذا وجدت سيرة منقطعة ، ولكنها خاضعة لأحكام وقواعد إسلامية شرعية عامة أو خاصة ، فتكتسب شرعيتها من ذلك ، ما لم يوجد دليل عام أو خاص على المنع والردع عنها .

٥ - ما ذكره ، بأن سيرة المتشريعة إنما تجري فيما لو انفرد

المسلمون أو الإمامية بفعل شيء أو بتركه ، وتميزوا بذلك عن سائر العقلاء ، ليكتشف من خلال سيرتهم حكم تأسيسي شرعي ، وفق ما جرت سيرتهم عليه ، وأما لو كانت سيرتهم وفق بناء العقلاء فليست مورداً للسيرة المتشعبة ، بل دخلت في سيرة العقلاء .

وكلما كانت السيرة أكثر استحكاماً وانتشاراً، احتاجت إلى ردع أكبر وأكثر تحديداً.

ولكن الملاحظ انهم ذكروا بأن سيرة المتشعبة والمتدينين بنفسها حجة ودليل على الحكم كالأجماع ، ولا تحتاج في حجيتها لأحراز امضاء الشرع ، ولذلك عبروا عنها (سيرة المتشعبة بما هم متشعبة) وإنما اضافوا قيد (بما هم متشعبة) لأجل التأكيد على أنها سيرة الملتمزين لا غير المباليين ، بخلاف سيرة العقلاء فإنها لا تكون حجة ، إلا إذا ثبت امضاء الشارع لها ولو من طريق عدم ثبوت الردع . لذلك فإن الردع يحتاج إليه بناء العقلاء ، أو سيرة بعض المسلمين غير الملتمزين في أعمالهم بالدين ، أو يمارسون بعض الأعمال مع نسبتها للدين أو توهمه ، وفي هذا المجال يأتي ما ذكرناه أن السيرة كلما كانت أكثر استحكاماً وانتشاراً احتاجت إلى ردع أكبر وأشد ، وأكثر تحديداً .

ومن هنا يلزم التأكيد على أنه يمكن إثبات شرعية السلوك الفردي أو الجماعي المتمثل بالسيرة ، حتى لو كانت منقطعة عن الاتصال بالمعصومين عليه السلام ، فيما لو خضعت للأدلة الخاصة أو العامة الشرعية ، فربما هناك بعض الممارسات التي لم يدل عليها دليل خاص ، ولكنها تخضع للأدلة والأحكام والمبادئ الإسلامية العامة ، أمثال تعظيم الشعائر أو اظهار الاحترام والمودة والولاء لأهل البيت عليه السلام أو الاحتفال

بمناسباتهم ، أو اقامة العزاء و اظهار الحزن على مصابهم وغيرها ، من الأحكام والمفاهيم التي دلت على شرعيتها الأدلة المعتبرة .

إذن فليس كل سلوك فردي أو اجتماعي لم يقم دليل خاص على شرعيته يكون بدعة ، وتشريعاً وممنوعاً شرعاً ، بل يكفي في الخروج عن عنوان البدعة ، وجود الأدلة والأصول العامة الشاملة لها ، وربما ترتب على بعض هذه الممارسات معطيات إسلامية ومذهبية إنسانية عامة ، نعم لو قامت أدلة خاصة أو عامة على حرمتها ، أو عدم شرعيتها ، أو ترتب عليها آثار ممنوعة شرعاً ، فقدت شرعيتها ، أو كانت محرمة .

والتشريع أو البدعة ، فيما لو أنكر أصل الحكم أو أثبت حكماً للشرعية ليس عليه دليل خاص أو عام أو خالفها ، وأما لو كان هناك دليل خاص ، أو عام عليه ، فلا يكون بدعة ، بالاضافة إلى أنه يمكن أن يكون التغير في التطبيقات والمصاديق ، فإنها قابلة للتغير والتطور ، ولكن بشرط عدم مخالفة التطبيق للأحكام الإسلامية ، فالتشريع والبدعة لو أنكر أصل الصلاة ، وأما في تطبيقات الصلاة ، وأنها في هذا المكان أو اللباس ، أو ذاك ، فلا بدعة ، إلا أن يستلزم محرماً كالصلاة في الأرض المغصوبة ، ولذلك فالتطبيق يصح فيه التغير والتطور .

إذن ربما اختلفت التطبيقات ، وكيفية الامتثال لتلك الأحكام والمبادئ الشرعية من زمان أو مكان لآخر ، حسب مقتضيات الزمان والمكان ، وإن اختلفت بعض التطبيقات عن أخرى من حيث الكمال أو النقص ، فإنه لم ينكر اصل الحكم ، أو امتثاله ، وإنما تصرف في كيفية امتثاله ، وكما ذكره ، بأن الجهاد أو الدفاع عن بيضة الإسلام ، ربما اختلفت أساليبه أو وسائل الجهاد ، من مكان أو زمان لآخر ، حسب ما يراه الخبراء أصح في

امتثال هذا الواجب الإسلامي ، وما يطرأ على هذه الأساليب والوسائل من تطور ، إلا أن تعرض على هذه التطبيقات عناوين محرمة وممنوعة شرعاً فيلزم التجنب عنها فهنا لا ينكر أصل وجوب الجهاد أو امتثاله ليلزم التشريع وإنما تصرف عن كيفية الامتثال لأنها بيد المكلف ، حتى في العبادات ، إذا لم يستوجب ترك الامتثال نفسه ، فيمكن مثلاً للإنسان أن يصلي في ثوب أو ثوبين ، أو في بيته أو في مكان آخر . إلا أن ينطبق عنوان محرم على كيفية الامتثال يستوجب حرمتها ، كالصلاة في الأرض المغصوبة .

إضافة لما ذكره علماءنا ، بأن لكل واقعة حكماً في الشريعة المقدسة ، وأن الموضوع لو تغيرت خصوصية من خصوصياته ، كان له حكم ملائم له ، يختلف عن الحكم الثابت للموضوع بدون تلك الخصوصية ، ومن هنا يلزم التعرف على موضوعات الأحكام وخصوصياتها ، ليتعرف على الأحكام الملازمة لها . وربما أثر الزمان والمكان في تغيير الموضوعات ، لا الأحكام الشرعية الكلية نفسها ، وكل من كان أكثر خبرة واحاطة بالموضوعات وتغيراتها ، وكان أكثر معرفة بالأدلة وقدرة على الاستنباط كان أقدر من غيره .

ومنا هنا يلزم الدقة في التعرف على التطبيقات وكيفيات الامتثال ، حتى لا تخالف الأحكام الخاصة والعامة ، وكذلك يلزم الدقة والاحاطة بالموضوعات ، وإن استلزم ذلك السؤال من أهل الخبرة في تلك التطبيقات والموضوعات ، ليتعرف على الأحكام الملازمة لها ، وعدم وجود ما يمنع عنها شرعاً .

فما ذكر بأن كل سيرة منقطعة بدعة ، وليست بحجة ، غير صحيح ،

مع خضوعها للأدلة والمبادئ الإسلامية ، وخاصة مع مشاركة وامضاء العلماء المجتهدين المطلعين والمتقين الذين يتورعون حتى من الشبهات، والذين يفكرون بصالح المسلمين في الدنيا والآخرة ، فإنهم أعرف بالحجة شرعاً من غير الحجة ، وبالصحيح عن السقيم ، وبالنافع عن المضر .

ويلزم أن نؤكد بأن ملاحظة التقية أو المداراة ، مع سائر الفرق والمبادئ أو الأفراد أو الظروف أو تأثيرات المكان والزمان أو العناوين الثانوية من حيث الانفتاح والتضييق وغيرها ، ربما اثرت في بيان بعض الأحكام أو المعتقدات أو الآراء في مختلف المجالات ، ولكن يجب أن لا نعتبرها الأصل والقاعدة ، أو الحق والواقع ، ومن الأحكام والآراء الأولية الأصيلة ، بل لا بد أن نعتبرها الاستثناء ومن الأحكام الثانوية والآراء الموقته التي فرضتها بعض الظروف الاستثنائية أو العناوين الثانوية والأحكام الولائية .

فربما اثرت هذه العوامل حتى في مجال الاستنباط وفهم النصوص ليعتبر ذلك الحكم أو الرأي أو الفهم من المبادئ الإسلامية الأولية وأنها تمثل الحق والواقع الإسلامي ، وأنها مدلول النصوص مع أنها ليست كذلك ، وإنما فرضتها تأثيرات الزمان والمكان ، لذلك تلزم الدقة العلمية والموضوعية في التمييز بين هذين النوعين من الرأي والحكم والفهم ، ونتوجه لمدى تأثير تلك العوامل في الاستنباط وفهم النصوص بل حتى في بعض المعتقدات لتكون الدراسة أكثر موضوعية وعلمية دون أن تؤثر تلك العوامل في النظرة الموضوعية والعلمية للنصوص ، والتوصل للآراء والأحكام والمعتقدات الإسلامية الأصيلة .



## \* قواعد أصول الفقه

١ - قاعدة : الألفاظ موضوعة لذات المعاني

٢ - قاعدة : الاطلاق في مفاد الهيئة

✽ اعداد : لجنة في مجمع فقه أهل البيت عليه السلام

\* قاعدة : الألفاظ موضوعة لذات المعاني<sup>(١)</sup>

نص القاعدة :

الألفاظ الأخرى للقاعدة :



الألفاظ موضوعة بازاء معانيها من حيث هي لا من حيث هي مرادة  
للمتكلم<sup>(٢)</sup>.

توضيح القاعدة :

تبين هذه القاعدة يحتاج إلى مقدمات هي :

(١) منهاج الوصول للإمام الخميني ١ : ١١٣ .

(٢) كفاية الأصول : ١٦ .

## ١ - أقسام الدلالات :

وهي ثلاثة أقسام :

أ - الدلالة التصورية وهي تصوّر المعنى من سماع اللفظ بحيث لا ينفكّ هذا المعنى عن اللفظ .

ب - الدلالة التصديقية الأولى وهي كاشفة التلفظ بهذا اللفظ عن إرادة المتكلم باخطار المعنى في ذهن المخاطب وافهامه إيّاه .

ج - الدلالة التصديقية الثانية وهي كاشفة حال المتكلم إذا كان في حالة وعي وانتباه وجدّية عن إرادة المتكلم لثبوت المعنى واقعاً<sup>(١)</sup> .

## ٢ - تبعية الدلالات للإرادة :

الدلالة التصورية لا تتوقف على إرادة المتكلم ، بل مهما سمعنا اللفظ ومن أيّ مصدر كان انتقل ذهننا إلى المعنى سواء سمعناه من متكلم وإع أو من نائم وحتى لو سمعناه نتيجة لاحتكاك حجرين .

والدلالة التصديقية الأولى تتوقف على إرادة المتكلم في مقام الثبوت وإن كان التلفظ باللفظ كاشفاً عنها في مقام الإثبات ، ولذا تسمّى هذه الدلالة بالإرادة الاستعمالية .

والدلالة التصديقية الثانية أيضاً تتوقف على إرادة المتكلم كالدلالة التصديقية الأولى ، والميزة بينهما أن الأولى تتوقف على الإرادة التفهيمية والثانية على الإرادة الجدّية ولذا تسمّى الثانية بالإرادة الجدّية<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع المحاضرات ١ : ١٠٩ ، ١١٠ ، ودروس علم الأصول ١ : ٧٨ ، ٨٨ .

(٢) راجع دروس في علم الأصول ١ : ٨٧ ، ٨٨ .

### ٣- ماهو الموضوع له :

لمّا كان منشأ الدلالة التصديقيّة بكلا قسميها حال المتكلم وكان التلفظ باللفظ كاشفاً عنها فليس المدلول التصديقي مدلولاً لنفس اللفظ ، فالمدلول الذي يعدّ معنى للفظ بحيث يكون نفس اللفظ دالاً عليه هو المدلول التصوري فحسب<sup>(١)</sup>.

وعلى ما ذكر من المقدمات يكتشف أنّ الموضوع له هو ذات المعنى ، واللفظ موضوع بازاء المدلول التصوري من حيث هو لا من حيث هو مراد للمتكلم .

ويدلّ عليه وجوه :

١ - التبادر ، لأنّه مهما سمعنا اللفظ ينتقل ذات المعنى إلى ذهننا من دون أن يخطر بالبال كونه مراداً فالمدلول الوضعي هو ذات المعنى المتبادر لا المعنى المراد ، لأنّه خلاف التبادر والوجدان<sup>(٢)</sup>.

٢ - صحّة الحمل ، لأنّه يصحّ الحمل في الجمل بلا تصرّف في المسند والمسند إليه ، ولو كان اللفظ موضوعاً للمعنى المراد لما صحّ بدون التصرّف والتجريد مع أنّه صحيح بالضرورة والبداهة ، فالمحمول على زيد في «زيد قائم» مثلاً هو نفس المتلبّس بالقيام لا بما هو مراد وإلا لما صحّ الحمل<sup>(٣)</sup>.

٣ - لزوم كون الوضع عامّاً والموضوع له خاصّاً في جميع الأوضاع على القول باعتبار الإرادة في الموضوع له مع أنّه ليس كذلك قطعاً<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع دروس في علم الأصول ١ : ٨٩ .

(٢) راجع مناهج الأصول ١ : ١١٤ .

(٣) راجع الكفاية : ١٦ ، ومناهج الأصول ١ : ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) راجع الكفاية : ١٦ ، ومناهج الأصول ١ : ١١٤ .

لا يقال : وضع اللفظ للمعنى بما أنه فعل اختياري لا بدّ له من غاية وهي إظهار مرادات المتكلمين ، فلا محيص إلّا أن يكون موضوعاً للمعنى المراد ، لأنّ الغاية علّة فاعلية الفاعل ، ولما كانت الغاية إظهار المرادات اختصّ وضع الواضع للمعنى المراد ، لأنّ المعلول يتضيق بتضيّق علته من غير تقيّد ولا يمكن أن يكون المعلول أوسع من علته .  
هذا مضافاً إلى لزوم اللغوّة إذا وُضع لذات المعنى بعد كون الداعي إفادة المراد .

فإنه يقال : العلة الغائيّة للوضع إفادة المرادات لكن لا بما أنها مرادات بل بما هي نفس الحقائق لأن المتكلم بالألفاظ يريد إفادة نفس المعاني لا بما أنها مرادة ، والواضع وضع اللفظ لذلك ، وأما كون المعاني مرادة فهو مغفول عنه عند السامع والمتكلم ، فدعوى كون الغاية إفهام المرادات بما هي كذلك فاسدة ، بل الغاية إفهام نفس المعاني ، وكونها مرادة إنما هو حين الاستعمال ولا ربط له بالوضع<sup>(١)</sup> .

#### قاعدة فرعية :

الدلالة تتبع الإرادة<sup>(٢)</sup> .

قد ظهر مما ذكرنا في المقدمة الثانية أنّ الدلالة التصديقية بكلا قسميها تتبع الإرادة دون الدلالة التصورية . وأنّ الدلالة التصديقية الأولى كاشفة عن الإرادة الاستعمالية والتفهيمية أي يريد المتكلم إيجاد المعنى في ذهن المخاطب وإن لم يقصدها بحدّ ، وأنّ الدلالة التصديقية

(١) مناهج الأصول ١ : ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) الكفاية : ١٧ .

الثانية كاشفة عن الإرادة الجدّية أي يريد المتكلم جدّاً أنّ هذا المعنى ثابت واقعاً ، فلولاً الإرادة في مقام الثبوت فلا دلالة تصديقية . وبهذا المعنى تكون الدلالة تابعة للإرادة .

### \* قاعدة : الإطلاق في مفاد الهيئة<sup>(١)</sup>

نص القاعدة :

الألفاظ الأخرى للقاعدة :

الإطلاق في المعاني الحرفية<sup>(٢)</sup> .

توضيح القاعدة :

إذا أورد حكم من قبل الشارع كوجوب الحج وشككنا هل هو مطلق وثابت في كل الأحوال أو في بعض الأحوال دون بعض فهل يمكن إجراء مقدمات الحكمة على مفاد الهيئة وهو الوجوب في المثال لإثبات أنه مطلق أم لا<sup>(٣)</sup> ؟

اختلفت كلمات الأصوليين في ذلك على قولين :

١ - القول بالامتناع ، وقال به الشيخ الأنصاري<sup>(٤)</sup> .

٢ - القول بالإمكان وقال به المحقق الخراساني<sup>(٥)</sup> ، والإمام الخميني<sup>(٦)</sup>

وغيرهما .

(١) الكفاية : ٩٧ .

(٢) دروس في علم الأصول ١ : ٢٣٦ .

(٣) راجع دروس في علم الأصول ١ : ٢٣٦ .

(٤) مطارح الأنظار : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) الكفاية : ٩٧ .

(٦) منهاج الأصول ١ : ٣٤٧ .

أدلة القول بالامتناع :

يستدل للقول بالامتناع بوجوده :

الدليل الأول :

كون مفاد الهيئة جزئياً لا يقبل الإطلاق والتقييد .

توضيح الدليل يتوقف على مقدمات :

أ - أقسام الوضع :

يُتصور للوضع أقسام أربعة :

- ١ - الوضع العام والموضوع له العام ، وهو أن يتصور الوضع المعنى الكلي حين الوضع ويضع اللفظ لذلك المعنى الكلي .
  - ٢ - الوضع الخاص والموضوع له الخاص ، وهو أن يتصور الوضع للمعنى الجزئي ويضع اللفظ لذلك المعنى الخاص والجزئي .
  - ٣ - الوضع العام والموضوع له الخاص وهو أن يتصور الوضع المعنى الكلي ويضع اللفظ لمصاديق ذلك المعنى الكلي .
  - ٤ - الوضع الخاص والموضوع له العام وهو أن يتصور الوضع المعنى الجزئي ويضع اللفظ للمعنى الكلي الشامل لهذا الجزئي وغيره<sup>(١)</sup> .
- هذا بحسب التصور ولا شبهة في إمكان القسمين الأولين ووقوعهما ، ولكنه استشكل في إمكان القسمين الآخرين ، بأنه لا يمكن أن يكون العام مرآة للخاص بما أنه خاص وكذلك العكس ، لأنهما متخالفان عنواناً

(١) راجع المحاضرات ١ : ٥٢ - ٥٥ .

وماهية<sup>(١)</sup>.

وأجاب عنه الإمام الخميني بقوله : التحقيق أن تصوّر العام قد يكون موجباً لانتقال الذهن إلى مصاديقه بوجه إجمالي فيتصور العام ويوضع اللفظ بازاء ماهو مصداقه ، ويكون هذا العنوان الإجمالي المشير آلة للوضع للأفراد ولا يحتاج في الوضع إلى تصوّرها بخصوصياتها تفصيلاً بل لا يمكن ذلك لعدم إمكان الإحاطة بها تفصيلاً لعدم تناهي أفراد الطبيعي فعلى هذا يكون الوضع العام والموضوع له الخاص ممكناً، كما أنه بهذا المعنى يكون خصوص الوضع وعموم الموضوع له ممكناً أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ولكن المشهور بين الأصوليين<sup>(٣)</sup> إمكان ثلاثة أقسام من أقسام الوضع وعدم إمكان القسم الرابع معللاً بأنّ الخاص بما هو خاص لا يكون وجهاً ومرآة للعام ، فلا تكون معرفته معرفة له ولو بوجه .

ب - حقيقة الوضع في المعاني الحرفية :

اختلفت كلمات الأصوليين في وضع الحروف ، فمنهم من قال فيها بالوضع العام والموضوع له الخاص<sup>(٤)</sup> . ومنهم من قال بالوضع العام<sup>(٥)</sup> . والموضوع له العام والمشهور هو الأول .

والدليل على كون الموضوع له خاصاً أن الأسماء تدلّ على معانٍ نفهمها منها سواء سمعنا الاسم مجرداً أو في ضمن كلام ، وأمّا الحرف

(١) مناهج الأصول ١ : ٥٩ .

(٢) مناهج الأصول ١ : ٦٠ .

(٣) راجع الكفاية : ١٠ ، ونهاية الأصول : ١٨ ، والمحاضرات ١ : ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) مطارح الأنظار : ٤٥ ، ونهاية الأصول : ٢٢ ، ومناهج الوصول ١ : ٨٠ .

(٥) الكفاية : ١١ ، ١٢ .

فلا يتحصّل له معنى إلّا إذا سمعناه ضمن كلام ، فمدلول الحرف دائماً هو الربط بين المعاني الإسمية على اختلاف أنحائه ، لأنّه إذا فُصِّل الحرف عن الكلام لم يظهر له معنى وليس ذلك إلّا لأنّ مدلوله هو الربط بين معنيين ، والمراد من الربط عبارة عن حقيقة الربط ومصادقه الخاص المتحقق بتبع الطرفين لا مفهوم الربط ، فظهر أنّ الموضوع له في الحروف لا يعقل أن يكون عاماً بل هو خاص<sup>(١)</sup>.

#### ج - كون الهيئة من الحروف :

إنّ الفعل له مادّة وهيئة ، أمّا المادّة فلها مدلول اسمي ولكن الفعل بما هو فعل لا يساوي مدلول مادّته بل يزيد عليها بدليل عدم جواز وضع كلمة أخرى حاكية عن المادة محضاً موضع الفعل ، وهذا يكشف عن أنّ الفعل يزيد بمدلوله على مدلول المادّة ، وهذه الزيادة هو مدلول الهيئة ، فالهيئة موضوعة لمعنى ، ولكنّه ليس معنى اسمياً استقلالياً ، بدليل أنّه لو كان كذلك لأمكن التعويض عن الفعل بالاسم الدال على ذلك المعنى والاسم الدال على مدلول مادّته مع أنّه لا يمكن تعويض الفعل بالاسمين وبذلك ثبت أن مدلول الهيئة معنى نسبي ربطي ، فالهيئة تدلّ على معنى حرفي أي على الربط<sup>(٢)</sup>.

فبعد ملاحظة ما ذكرنا من المقدمات يظهر أن وضع الهيئة من القسم الثالث من أقسام الوضع ولا محالة فمدلول الهيئة معنى جزئي لا يقبل الإطلاق والتقييد<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع نهاية الأصول : ٢١ - ٢٢ ، ومناهج الوصول : ١ : ٨٠ .

(٢) راجع نهاية الأصول : ٢١ .

(٣) راجع مطارح الأنظار : ٤٥ .



واستشكل فيه بوجوه :

١ - عدم تمامية المقدمة الثانية ، وكون الموضوع له في المعاني الحرفية كالموضوع له في الأسماء عاماً ، فلا يكون مفاد الهيئة جزئياً ، فهو قابل للإطلاق والتقييد<sup>(١)</sup>.

٢ - إنه لو سلم أن مفاد الهيئة جزئي وغير قابل للتقييد فإنما هو إذا أنشئ أولاً غير مقيد ثم أريد تقييده ، وأما إذا أنشئ من أول الأمر مقيداً فلا إشكال فيه لعدم منافاة ذلك لجزئيته<sup>(٢)</sup>.

٣ - إن تعليق الجزئي وتقييده ممكن واقعاً ، فزيد قابل للتقييد بالنظر إلى طوارئه وحالاته ، ولهذا تجري فيه مقدمات الحكمة إذا وقع موضوعاً للحكم<sup>(٣)</sup>. ووجوب الحج قابل للتعليق بالنظر إلى الاستطاعة مثلاً.

الدليل الثاني :

كون مفاد الهيئة من الأمور غير المستقلة في اللحاظ :  
إن اتصاف مفاد الهيئة بالاطلاق أو التقييد غير ممكن ، لأن التقييد يتوقف على لحاظ المعنى استقلالياً فلا يعقل تقييد مفاد الهيئة ، لأن مفاد الهيئة معنى حرفي والمعنى الحرفي مما لا يمكن أن يلتفت إليه بما هو معنى حرفي لكونه مغفولاً عنه في حال الاستعمال<sup>(٤)</sup>. وحيث أن الإطلاق هو عدم تقييد ما هو قابل للتقييد فاطلاق الهيئة أيضاً غير ممكن .  
وقد يستشكل بأن التقييد لا يحتاج إلى اللحاظ الاستقلالي ، بل يكفي

(١) الكفاية : ١١ و ٩٧ .

(٢) الكفاية : ٩٧ ، ونهاية الأصول : ١٧٥ .

(٣) مناهج الوصول ١ : ٣٥٢ .

(٤) فوائد الأصول ١ : ١٨١ ، ونهاية الأصول : ١٧٠ و ١٧٦ .

فيه ماهو حاصل ضمن الكلام الذي يتكلّم به من غير احتياج إلى غير  
لحاظ المعاني الاسميّة والحرفيّة على ماهي عليه واقعاً<sup>(١)</sup>.

### الدليل الثالث :

كون الهيئة في الأوامر والنواهي إيجاديّة :  
إنّ الهيئة في الأمر والنهي من الحروف الإيجاديّة ، وتعليق الإيجاد  
مساوق لدعم الإيجاد كما أنّ تعليق الوجود مساوق لعدمه<sup>(٢)</sup>.  
وقد يستشكل بأنّ المراد من التقييد ليس تقييد الإنشاء والهيئة ، بل  
تقييد المنشأ ومفاد الهيئة ، فالمنشأ هو الطلب على تقدير ، وأمّا الإنشاء  
فلا تقييد فيه أصلاً<sup>(٣)</sup>.  
وبعد التأمل في ما ذكرنا تعرف أنّ المتحصّل مما ذكر إمكان الإطلاق  
والتقييد في مفاد الهيئة ، فإذا شككنا في حكم من حيث الإطلاق والتقييد  
تجري فيه مقدمات الحكمة ، ويثبت الإطلاق .

### التطبيقات :

كلُّ أمرٍ أو نهْي صدر من الشارع وشككنا أنّ الوجوب أو الحرمة  
المستفادين منهما ثابت على كلّ حال أو مشروط بشرط ومختصّ بحالة  
خاصّة فعلى القول بامتناع الإطلاق لا يمكن إجراء مقدمات الحكمة  
واثبات الحكم على كلّ حال ، وعلى القول بإمكانه يمكن اجراءؤها ، فيثبت  
الحكم مطلقاً .

(١) مناهج الوصول ١: ٢٥٢، ٢٥١.

(٢) نهاية الأصول : ١٧٠ .

(٣) نهاية الأصول : ١٧٥ .

## الطاعة والثورة في النهج السياسي للإمام الحسين عليه السلام

(١)

الدكتور أحمد عبدالمجيد محمود (استراليا)

خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ هجرية ببنيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته ، بعد أن امتنع عنبيعة يزيد بن معاوية . يقول أبو سعيد المَعْبُري : نظرت إلى الحسين عليه السلام داخلاً مسجد المدينة وإنّه ليمشي وهو معتمد على رَجُلَيْن : يعتمد على هذا مرّة ، وعلى هذا مرّة ، وهو يتمثل قول ابن مفرّغ : لاذعرت السّوام في فلق الصبّ — ح مغيراً ، ولا دعيت يزيدا يوم أعطي من المهابة ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا قال ، فقلت في نفسي : واللّه ما تمثّل بهذين البيتين إلّا لشئٍ يريد .



قال: فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة<sup>(١)</sup>.

لمّا سار الإمام الحسين عليه السلام نحو مكة تلا هذه الآية: ﴿فخرج منها خائفاً يتترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين﴾<sup>(٢)</sup>. فلمّا دخل مكة، قال: ﴿ولمّا توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾<sup>(٣)</sup>.

إن هذه الصورة تحكي لنا قصة التشابه في الموقف بين خروج رسول الله موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، وخروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة. فكما كان فرعون حاكماً ظالماً يطلب موسى عليه السلام ليقنتله، كذلك كان يزيد حاكماً جائراً يطلب الإمام الحسين عليه السلام ليقنتله. لأن فرعون كان لا يخاف على نفسه وعلى ملكه إلا من موسى عليه السلام. وكذا كان يزيد. كان لا يهاب ولا يخاف على ملكه إلا من الإمام الحسين عليه السلام لأنّه عليه السلام لم ير ليزيد خلافة ولا بيعة<sup>(٤)</sup>. فمن هنا جاء في زيارة وارث: «السلام عليك يا وارث موسى كلیم الله»<sup>(٥)</sup> لأن وراثته الإمام الحسين عليه السلام لموسى عليه السلام تتمثل بالوراثه النبویة، وبالموقف الديني السياسي الثوري الذي اتّخذه موسى عليه السلام ضد فرعون عصره وسياسته، ورفض الطاعة له، وأعلن الثورة عليه، لأنّه كان عاصياً لله، كافراً بالله، متمرداً على شريعة الله، يسوم الناس بألوان العذاب. وكذلك كان يزيد.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٤٢، المسعودي، مروج الذهب ٣: ٥٤.

(٢) القصص: ٢١.

(٣) القصص: ٢٢.

(٤) آمالي الصدوق: ٣٠.

(٥) الكفعمي: المصباح؛ زيارة ليلة الفطر ويومه للإمام الحسين: ٥٠٠، الجوهرى، ضياء الصالحين: ١٤١.

مراسلة الكوفيين إلى الإمام الحسين عليه السلام وردّه على رسائلهم :

إن الاجتماع العام لزعماء أهل الكوفة الذي أخذ مكانه في منزل سليمان بن صرد بعد علمهم بموت معاوية ، وامتناعبيعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد ، وخروجه إلى مكة ، وأخذهم القرار الذي صدر عنهم بمراسلة الإمام الحسين عليه السلام <sup>(١)</sup>؛ يدل على أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الذي أعلن الثورة على يزيد وعلى حكومته . ويبطل ما جاء على لسان معاوية بأن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه . وخير دليل وشاهد على ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام نفسه : «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد عليه السلام أريد أمر بالمعروف ، وأنهاى عن المنكر ، واسير بسيرة جدي ، وسيرة أبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، وهو أحكم الحاكمين» <sup>(٢)</sup>.

إنّ في هذه الكلمة الموجزة تكمن أسباب ثورته عليه السلام الإلهية السياسية ، وأهدافها ، وخطها ، ومنهجها ، ومبادئها .

ومهما يكن من أمرٍ ؛ فإن كل الشواهد والدلائل تشير إلى أن الإمام الحسين عليه السلام كان سيد الأمة ، دينياً ، سياسياً ، وعلماً ، وشرفاً ، ونسباً ، ومجداً ، وسؤداً ، وعظمة ، وأبعد الناس نظراً في الأمور وعواقبها ، والتحركات السياسية التي تمر فيها الأمة الإسلامية ، والتطورات الاجتماعية ، وأكثر الناس معرفة بالأسباب التي دعت إلى استشهاده أبيه ، وخذلان أخيه ، فلم يترك للأمة الإسلامية قاطبة حجة ولا ذريعة ، سواء منهم الذين التزموا بطاعة يزيد أو الذين رفضوا طاعته - أي طاعة

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣٥٢ : ٥ . ٣٥٣ .

(٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ٤ : ٩٧ .

الإمام الحسين عليه السلام - وتهياًوا لقتاله . فبين لهم مبادئ ثورته ، والأسباب الداعية إليها . فكان عليه السلام يقيم عليهم الحجة ، ويعذر إلى الله في تعريفهم المحجة<sup>(١)</sup> .

فمن هنا اتجهت أنظار أهل الكوفة إليه ، ولم تتجه إلى عبد الله بن الزبير ، مع أن عبد الله بن الزبير كان قد امتنع عن بيعة يزيد ولحق بمكة<sup>(٢)</sup> . وذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام كان أعظم مقاماً ومنزلة ، وأجل قدراً في أعين المسلمين وأنفسهم منه ، وأطوع في الناس منه<sup>(٣)</sup> . فما إن نزل الإمام الحسين عليه السلام مكة ؛ حتى أقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه ، ومن كان بها من المعتمرين ، وأهل الآفاق ، حتى أن ابن الزبير كان يأتي حسيناً عليه السلام صباحاً ومساءً<sup>(٤)</sup> فيمن يأتيه ، وقد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ، ولا يتابعونه أبداً مادام الإمام الحسين عليه السلام في مكة<sup>(٥)</sup> ولأن أهل الحجاز لا يعدلون بالحسين عليه السلام أحداً<sup>(٦)</sup> .

وإذا دققنا الملاحظة نرى أن الإمام الحسين عليه السلام قد استخلص من خلال رسائل أهل الكوفة - التي وردت عليه - شيئين :

إنَّ أهل الكوفة ليس عليهم إمام حتى يجتمعوا على طاعته ، وأنه هو الأمل الذي يجمعهم به الله على الهدى والحق . وبناءً على ما طرحوه في رسائلهم ؛ أرسل إليهم الإمام الحسين عليه السلام ابن عمّه وثقته من أهل بيته

(١) الإربلي ، كشف الغمة ٢ : ٢٣١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) أبو مخنف ، مقتل الحسين : ٢٧ .

(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال : ٢٢٩ .

(٥) أبو مخنف ، مقتل الحسين : ٢٧ .

(٦) ن . م . مقتل الحسين : ٢٧ ، الدينوري ، الأخبار الطوال : ٢٢٩ ، الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٥١ .

مسلم بن عقيل حجة عليهم ، لا ثقة بهم ولا بنصرهم ، وحتى يدفع في صدر من ربما قال لم أعلم أو كنت مشدوهاً أو اشتبه علي الأمر فلم أهتد لجواب الصواب<sup>(١)</sup> ، وليدرس له الوضع عن كُتُب ويكتب إليه بحالهم وبحقيقة أمرهم ورأيهم<sup>(٢)</sup> ، فإن كتب إليه بأن قد أجمع رأي ملئهم ، وذوي الحجى منهم على مثل ما قدمت عليه به رسلهم وقرأ في كتبهم أقدم عليهم . ومن الطبيعي جداً أن يطرح لهم الإمام الحسين عليه السلام برسالته إليهم مع سفيره خصائص وصفات الإمام ، الذي يجب على الأمة أن تؤدي الطاعة إليه . فقال : « فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، والآخذ بالقسط والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله »<sup>(٣)</sup> حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، ويكون موقفهم واضحاً في اختيارهم لخليفة الله ورسوله ، الذي يجب أن يكون عاملاً بكتاب الله . ولا يمكن له أن يكون عاملاً بكتاب الله إذا كان لا يعرف ما في كتاب الله من شرائع ، وأحكام ، وما انطوى عليه من الهدى ، وأن يحكم بالعدل بين الناس ، حتى لا تضطرب أمورهم ، ويمتنع الظلم والفساد في الأرض ، ويدين بدين الحق . فعندئذ تنعم الأمة بإمامها العادل ، فيعمها السلام ، ويتنزل عليها بركات السماء ، وتبتغي فيما آتاها الله الدار الآخرة .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لقد بين الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء أهل البصرة ، وأشرفها - كما يلاحظ في رسالته التي أرسلها إليهم - ، بأن أهل البيت هم : آل الرسول صلى الله عليه وآله وأولياؤه ، وأوصياؤه ، وورثته ، وأحق

(١) الإربلي ، كشف الغمة ٢ : ٢٢٣ .

(٢) أبو مخنف ، مقتل الحسين : ٣ ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال : ٢٣٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ٣ : ٥٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٣ .

الناس بمقامه في الناس ، بل أحق الناس بمقام الخلافة التي هي لهم من تولاهما<sup>(١)</sup>. ودعاهم إلى كتاب الله وسنته اللذين فيهما يظهر حق آل البيت بخلافة الله ورسوله ، ثم وصف لهم الحالة التي وصل إليها الإسلام ، بسبب ما أقدمت عليه الحكومة الأموية من إماتتها للسنة النبوية بكل شرائعها وأحكامها ، واستبدالها بأحكام وتشريعات دنيوية أحيت بها البدع المخالفة لأحكام الله وسنة نبيه ﷺ .

ومن ثم ... وبعد كل ما تقدم نرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام أقام عليهم الحجة من طرق ثلاثة : كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، ونفسه الشريفة بأنه هو خليفة الله ، وخليفة رسوله ووصيه ، ووارثه . ثم ترك لهم الخيار في السمع والطاعة . وحتى لا يضلوا عن الحق وأهله ، ويلتزموا بالشرعية الإسلامية ؛ بيّن لهم بأن هدايتهم إلى سبيل الرشاد مقرونة بالسمع له والطاعة<sup>(٢)</sup> ، لأن السمع والطاعة لمن ولاه الله الأمر من نظام الإسلام<sup>(٣)</sup> .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ، أن مطالبة الإمام الحسين عليه السلام بحق أهل البيت في الخلافة لا يفهم منه مطلقاً أنّه ثار من أجل الرياسة والزعامة . وإن كان هو سلام الله عليه أحق أهل الأرض في الخلافة ، والحكم . فمن هو أعلم أو أفقه منه في زمانه ؟ أيزيد ؟ أم مستشاره سرجون ؟ أم عبيد الله بن زياد ؟

(١) نفس المصدر، تاريخ الطبري ٣٥٧: ٥ .

(٢) نفس المصدر، تاريخ الطبري ٣٥٧: ٥ .

(٣) المفيد ، آمالي المفيد : ١٤ .



## شعارات ثورة الإمام الحسين عليه السلام :

إن شعارات ثورة الإمام الحسين عليه السلام واضحة وأعلامها قائمة . منها :  
«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان متاً ، تناقضاً في سلطان ، ولا التماساً من فضول  
الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من  
عبادك ، ويعمل بفرائضك ، وسنتك وأحكامك»<sup>(١)</sup> .

ومنها : «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة  
رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ، ولا قول كان :  
حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة  
الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالغيء ، وأحلوا حرام الله ،  
وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيري»<sup>(٢)</sup> .

ومنها : «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفرعون ، وأنتم لذمم آبائكم تفرعون ،  
وذمة رسول الله محفورة ، وبالأدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون ، كل ذلك مما  
أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون» . ومنها : «إصلاح هذه الأمة ،  
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى  
الإسلام مع ردّ المظالم ، ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيء والغنائم ، وأخذ الصدقات من  
مواضعها ، ووضعها في حقها» .

ومنها : «ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه ! ليرغب المؤمن  
في لقاء الله محققاً ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(٣)</sup> .

(١) أحمد عبدالمجيد حمّود ، مقال ، أسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام ودوافعها مجلة التوحيد ،  
العدد ١١٨ : ٣٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٤٠٣ .

(٣) نفس المصدر ، تاريخ الطبري ٥ : ٤٠٤ .

«ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء»<sup>(١)</sup>، لقد رأى أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه<sup>(٢)</sup>.

إلى آخر ما هنالك من النصوص الكثيرة التي يتضح من خلالها منهج الإمام الحسين عليه السلام بالحكم، وفكره الديني السياسي في الإمام أو الخليفة الذي يجب على الأمة طاعته.

### الطاعة والمعصية عند بني أمية وولاتهم :

إنّ من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا هي أنّ مسألة الطاعة والمعصية كانت تسيطر حتى على فكر ولاة يزيد. فالوليد بن عتبة رفض - كما رأينا سابقاً - طاعة مروان بن الحكم عندما أشار عليه بقتل الإمام الحسين عليه السلام، إذا لم يبايع ويدخل في طاعة يزيد<sup>(٣)</sup>. والنعمان بن بشير الذي كان والياً ليزيد على الكوفة عندما دخلها مسلم بن عقيل وبايعته الناس، رفض طلب عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي<sup>(٤)</sup>، خليفة بني أمية وتحريضه إياه على اتباع سياسة الظلم، فوصفه عبدالله بن مسلم الحضرمي بالضعيف أو المتضعّف. فقال له النعمان: «أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله، أحب إليّ من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله» فأدّى به ذلك إلى عزله عن الكوفة واستبداله بعبيد

(١) ابن خلدون، المقدمة: ٢١٧.

(٢) نفس المصدر، المقدمة: ٢١٦.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٢٨. الطبري، تاريخ الطبري: ٥: ٣٣٩.

(٤) وقيل أن الذي طلب منه ذلك عبدالله بن شعبة الحضرمي، وهو أول من كاتب يزيد في قتل الحسين عليه السلام (أبو مخنف، مقتل الحسين: ٣٤).

الله بن زياد<sup>(١)</sup>. ولعلّ النعمان بن بشير أظهر سياسة التضعف عند دخول مسلم بن عقيل الكوفة ، حتى لا تكون له يد في المشاركة بقتل مسلم بن عقيل<sup>(٢)</sup> ، هذا مع أنّه كان من أشدّ الناس مجاهرة في عداوته للإمام علي عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

والذي يبدو من ملاحظة كتب التاريخ والرواية أنّ الأمويين لم يولّوا أحداً من الناس من أمورهم شيئاً حتى يتّبع ملتهم بالعداء الشديد لأهل البيت النبوي ، لا سيما الإمام علي عليه السلام ، لأنّ الإمام علياً عليه السلام كان قد ضربهم على الإسلام ضرباً شديداً فدخلوا في الإسلام كرهاً<sup>(٤)</sup>. وفي كتاب له عليه السلام إلى أصحابه جاء فيه : «فو الذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسروا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه»<sup>(٥)</sup>.

وإلى جانب ذلك كله ، إذا دققنا النظر في تولية عبيدالله بن زياد الكوفة ؛ نلاحظ بأنّ الذي خطط لذلك معاوية قبل هلاكه مع مستشاره سرجون ، لأنهما لم يجداً أحداً يمكن له أن ينفذ أوامر يزيد بن معاوية ، أو يعمل مثل عمل يزيد إلّا عبيدالله بن زياد<sup>(٦)</sup> ، الذي ركّز أيضاً على فكرة الطاعة لكي يهدئ ثائرة الناس عندما ضرب هانئ بن عروة وحبسه ، فقال لهم في خطبته : «إعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم»<sup>(٧)</sup>.

أمّا شريح القاضي فقد استجاب لطاعة عبيدالله بن زياد ، فخدع له

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٤٨ و ٣٥٦ .

(٢) نفس المصدر ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٦ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ٣ : ١٥٨ .

(٤) كاظم محمد ومحمد دشتي ، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ١٠٣ خطبة ٦٤ .

(٥) نفس المصدر ، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ٨٦ : باب الرسالة ١٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٦ .

(٧) الإصفهاني ، مقاتل الطالبين : ١٠٣ .

مذبح التي جاءت مطالبة بهانيء بن عروة الذي قال له: «إتق الله يا شريح ، فإنه قاتلي» ، وقد انتهى الأمر بقتل هانيء وسحبته إلى الكناسة ، وصلبه هناك<sup>(١)</sup>.

#### الطاعة ومسلم بن عقيل :

على كل حال ، لما أخبر إياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو ابن ثمامة - وكان شاعراً - الإمام الحسين عليه السلام خبر مسلم بن عقيل ، قال له: «كلّ ما حمّ نازل ، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا»<sup>(٢)</sup>. فإن دلّ هذا النصّ على شيءٍ ، فإنما يدلّ على فساد الأمة ، وإذا فسدت الأمة ؛ اتخذت ستر الله ذريعة إلى المعصية .

إنّ ما حلّ بسفير الإمام الحسين عليه السلام من تعذيب وانتهاك لحرمة ، وسفك لدمه الزكيّ الطاهر ، وسوء القتلة ، وقبح المثلة ، لم يثن من عزم الإمام الحسين عليه السلام وعمّا هو قاصد إليه ، مع علمه بأن الكوفة التي خذلتها وخذلت مسلم بن عقيل هي نفس الكوفة التي كان والده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل يتمنى فراق أهلها ، إمّا بالموت أو القتل<sup>(٣)</sup> ، وهي نفس الكوفة التي قال الإمام عليه السلام لأهلها : «كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيكم يحمل قوبهم ضعيفهم ، قالوا : نفعل ونفعل ، فحرّك رأسه ، ثم قال : توردون ثم قال : تعردون»<sup>(٤)</sup>. ثم تطلبون البراءة ، ولا براءة لكم !!!<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٧٥ .

(٣) ن . م .

(٤) تعردون : تهربون (الفيروزآبادي ، القاموس ١ : ٣٢٥) .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ٢ : ١٤٨ .

وهي نفس الكوفة التي استشهد فيها أبوه ، وطعن أخوه<sup>(١)</sup> ولقد وبَّخ أهلها بما فعلوا بأبيه وأخيه قبله<sup>(٢)</sup> . يضاف إلى ذلك كلّهُ أنّ الرسائل التي أرسلت إليه من قبل أشرف أهل الكوفة<sup>(٣)</sup> ، كان يعلم بأنها لم تكن إلّا سوقاً ومكسباً لهم ، قد أخذوا الثمن والرشوة عليها<sup>(٤)</sup> . والذي يؤيد ذلك ما جاء عنه حين قال : «... وما كانت كتب من كتب إليّ إلّا مكيدة لي ، وتقرباً إلى ابن معاوية»<sup>(٥)</sup> .

ومع هذا كلّهُ ، بعث إليهم مسلم بن عقيل حتى يدعوهم إلى حكم الله وطاعته ، ويأمر بالعدل ، بعد أن سفك الأمويون دماء المسلمين وولغوا بدمائهم ولغاً ، وقتلوا الأنفس التي حرّم الله قتلها ، وقتلوا النفس بغير النفس ، وسفكوا الدم الحرام ، وفسدت الأمة بفسادهم ، وقتل ولاتهم المسلمين على الغضب والعداوة ، وسوء الظنّ ، حتّى أن ذلك كلّهُ لم يؤثّر بهم ، بل كانوا يلهون ويلعبون ، كأنّهم لم يصنعوا شيئاً<sup>(٦)</sup> .

إنّ قتل مسلم بن عقيل كان قتلاً دينياً سياسياً ، لأنّه لم يقدم الولاء والطاعة ليزيد بن معاوية ، ولم يقبل به أن يكون على رأس الأمة الإسلامية آنذاك . بل كان يؤمن بأن الإمام الحسين عليه السلام هو خليفة الله ورسوله ، وهو القائد لهذه الأمة ، وصاحبها ، وزعيمها ، وقائد مسيرتها دينياً وسياسياً . وقد قال ذلك لعبيد الله بن زياد عندما قال له الأخير :

(١) م . ن ٣ : ١٥٦ .

(٢) م . ن ٣ : ١٧١ .

(٣) م . ن ٣ : ١٥٨ .

(٤) م . ن ٣ : ١٧٢ .

(٥) م . ن ٣ : ١٨٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٧٧ .

«كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً ! قال : والله ما هو الظن ، ولكنه اليقين . قال : قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام ! قال : أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تدع سوء القتلة ، وقبح المثلة ، وخبث السيرة ، ولؤم الغلبة ، ولا أحداً من الناس أحق بها منك (١) .

إنّ الطاعة التي قدّمها مسلم بن عقيل إلى الله ورسوله وإمامه الحسين ابن علي عليه السلام تختلف اختلافاً كبيراً في أبعادها عن طاعة عبيد الله بن زياد إلى إمامه يزيد بن معاوية ويطالب الناس أن يعتصموا بها (٢) .

الأسباب الداعية إلى تخاذل أهل الكوفة عن مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة . إنّ من أهم الأمور التي يمكن أن يستدل بها الباحث على الأسباب التي أدّت إلى خذلان الناس عن مسلم بن عقيل يمكن أن تتلخص في الأمور التالية :

التهديد والوعيد من قبل عبيد الله بن زياد إلى كل من يخالف أوامره ، والإحسان إلى من يسمع له ويطيعه ، والأخذ بالشدّة على كل من يعصي أوامره . وقوة وقدرة المخابرات الأموية في إختراقها لصفوف زعماء أهل الكوفة ، وثقة هؤلاء الزعماء بهم وذلك من خلال الموائيق المغلّظة (٣) . أضف إلى ذلك شدة مراقبة الولاة الأمويين حتّى لأهل الخاصة منهم وبطانتهم ، وبث العيون عليهم واستعمال الكيد ، ودس الرّجال بين

(١) م . ن .

(٢) م . ن . ٥ : ٣٦٨ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال : ٢٣٦ .

أصحاب مسلم بن عقيل<sup>(١)</sup>، وإعطاؤهم الأموال، لأن إعطاء الأموال يؤدي إلى الاطمئنان والثقة<sup>(٢)</sup> بحيث من خلالها يتم كشف الأسرار، وعلم الأخبار، وفوق ذلك كله إن الحرمان والعطاء، كان على قدر ما يقدم الفرد من الطاعة والمعصية. فإن قدّم الطاعة فله الزيادة والكرامة، ومن عصى فله الحرمان ولذريته من العطاء والعقوبة. هذا بالإضافة إلى تخويفهم وإرعابهم بأن الجنود قد خرجت من الشام وهي في طريقهم إليهم<sup>(٣)</sup>.

وإذا دققنا النظر في الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً في الكوفة؛ فإننا لا نكاد أن نشك بأن عبيد الله بن زياد قد استفاد كثيراً من الانقسام القبلي العام، ومن انقسام القبيلة الواحدة على نفسها، حتى أن قبيلة مذحج التي هدّد بها هانيء بن عروة المرادي عبيد الله بن زياد إذا ما حاول قتله، كانت منقسمة على نفسها. وهنا أمر لا بد أن يسترعي الوقوف عنده، هو أن مذحج لم تخرج حتى لنصرة زعيمها هانيء بن عروة الذي أخرج لضرب عنقه، وهو مكتوف، وهو ينادي، وامذحجاه، ولا مذحج لي اليوم! وامذحجاه، وأين مني مذحج، وهم أعزّ أهل المصر، وعدد أهل اليمن<sup>(٤)</sup>؟ تا الله إن هذا لشيء عجاب!

وبعد فيظهر أن كل هذه الأمور مجتمعة قد أثرت على قيم الناس، وخاصة بعدما ضعف الدين في أنفسهم، وفقدوا شخصيتهم الإسلامية، فأخذوا يتفرقون، وينصرفون عن مسلم بن عقيل، حتى لم يبق معه أحد

(١) المفيد، الإرشاد: ٢١٧.

(٢) م. ن: ٢٠٧.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري ٥: ٣٧٠.

(٤) م. ن: ٢٧١.

ليدلّه على الطريق ، فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب<sup>(١)</sup>.

أيّ غريب الديار أنت يا مسلم ! والهفي عليك ! لم يخافوا الله فيك ! فأين أمانهم الذي أعطوه إياك ؟ وأنت مسند ظهرك إلى جنب الدار ، وقد أثختك الجراح ، فعجزت عن القتال ، وهم يقولون : لك الأمان . وأنت تقول لهم : لا أمان لكم<sup>(٢)</sup> !

وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها محمد بن الأشعث الذي سلبه سيفه وسلاحه حين أعطاه الأمان<sup>(٣)</sup>.

وتركت ابن عمّك أن تقاتل دونه فشلاً ، ولولا أنت كان منيعاً  
وقتلته وافد آل بيت محمد وسلبت له أسياًفاً ودروعاً  
وهذا أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم ، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق<sup>(٤)</sup>.

إنّ الذي يواسينا العزاء فيك يا مسلم ! التأسّي برسول الله ﷺ . لقد بكاك حتى جرت دموعه على صدره الشريف<sup>(٥)</sup>. وذوبان نفسك في طاعة الله ، وبكاؤك على الحسين عليه السلام ، وآل الحسين ، وما كنت لنفسك تبكي ، كما قلت لعمر بن عبيد الله بن عباس «إني والله ما لنفسي أبكي ، ولا لها من القتل أرثي ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ ، أبكي

(١) م. ن. ٥ : ٣٧١ .

(٢) م. ن. ٥ : ٣٧٤ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٣ : ٥٩ .

(٤) م. ن. ٣ : ٦٠ .

(٥) الصدوق ، آمالي الصدوق : ١١١ .



لحسين، وآل الحسين»<sup>(١)</sup>.

إننا نحب أن نسأل عن شيء هنا وهو: إذا كان مسلم بن عقيل ليس له في الكوفة منزل حتى يأويه أو عشيرة حتى تقيه. فما هو إذاً عذر مذحج حتى تدع زعيمها هانيء بن عروة يقتل، ويصلب على مسمع ومرأى منها<sup>(٢)</sup>؟ وكما من رسالي، لما رأى هانيء أن أحداً لا ينصره، جذب يده فنزعها من الوثاق، وحاول أن يدافع عن نفسه ما استطاع، ورفض أن يمد عنقه حتى لا يعينهم على نفسه<sup>(٣)</sup>.

وهذا كما ترى، فألى أية درجة يا ترى كان الإيمان، أو الدين الإسلامي، أو قل على الأقل، القيم العربية كانت تتفاعل في قبيلة مذحج، هذا فضلاً عن باقي القبائل في الكوفة حتى يقاد زعيم مذحج، وأحد أشرف الكوفة مقيداً ثم يضرب بالسيف حتى يقتل؟

إنها الكوفة، إنها العفوية، والارتجالية في المواقف التي تسقط أمام أية معارضة تواجهها، وتراجع أمام أية حركة تناهضها. فلهذا انحازت مذحج بأغلبيتها الساحقة، وبقوتها الضاربة إلى جانب عبيد الله بن زياد خوفاً وطمعاً. لقد كان هانيء يرى في مذحج شيئاً، وهم في حقيقة الأمر شيء آخر. لقد كان هانيء يظن بأنه شديد الساعد، كثير الأعوان، قوي الشكيمة، مسموع الكلمة، كثير السيوف، ممنوع في عشيرته<sup>(٤)</sup>.

ومع كل هذا، فإننا لا نستبعد من أنه كانت هناك فئة ولو قليلة أو على

(١) الطبري، تاريخ الطبري ٥: ٣٧٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري ٥: ٣٧٩.

(٤) م. ن ٥: ٣٦٧.

الأرجح جماعة من ذويه قد تحركت أو قامت لتدافع عنه لكنها غلب على أمرها لميل القوى القبلية إلى جانب عبيد الله بن زياد .

وبناءً على كل ما تقدم ، أنا أستبجح لنفسي القول بأن الكوفة كان ينقصها الوعي الديني ، والوعي السياسي ، والوحدة في الموقف ، والإخلاص في الولاء حتى إلى العشيرة أو القبيلة التي كانت من خلالها تتأثر الحمية ، والعزيمة ، والنخوة . فمن هنا كان التخاذل والتواكل ، والتهرب من نصرته الحق والعدل المتمثلين بسفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة ، ممّا أدّى إلى انكسار الحق ، والتنكيل بالعبدین الصالحين : مسلم بن عقيل ، وهانيء بن عروة المرادي ، وقتلتهما صبراً . فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتلتهما . ويقال : قاله الفرزدق <sup>(١)</sup> ، وقيل : أن الذي قال هذه القصيدة عبدالرحمن بن الزبير الأسدي <sup>(٢)</sup> :

إن كنت لاتدرين ماالموت فانظري	إلى هانيء في السوق وابن عقيل
إلى بطلٍ قد هشّم السيف وجهه	وأخريهوي من طمار قتيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا	أحاديث من يسرى بكل سبيل
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه	ونضح دمٍ قد سال كلّ مسيل
فتى هو أحيا من فتاة حيّة	وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أيركب أسماء الهماليج آمناً	وقد طلبته مذحج بذحول؟
تطيف حواليه مراد وكلهم	على رقبة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تتأثروا بأخيكم	فكونوا بغايا أراضيت بقليل

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ : ٤٢ : الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال : ٢٤٢ .

ينقل لنا صاحب هذه القصيدة صورة عن الكيفية التي نفذت فيها عملية القتل في هانيء بن عروة ، ومسلم بن عقيل ، وكيف تناقلتها الناس في أحاديثها لهولها ، ولفضاعتها . ويتحدث عن قبيلة هانيء بن عروة وتخاذلها ، وكيف أنها رضيت بالتخاذل ، فلم تحرك ساكناً من أجل الدفاع عنه ، بل كل الذي قامت به ، أنها اكتفت بالسؤال والتساؤل عما جرى على زعيمها . وهذا تعنيف وتقريع وتوبيخ وتحقير للرجال المهزومين ، وتهربهم من نصرة الحق والعدل .

وفي نهاية القصيدة يحاول أن يحرك مشاعرهم ، ويثير همهم علمهم يثورون ويثأرون لهانيء .

وهكذا يتضح بما لا مجال معه للشك بأن قتل هانيء بن عروة المرادي كان أيضاً قتلاً دينياً سياسياً لأنه كان يؤمن بطاعة الإمام الحسين عليه السلام وحقه المنصوص عليه في الخلافة ، وقيادة الأمة الإسلامية ، ورفضه لطاعة الحاكم الجائر الظالم والنزول على حكمه <sup>(١)</sup> .

وخلاصة الأمر : إن هذه الشواهد مجتمعة تدل على الكثير مما كان يجري على المسلمين في ذلك العصر من شؤون دينية ، وسياسية ، واجتماعية ، واقتصادية . «وكيف أن المثل العليا تتغير بتغير البيئات والعصور ، وكذلك الأشخاص يتغيرون بتغير البيئات والعصور» <sup>(٢)</sup> . وهذا ما حصل للمسلمين في عهد معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد ، فهم في بيئة غير إسلامية ، بل كادوا أن ينقطعوا كلياً عن الإسلام

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٥٧ .

(٢) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ١ : ٣٦٧ .

وشرائعه وتعاليمه . فتغيّرت أحوالهم ، وتبدّلت شؤونهم ، ولم ينكروا على أنفسهم ما هم فيه ، وأقبلوا على دنياهم يتمرّغون فيها ، واستغلّوها استغلالاً لا حدّ له حتى أنستهم دينهم وآخرتهم ، فأقدموا على قتل الصالحين من أمتهم ، وأتوا بأمرٍ عظيم اهتزت له السماوات والأرض لإقدامهم وتجبرئهم على قتل ريحانة رسول الله ﷺ .

أفترئ بعد هذا كلّه أن تتساءل . لماذا رفض الإمام الحسين ﷺ طاعة يزيد بن معاوية ، وأعلن الثورة عليه وعلى حكومته ؟ .  
ومع ذلك ، فلا بدّ لنا أن نتعرف على مفهوم الطاعة والثورة في فكر الإمام الحسين ﷺ الديني السياسي وأصحابه . وهذا ما سأحاول أن أثّره الآن .

#### الطاعة والثورة في فكر الإمام الحسين ﷺ السياسي :

إنّ الإمام الحسين ﷺ كان يعلم بأن يزيد بن معاوية لن يتركه وشأنه ، سواء كان في المدينة أو في مكة ، أو في اليمن أو في كربلاء ، فقال ﷺ : «ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركّز بين إثنتين ، بين السّلة والدّلة ، وهيهات منا الدّلة يابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت أن نوثر مصارع الكرام على طاعة اللّثام ، ألا وإنّي زاحف بهذه العصا على قلة العدد وكثرة الخذلة والعدو»<sup>(١)</sup> .  
وفي موقف آخر ، قال ﷺ : «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد»<sup>(٢)</sup> .

(١) المسعودي ، إثبات الوصية : ١٧٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤٢٥ : ٥ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ٣ : ٨٨ .

وعن جعفر بن سليمان الضَّبَّعي ، قال : قال الحسين عليه السلام : «والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي ، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة<sup>(١)</sup> - أي خرقة الحيض - . وقال لأخته زينب عليها السلام ليلة العاشر من المحرم : «لو ترك القطا ليلاً لنام ؛ قالت : يا ويلتي ! أفتغتصب نفسك اغتصاباً ، فذلك أقرح لقلبي ، وأشدّ على نفسي<sup>(٢)</sup> .

إنّ الإمام الحسين عليه السلام أثنى على كلّ من قدّم له رأيه ونصيحته عندما عزم على المسير من مكة إلى العراق<sup>(٣)</sup> . وما كان استعجاله بالخروج من مكة إلّا لأن يزيد دسّ إليه الرّجال لاغتياله وليقاتله في الحرم ، فخرج من الحرم حتى لا تستحل حرمة البيت ، وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله <sup>(٤)</sup> ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «إنّما أذن الله لي في القتال بمكة ساعة من نهار ، ثم عادت كحرمتها»<sup>(٥)</sup> . ومن أولى بالطّاعة لله ولرسوله والمحافظة على حرم بيت الله ، وحرمة رسوله ، من الإمام الحسين بن علي عليه السلام ؟

ورفض عروض عبد الله بن الزبير عليه من المبايعه له أو المبايعه لعبد الله وتوليته هذا الأمر ، فيطيعه ولا يعصي له أمراً ، فردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام ، فقال : «إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحل حرمتها ، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش»<sup>(٦)</sup> .

إنّ جواب الإمام الحسين عليه السلام لابن الزبير يوضح له بأنّه غير غافل عن

(١) م. ن. ٥ : ٣٩٤ .

(٢) م. ن. ٥ : ٤٢٠ .

(٣) م. ن. ٥ : ٣٨٢ و ٣٨٤ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٤ : ٢٤٩ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ : ٤٣ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٦٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ٥ : ١٨٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٨٤ ، ابن حجر ، الصواعق المحرقة : ٢٩٨ .

طموحاته السياسية ، فأراد بذلك أن لا يتهمة ، وأن يعذر في القول<sup>(١)</sup> . وفي موقف آخر ، عندما طلب منه عبدالله بن الزبير أن يبايع لنفسه في مكة ، وأخذ على نفسه أن يجمع له الناس ، قال له الإمام الحسين عليه السلام : «والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلي أن أقتل داخلاً منها بشير . وأيم الله ! لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام ! لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ، والله ليعتدين علي كما اعتدت اليهود في السبت»<sup>(٢)</sup> .

ولما التقى الإمام الحسين عليه السلام بالفرزدق وهو في طريقه إلى العراق ، قال له : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ! ما أعجلك عن الحج ! فقال : لو لم أعجل لأخذت . فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، وأحلّ من إحرامه ، وجعلها عمرة لأنه لم يتمكن من تمام الحج مخافة أن يقبض عليه ، أو يقتل كما صرّح بذلك ، سلام الله عليه<sup>(٣)</sup> .

ويحاول عبدالله بن جعفر أن يثنيه عما هو عازم عليه ، وأن يرجعه إلى مكة بمساعدة واليها عمرو بن سعيد بن العاص . فلحقه عبدالله ويحيى ابن سعيد أخ عمرو وقد جهدا به ، فقال : إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له عليّ كان أولي ، فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربي<sup>(٤)</sup> .

إن طاعة الإمام الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرؤيا وهو عند الرفيق الأعلى ، لا تختلف عن طاعته له وهو حي . لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمام حياً

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ٣ : ١٦٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٢٨٥ .

(٣) المفيد ، الإرشاد : ٢١٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٢٨٨ .

وميتاً<sup>(١)</sup>. فطاعته واجبة في كلتا الحالتين. وإن دلّ هذا علي شيء فإنما يدل على أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت تسير ضمن خط مرسوم لها من قبل الله عزّ وجل، ورسوله ﷺ. لقد أمره رسول الله ﷺ بأمرٍ هو ماضٍ له سواء كان له أم عليه.

ومن هنا، نلاحظ أنّ النصائح التي قدّمها له عبدالله بن عباس، مثل تحذيره من أهل العراق، والإشارة عليه بالتوجه إلى اليمن، وتخويفه بالقتل<sup>(٢)</sup>. ومحاولة إثارة عاطفته من قبل عبدالله بن جعفر، بأن أهل بيته سوف يستأصلون. وأتّه إذا قتل طفياً نور الأرض، لأنه علم المهتدين، ورجاء المؤمنين<sup>(٣)</sup>. لم يثن ذلك كلّ من عزمه أو يؤخّره عن المسير، لأن طاعة رسول الله ﷺ عنده أولى من طاعة الناس، حتى لو كان في طاعة رسول الله ﷺ الهلاك والاستئصال، وفي طاعة الناس الدّعة والعافية والسلامة، لأن الله ورسوله أدري بالأمور وعواقبها.

فلهذا نرى عندما قال له الفرزدق: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، قال: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب، فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء؛ فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريره<sup>(٤)</sup>.

إنّ الشيء الذي لا يشك فيه أن الإمام الحسين عليه السلام كان مصمماً على

(١) الكليني، الأصول في الكافي ١: ٤٥١.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري ٥: ٣٨٤ و ٣٨٥.

(٣) م. ن ٥: ٢٨٧.

(٤) م. ن ٥: ٣٨٦.

الثورة منذ أيام معاوية ، لكنه لم يدع إلى نفسه نتيجة للهدنة الحاصلة بينه وبين معاوية والتزام الوفاء بها<sup>(١)</sup>.

وفي ردّه على كتاب<sup>(٢)</sup> عمرو بن سعيد بن العاص ، عامل يزيد بن معاوية على مكة ، الذي يدعو فيه حتى يرجع إلى مكة وله عنده الأمان ، والصلة ، والبرّ وحسن الجوار بيّن له بأنه خرج داعياً إلى الله عزّ وجل ، وإلى صلاح أمر هذه الأمة<sup>(٣)</sup> . «إن الحقائق التاريخية ، ولا سيما في تاريخ الإسلام تشبه الدر الملقى بين أشواك ، يحتاج مريد استخراجها من تلك الأشواك إلى أناة ، وروية ، ونظر في وجوه السلامة من أذى الشوك»<sup>(٤)</sup>.

فعلى هذا الأساس نعتبر أنّ الرواية التي جاء فيها أن الإمام الحسين عليه السلام هم بالرجوع عندما لقيه الحر بن يزيد الرياحي ، وقال له : إرجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه ، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله ! لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل ، فقال : لا خير في الحياة بعدكم<sup>(٥)</sup> ، ضعيفة لعدة أمور منها :

إن مواقف الإمام الحسين عليه السلام الثورية التي تقدم ذكرها لا تتناسب مع هذا الموقف . وأنّ القضية عند الإمام الحسين عليه السلام ليست قضية ثأر حتى يستجيب إلى رأي أخوة مسلم بن عقيل ويعدل إلى الرجوع . لكن الحقيقة التي ينبغي أن يقال : إنّ إخوة مسلم كانوا مصمّمين على الدفاع عن الإمام

(١) المفيد ، الإرشاد : ١٩٩ . ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ١ : ٢٠١ .

(٢) كتب هذا الكتاب عبدالله بن جعفر وختمه عمرو بن سعيد ابن العاص ، ولحقه به يحيى بن سعيد أخ عمرو وعبدالله ابن جعفر علّه يطمئن إلى ذلك فيراجع (الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٢٨٨) .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٢٨٨ .

(٤) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٦٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٢٨٩ .



الحسين عليه السلام وعلى القتل دونه . وهذا الرأي له شاهد وسند تاريخي ، وذلك عندما قال الإمام الحسين عليه السلام لهم : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم . إنهبوا قد أذنت لكم ، فقالوا : فما تقول الناس ؟ يقولون : إنّا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ! لا والله ! ونقاتل معك حتى نرد موردك . فقبح الله العيش بعدك<sup>(١)</sup> ؛ والشيء الآخر ، إذا قابلنا هذه الرواية مع رواية أخرى تحمل نفس السند<sup>(٢)</sup> ، فإننا سوف نلاحظ الاختلاف ظاهراً بين الروایتين .

فهذه الأسباب مجتمعة تدعو إلى القول : بأننا لانكاد أن نشك في صحة هذه الرواية بالرغم من الإجماع على وثاقة راويها عمّار الدّهني<sup>(٣)</sup> . أما الرواية التي نقلها الطبري في تاريخه عن أبي مخنف من أن المجالد بن سعيد ، والصّقعب بن زهير وغيرهما من المحدثين أجمعوا على أن الإمام الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد : «إختاروا مني خصالاً ثلاثاً: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية . فيرى فيما بيني وبينه رأيه ، وإمّا أن تسيّروني إلى ثغر من ثغور المسلمين شئتُم ؛ فأكون رجلاً من أهله ، لي ما لهم وعليّ ما عليهم»<sup>(٤)</sup> لا يمكن أن يؤخذ بها أو يعتمد عليها لأنّ ما جاء في مضمونها لا يلتقي مطلقاً مع ما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام .

(١) أبو مخنف ، مقتل الحسين : ٩٧ - ٩٨ . الطبري ، تاريخ الطبري : ٤١٩ : ٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري : ٣٤٧ : ٥ .

(٣) النجاشي ، رجال النجاشي : ٢ : ٣٤٧ . الطوسي ، رجال الطوسي : ٢٥٠ . الذهبي ، ميزان الإعتدال : ٢ : ١٧٠ . الخوئي ، معجم رجال الحديث : ١٢ : ٢٧٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري : ٤١٣ : ٥ . البلاذري ، أنساب الأشراف : ٣ : ١٨٢ .

الثائر الذي لا يرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً . والذي يساعدنا على إدراك ذلك أيضاً أن عقبة بن سميان ، قال : صحبت حسيناً ، فخرجت معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ، ولا بمكة ، ولا في الطريق ، ولا بالعراق ، ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها : ألا والله ! ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس (١) .

وعلى فرض أن الفقرة الأخيرة من هذه الرواية جاءت عن الإمام الحسين (عليه السلام) فإنها تدل دلالة قاطعة على أنه أراد أن يبين للأمة الإسلامية ، ولمن قدّم له النصحية من علمائها وشخصياتها البارزة عن حقيقة هوية يزيد بن معاوية ، وسياسته وموقفه منه .

كان الإمام الحسين (عليه السلام) أبعد الناس غوراً ، وأنفذهم بصيرة ، وأدقّهم معرفة في شخصية يزيد ، وحكومته ، وولاته ، وما آلت إليه الأمة الإسلامية من تغيير جذري في تفكيرها ، ومنهج حياتها وأنّ يزيد لن يدعه يذهب في هذه الأرض العريضة لأنه قد اتخذ القرار بقتله وهو قيد التنفيذ (٢) .

وهذا ما يتضح لنا أيضاً من خلال مطالبة عبيد الله بن زياد عمر

(١) م . ن . ٥ : ٤١٣ - ٤١٤ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٤٩ .

ابن سعد بإخراج الكتاب الذي كتبه إليه في قتل الحسين عليه السلام بعد استشهاده<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الشواهد والدلائل الكثيرة التي تؤيد هذا الرأي .

وفي البيضة بين الإمام الحسين عليه السلام إلى أصحابه ، وأصحاب الحربين يزيد الرّياحي ، صفات يزيد ، وسياسته في الأمة الإسلامية ، وماهي الأسباب التي دعت له لإعلان الثورة عليه وعلى حكومته ، فقال :

«أيها الناس ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالغيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيري ، وقد أتتني كتبكم ، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم ، أنكم لا تسلموني ، ولا تدخلوني ، فإن تمتم على بيعتكم ؛ تصيبوا رشدكم ، فأنا الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلکم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلعمري ما هي لكم بنكر ، لقد فعلتموها بأبي ، وأخي ، وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغترّبكم ، فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(٢)</sup> .

يكفي أن ننظر إلى هذه الخطبة ، لنعرف لماذا أقدم الإمام الحسين عليه السلام

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٤٦٧ .

(٢) م . ن ٥ : ٤٠٢ .

على الثورة . فهو كما نرى لقد استهل خطبته بكلام رسول الله ﷺ في السلطان الجائر ، وما يتوجب على المسلم إزاء هذا الواقع من القيام بحركة تغييرية على صعيد الفعل والقول . ونلاحظ بأنه أراد أن يضرب تلك القلوب التي ران عليها ما كسبت ، ويفتح إقبالها بكلام جدّه ﷺ علّها تستجيب إلى نداء رسول الله ﷺ ويبين لهم حقيقة تلك القيادات السياسية التي التزموا بطاعتها ، تلك القيادات التي تركت طاعة الله ، وأظهرت الفساد في الأرض ، وعطلت حدود الله ، وأحكمت سيطرتها على الاقتصاد الإسلامي ، واستأثرت به دون الأمة الإسلامية .

فأمام هذا الواقع وجد الإمام الحسين عليه السلام أنه لا بد من الثورة حتى يجد المسلمون فيما بعد طريقاً لهم ليغيروا كل ما جرى وما يجري عليهم من قبل حكومة بني أمية المركزية ، التي كانت شديدة البطش فيهم . فغيّرت أخلاقهم وعاداتهم حتى قيمهم العربية ، بل والأعظم من ذلك كادت أن تقضي عليهم وعلى إسلامهم .

كان الإمام الحسين عليه السلام صاحب فطنة وحسن نظر ، فهو لم يقف عند هذا الحد بل عمد إلى نقل صورهم الذهنية من الواقع الوجداني ، إلى الواقع العيني الحسّي الملموس ، علّ ذلك يؤثر في موقفهم . فقدّم إليهم دليلين واضحين : كتبهم التي أتت إليه ببيعتهم له مع رسلهم<sup>(١)</sup> وتعريفهم على شخصية ذلك الثائر الذي أعلن الثورة على الحاكم الجائر ، واستجاب لدعوة رسول الله ﷺ عملاً وقولاً ، وهو الذي فرض الله طاعته على كل ما

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال : ٢٢٩ و ٢٤٩ .

خلق الله من شيء<sup>(١)</sup> إذ كانت بطاعة الله مقرونة<sup>(٢)</sup>. فدلّهم على نفسه الشريفة ، ونكّرهم بأن له بيعة في أعناقهم ، وهو من أهل البيت الذين نصّ الله على خلافتهم ، وفرض على العباد وكلّ ما خلق طاعتهم ، فهم أحق الناس بولاية أمور المسلمين من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين في الأمة بالجور والعدوان ، حيث لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن . ثم نبّههم إلى ما ستؤول إليه أمورهم إذا هم لم يستجيبوا لما يدعوهم إليه ، ورفضوا طاعته ، وجعلوا حقه ، فسيصيبهم كما قال ﷺ : « فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيّعتم . ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم » . وهكذا كان كما قال ﷺ .

وفي ذي حسم ، قام الإمام الحسين ﷺ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنفّرت وأدبر معروفها ، واستمرت جداً ، فلم يبق منها إلّا صباية كصباية الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الويل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهى عنه ! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً ، فإنني لَأَرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً<sup>(٣)</sup> » .

إنّ الإمام الحسين ﷺ يقدّم في هذه الخطبة أطروحة الثورة ، فلا طاعة عنده للظالمين ، ولا بيعة ، بل هي الشهادة التي لا بد منها ، والرغبة في لقاء الله .

(١) الحر العاملي ، إثبات الهداة ٥ : ١٩٨ .

(٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ٤ : ٥٨ و ٧٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ : ٤٠٤ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٥ : ١٢٩ .

# ملاحظات

## حول تعلّيقات العلامة المجلسي على الأحاديث في كتاب (العقل والعلم والجهل)

✽ الشيخ محمد علي التفسيرى

للمرحوم العلامة الكبير المحقق المجلسي في كتابه بحار  
الأنوار تعلّيقات متنوعة تكشف عن جامعياته العلمية وتضلعه  
في شتى أنواع المعارف، كما تنم عن مدى ولعه بحديث أهل البيت (عليه السلام)<sup>(١)</sup>،  
وقد تعبر أحياناً عن شيء من التوضيح الزائد - كما سيتبين من تضاعيف  
حديثنا هذا - ولهذا وددت أن ألقى نظرة عابرة على بعض هذه التعلّيقات،



(١) ومن ذلك أنه يقول في مقدمته: (فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه، وأخبار أهل بيت الرسالة الذين جعلهم الله خزائناً لعلمه وترجمة لوحيه،  
وعلمت أن علم القرآن لا يفي أحلام العباد باستنباطه على اليقين، ولا يحيط به إلا من انتخبه الله  
لذلك من أئمة الدين الذين نزل في بيتهم الروح الأمين، فتركت ما ضيعت زماناً من عمري فيه مع  
كونه هو الرائج في دهرنا وأقبلت على ما علمت أنه سينفعني في معادي مع كونه كاسداً في  
عصرنا فاخترت الفحص عن أخبار الأئمة الطاهرين الأبرار سلام الله عليهم) (ج ١ ط ج، ص ٣).

وسأقتصر فيها على أحد أجزاء كتابه القيم وهو الجزء الأول أي كتاب (العقل والعلم والجهل) والذي طبع في حلتة الجديدة في جزئين ، ملاحظاً ان هذه التعليقات تأتي أحياناً متتابعة وربما شملت كل حديث حديث<sup>(١)</sup>، ولكنها تقل بالتدرج حتى لتكاد تنعدم في الأجزاء الأخيرة وهي حالة طبيعية نجدها عند كثير من المؤلفين الذين يجدون أنفسهم قد تجاوزوا الحد المطلوب ، وخصوصاً إذا كانوا قد وعدوا قراءهم من ذي قبل بالإيجاز والإختصار كما فعل المرحوم المجلسي نفسه حيث قال في مقدمته :

«ثم أوردت بعدها شيئاً مما ذكره بعض المفسرين فيها إن احتاجت إلى التفسير والبيان وأوضحت ما يحتاج من الأخبار إلى الكشف ببيان شافٍ على غاية الإيجاز لئلا تطول الأخبار ... وفي بالي أن أكتب عليه شرحاً كاملاً»<sup>(٢)</sup> ونراه في بعض شروحه ينتبه لهذا فيقول : «وتحقيق هذا الكلام على ما ينبغي يحتاج إلى نوع من البسط والإطناب ، ولو وفينا حقه لكننا أخلفنا ما وعدناه في صدر الكتاب»<sup>(٣)</sup>.

وتختلف العناوين التي يطرحها للتعليقات ، ولم أجد وجهاً لاختلاف هذه التعبيرات ، فقد تتفق المضامين وتختلف العناوين فأكثر التعليقات معنونة بكلمة (بيان) .

وربما ذكر الكلمات التالية :

«إيضاح ، أقول ، تبين ، توضيح ، بيان وأقول ، قال بعض العلماء وأمثال ذلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) لاحظ ١ : ٨٩ .

(٢) ١ : ٤٠ - ٥٠ .

(٣) ١ : ١٠٥ وقد تكرر التفصيل في مواضع متعددة : راجع الصفحات ١١١ و ١٢٤ وفي الجزء الثاني ص ١٦٥ و ص ٢٢٠ و ص ٢٢١ وغيرها .

(٤) تراجع الصفحات ٢٠٨ ، ٩٢ ، ٢٠٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ١٣٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، وغيرها .

### أهداف التعليقات :

وتختلف هذه الأهداف وتتنوع ونحن نشير إلى بعضها ذاكرين أمثلةً على ذلك .

١ - الكشف عن الأمور الغامضة أو التي تبدو مخالفة للعقل أو النص .  
وذلك من قبيل ما جاء في ج ١ ص ٨٢ من البيان حول ما رواه الإمام الصادق عليه السلام من أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : «أصل الإنسان بُنْه ، وعقله ودينه ومروته حيث يجعل نفسه ، والأيام دول ، والناس إلى آدم شرع سواء» فيقول : (بيان : اللب بضم اللام : خالص كل شيء ، والمراد هنا الثاني أي تفاضل أفراد الإنسان في شرافة أصلهم إنما هو لعقولهم لا بأنسابهم وأحسابهم ، ثم بين عليه السلام أن العقل الذي هو منشأ الشرافة إنما يظهر باختياره للحق من الأديان ، وبتكميل دينه بمكملات الإيمان ، والمروءة مهموزاً بضم الميم والمراد (الإنسانية)<sup>(١)</sup> مشتق من (المرء) وقد يخفف بالقلب والإدغام والظاهر أن المراد : إن إنسانية المرء وكماله ونقصه فيها إنما يعرف بما يجعل نفسه فيه ويرضاه لنفسه من الإشغال والأعمال ... ويحتمل أن يكون المراد التزوج بالأكفاء كما قال الإمام الصادق عليه السلام لداود الكرخي حين أراد التزوج : انظر أين تضع نفسك . والتعميم أظهر وهكذا يمضي في الشرح) .

### ٢ - الإشكال على الخبر .

ومثاله ما جاء في التعليق على الحديث السادس صفحة ٨٤<sup>(٢)</sup> حول عابد أبله من عباد بني إسرائيل إذ يقول :  
(وفي الخبر إشكال من حيث أن ظاهره كون العابد قائلاً بالجسم ،

(١) وقد رفض المصحح هذا التفسير وربما كان الحق مع المصنف .

(٢) وجاء هذا التعليق بعد الحديث الثامن ص ٨٥ .



وهو ينافي استحقاقه للثواب مطلقاً) وينتهي كلامه قائلاً: (وعلى التقادير لابد من ارتكاب تكلف تام في الكلام أو التزام فساد بعض الأصول المقررة في الكلام).

٣- وقد يراد رفع بعض الشبهات .

وذلك كما في تعليقه على الحديث ١٦ صفحة ٨٩ وقد جاء فيه «ما خلق الله عز وجل شيئاً أبغض إليه من الأحق لأنه سلبه أحب الأشياء إليه هو عقله» فقال : (بيان ، بغضه تعالى عبارة عن علمه بدناءة رتبته ، وعدم قابليته للكمال ، وما يترتب عليه من عدم توفيقه على ما يقتضي رفعة شأنه لعدم قابليته لذلك ، فلا ينافي عدم اختياره في ذلك» .

وهكذا الأمر في تعليقه على الحديث رقم ٢٩ صفحة ١٧٣ حيث ذكر أن حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» لا يدل على وجوبه مطلقاً على كل مسلم ومهما كان العلم).

٤- وقد يأتي لبيان الأقوال في المسألة .

كما هو الحال بالنسبة للحديث الثاني صفحة ١٦٤ وقد جاء فيه «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به» .

فذكر المصنف الأقوال في ذلك :

وقيل : هو بمعنى التواضع تعظيماً لحقه ، أو التعطف لطفاً له أنه الطائر يبسط جناحه على أفراده ... وقيل : المراد نزولهم عند مجالس العلم وترك الطيران ، وقيل أراد به إظهارهم بها ، وقيل : معناه بسط الجناح لتحمله عليها وتبلغه حيث يريد من البلاد ...

وكذلك الحال بالنسبة لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) ص ١٩٩ «أيها الناس ! طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وتواضع من غير منقصة» وقد ذكر المصنف له وجوهاً أربعة :

٥- وقد يأتي لتوضيح ما يرتبط بالخبر من الأمور الطبيعية .

وذلك كما هو الحال بالنسبة للحديث ١٣ صفحة ٩٨ الوارد فيه «إن الغلظة في الكبد والحياء في الريح ، والعقل مسكنة القلب» حيث راح المصنف يشرح الأخلاط المتولدة من الكبد ، ويحيل القارئ إلى تعليقة أكثر تفصيلاً في كتاب السماء والعالم .

٦- وقد يكون لمجرد شرح المفردات ، وذلك في مواضع كثيرة جداً ، كما قد يكون لبيان وجود أخبار أخرى في الباب .

ونلاحظ هنا بعض الأمور وهي كما يلي :

أولاً : ما أشرنا إليه من قبل وهو التفصيل في بعض التعليقات حيث ذكره تحت عنوان بسط كلام كما في صفحة ٩٩ ، وقد يصل الأمر إلى خمس صفحات كما في ١١١ ويكرره في ص ١٢٤ بعد ذكر حديث مفصل عن النبي ﷺ في جواب شمعون بن لاوي بن يهودا ، والحديث مرسل ضعيف لا ينسجم ولغة عصر الرسول ﷺ ، والتعليق مفصل لا داعي له ، وهو يشير إلى أنه حذف بعض فقرات الحديث ، وأنه أوجز الكلام لعهد المقدم سابقاً في مجال عدم الإطناب .

ثانياً : وقد يكون التعليق وسط الحديث وبشكل متكرر مما لا ينسجم مع كتاب حديثي ، وهذا ما نلاحظه في تعليقه على فقرات الحديث رقم ٣٠ ص ١٣٢ وقد بلغت التعليقات خمساً وخمسين تعليقة .

ثالثاً : وقد يكون التعليق بلا داع له ويصدق هذا في موارد كثيرة منها :  
أ - في الحديث ٩ صفحة ١٦٧ حيث علق على قوله ﷺ : «أفضل دينكم الورع» بقوله : بيان أي أفضل أعمال دينكم .

ب - في الحديث ١٩ صفحة ١٦٩ في مواضع لقمان لابنه «يا بني اجعل في أيامك ولياليك وساعاتك نصيباً لك في طلب العلم» قال : بيان معناه الحث على

مداومة طلب العلم ومدارسته .

ج- في الحديث ٣٧ صفحة ١٧٤ ذكر حديث الباقر عليه السلام : «ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلا خاض الرحمة خوضاً» فقال : بيان : خاض الرحمة أي دخل فيها بحيث أحاطت به .

د - وفي نفس الصفحة الحديث ٣٩ «ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلا خاض الرحمة وهتفت به الملائكة : مرحباً بزائر الله» يقول : بيان : من زار العالم لله ولطلب العلم لوجه الله فكأنه زار الله .

هـ - وفي حديث غوالي اللثالي رقم ١٥ صفحة ٢٠٢ عن أهل العلم أنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم ، يقول : بيان : قوله عليه السلام : لا يشقى بهم جليسهم أي ببركتهم لا يخيب جليسهم عن كرامتهم فيشقى .

و - وفي الصفحة ٢١٠ الحديث ٢ ذكر الحديث : «قال لقمان لابنه : للعالم ثلاث علامات : العلم بالله وبما يحب وما يكره» قال : بيان العلم بالله يشمل العلم بوجوده تعالى وصفاته والمعاد ، بل جميع العقائد الضرورية ويمكن إدخال بعضها فيما يجب .

وغير هذه الأحاديث كثير من قبيل بيانه تعليقاً على الحديث ١٤ الصفحة ٨ الجزء الثاني .

رابعاً : وربما كانت بعض التعليقات تزيد في الإبهام كما نعتقد من قبيل ما جاء في الصفحة ١٦٨ الحديث ١٦ حول تسبيح الأرض فقال بيان : يمكن أن يكون المراد تسبيح الأرض أهلها من الملائكة والجن ، ويحتمل أن يكون المراد أنه يكتب له مثل ثواب هذا التسبيح الفرضي ، وقيل بشعور ضعيف في الجمادات لكن السيد المرتضى قال : (إنه خلاف ضرورة الدين ...) .

وقد علّق المصحح على ذلك بقوله : (لم يظهر لقوله عليه السلام وجه ، وظاهر

الآيات القرآنية خلافه وعليه دلائل الأخبار).

وكذلك يلاحظ التعليق على الحديث رقم ٢ الصفحة ٢٠٦ حيث أن الحديث واضح مقصوده، أما البيان فهو معقد.

خامساً: وقد يكون التعليق مرتبطاً بحديث سابق.

وذلك كما جاء في الحديث رقم ٦٣ الصفحة ١٧٩ إذ كان البيان تعليقاً على الحديث السابق عليه.

سادساً: وربما كان التعليق تحت عنوان أقول كما في الحديث ١٧ صفحة ٢٢٤ معطياً إياه رقماً حديثياً، حيث نقل ما وجده بخط الشيخ البهائي عليه السلام نقلاً عن عنوان البصري، وهي رواية رائعة نوصي بمراجعتها.

سابعاً: وربما ذكر المصنف بما يحتمل فيه التصحيف كما في الحديث ٢٠ صفحة ١٦٩ حيث نقل قول أمير المؤمنين عليه السلام «العلم وراثه كريمة، والآداب حلل حسان، والفكرة مرآة صافية والإعتذار منذر ناصح» حيث طرح احتمال تصحيف الإعتبار إلى الإعتذار وهي التفاتة جميلة.

ثامناً: وربما ذكر المصنف الحديث في النوادر ثم علّق عليه. وذلك كما في الحديث رقم ٢ الصفحة ١٦١ حيث فسّره تفسيراً جميلاً.

تاسعاً: وربما ذكر الحديث ناقلاً إياه من كتاب، ثم أعقبه بتعليق صاحب الكتاب عليه كما في الحديث رقم ٢٣ الصفحة ١٥٩ الذي جاء فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحق وراء لسانه» وذكر بعده كلام

المرحوم الشريف الرضي في إطرء هذا المعنى الرائع.

عاشراً: وربما جاء التعليق على مجموعة من الأحاديث. وذلك كما في

الصفحة رقم ٨٥.

حادي عشر: ما يظهر من كلامه ﷺ أنه ربما اعتمد الكتاب لعلو المضامين الواردة فيه وهو أمرٌ مشكل جداً.

فهو يقول مثلاً: (وكتاب التمهيد متانته تدل على فضل مؤلفه، وإن كان مؤلفه أبا علي كما هو الظاهر ففضله وتوثيقه مشهوران).

ثاني عشر: كما نود أن لا يهاجم المؤلف خصومه ويرميهم بشتى التهم فهو يقول عنهم:

(ولا تكونوا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ويترشح من فحايي كلامهم مطاوي جنوبهم، ولا من الذين أشربوا في قلوبهم حبّ البدع والأهواء بجهلهم وضلالهم، وزيفوا ما روجته الملل الحقّة بما زخرفه منكرو الشرايع بمموّهات أقوالهم)<sup>(١)</sup>.

وفي الختام:

ورغم تأكيدنا على أهمية هذه التعليقات وضرورتها في كثير من الموارد فإننا نقترح نقلها إلى الهامش في الطبعة الجديدة ليبقى للنص الشريف بهاؤه وعلوّه، ويبقى للمطالع جوّه الخاص الذي يتفاعل به مع النص، وفهمه الذي يتحقق له دونما أي تدخل من المصنف في ذلك.

هذا إلى أن التعبير الوارد في الرواية تعبير سام لا يرقى إليه مطلقاً تعبير المصنف خصوصاً وأنه قد يبتلى ببعض العجمة وعدم الإنسجام في التذكير والتأنيث، هذا بالإضافة إلى أنه قد يكون زائداً أو معقداً أحياناً. والله تعالى أسأل أن يوفقنا للإستفادة من هذا الأثر الجليل، واتباع تعليمات أهل البيت ﷺ فهي الهادي لنا إلى سواء السبيل والله تعالى هو الموفق.

# الحسين بن روح النوبختي

« السفير الثالث »

✽ حسين الشاكري

هو الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي ،  
ثالث السفراء في الغيبة الصغرى للإمام الحجة بن الحسن  
صاحب العصر والزمان (عج) ، مرقدّه ببغداد جانب الرصافة ، مشهور  
ومعروف مشيّد عامر ، فوق قبره شبّاك مجلّل ، يزدحم عليه الزائرون  
والمتعبّدون ، وتقام فيه الصلوات المفروضة جماعة من بعض أئمة  
علماء الشيعة الإمامية ، وآخر عالم لهذا الجامع - عندما كنت في بغداد -  
السيد جعفر شبر رحمته الله .

يقع قبره في (النوبختية) في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد  
النوبختي النافذ إلى التلّ والدرب الآخر إلى (قنطرة الشوك) ، بهذا عرفت  
قديماً ، كما صرّحت به النصوص التاريخية ، وفي عصرنا يعرف موضع



قبره في (سوق الشورجة) التجاري ببغداد في زقاق غير نافذ ، ويعدّ مرقدّه اليوم من المراكز الشيعية الإمامية ببغداد ، وله حرم وضريح في وسط جامع ، عامر بالمصلّين وقبة كبيرة شاهقة .

كان الشيخ أبو القاسم عطر الله مثواه من أوثق الناس وأعظمهم وأدهاهم وأعرفهم بالأمور ، مبجل عند الخاصّة والعامة ، وكانت العامة تعظمه وترى فيه الصدق والمعروف ، ولين الجانب ، وعدم المعاندة ، وكان يحسن استعمال مواطن التقية ، حتّى أثر عن العامة ببغداد - في ضمن أحاديث - أنّهم كانوا يحملون على من يرميه بالرفض والعناد<sup>(١)</sup> .

استلم السفارة بعد وفاة الشيخ الخلّاني سنة ٣٠٥ هـ إلى يوم وفاته ﷺ في شهر شعبان من سنة ٣٢٦ هـ فكانت مدّة سفارته ٢١ سنة .

ولم نجد تحديداً لتاريخ ولادته ، وأوّل ما يعرف كوكيل مفضّل لأبي جعفر محمّد بن عثمان العمري ، يلقي إليه بأسراره لرؤساء الشيعة ، وكان خصيصاً به ، حتّى أنّه كان يحدثه بما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وأنسه به ، فكان قريباً من نفوس الشيعة ، محبباً إليهم لمعرفتهم باختصاصه بأبي جعفر وتوثيقه عندهم ، وانتشار أخبار فضله ودينه ، وما كان يحتمله من هذا الأمر ، فمُهدّت له الحال في طول حياة أبي جعفر العمري ، إلى أن انتهت الوصيّة بالنصّ عليه في خلافته بالسفارة للناحية المقدّسة ، فلم يختلف في أمره ولم يشكّ فيه أحد<sup>(٢)</sup> .

وقد روي أنّه قدّم بعض الموالين بمالٍ على أبي جعفر العمري مقداره أربعمائة دينار للإمام ﷺ ، فأمره بإعطائها إلى الحسين بن روح ، وحين تردّد هذا الشخص في ذلك ، باعتبار عدم وصول السفارة إليه يومئذٍ ،

(١) مرآة المعارف : للشيخ محمّد حرز ١ : ٢٤٩ ، طبعة قم ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

(٢) راجع غيبة الطوسي : ٢٢٧ .

فأكّد أبو جعفر عليه ذلك ، وأمره مراراً بإعطاء المال لابن روح ، وذكر له أنه ذلك بأمر الإمام المهدي عليه السلام ، وكأنّ ذلك تمهيد لتولّيه أمر السفارة في عهد أبي جعفر العُمري ، سيّما إذا عرفنا أنّ تحويله المال إلى أبي القاسم بن روح قبل موت أبي جعفر بسنتين أو ثلاث<sup>(١)</sup>.

وعندما اشتدّت بأبي جعفر العُمري حاله ؛ اجتمع لديه جماعة من وجوه الشيعة ، منهم أبو علي بن همام ، وأبو عبد الله بن محمّد الكاتب ، وأبو عبد الله الباقراني ، وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي ، وأبو عبد الله بن الوجناء ، وغيرهم من الوجوه والأكابر . فقالوا له : إن حدث أمر ، فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي ، القائم مقامي ، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام ، والوكيل والثقة الأمين ، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهمّاتكم ، فبذلك أمرت ، وقد بلّغت<sup>(٢)</sup>.

وروي عن جعفر بن أحمد بن متيل ، وهو من متقدّمي أصحابه وأجلّتهم ، أنه قال : لما حضرت أبا جعفر محمّد بن عثمان العمري الوفاة ، كنت جالسا عن رأسه أسأله وأحدّثه ، وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجله ، فالتفت إليّ ثم قال : أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح .

قال ابن متيل : فقمّت من عند رأسه ، وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني ، وتحوّلت إلى عند رجله<sup>(٣)</sup> ، إلى غير ذلك من تأكيدات أبي جعفر عليه ، وإعلانه لوكالته .

والسبب المهم في هذا التأكيد ، هو كون الحسين بن روح ، لم يكن قد

(١) راجع غيبة الطوسي : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) راجع غيبة الطوسي : ٢٢٧ .

(٣) راجع غيبة الطوسي : ٢٢٦ .



عاش تاريخاً حافلاً بإطراء وتوثيق الأئمة عليهم السلام كالسفراء السابقين ، ومن هنا احتاج أبو جعفر العمري أن يكرّر الإعراب عن مهمّته في إيكال الأمر إلى الحسين بن روح ، ودفع الأموال إليه في حياته ، لأجل ترسيخ فكرة نقل السفارة إلى الحسين بن روح ، وتوثيقه في نظر قواعده الشعبية الموالية لخطّ الأئمة عليهم السلام .

وكان لأبي جعفر غير الحسين بن روح بعض الوكلاء في بغداد يصل عددهم إلى عشرة رجال ، وكان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب فإنه ينجزه على أيديهم ، ولم تكن للحسين بن روح خصوصيّة دونهم ، ولما كان وقت مضيّ أبي جعفر العمري عليه السلام وقع الاختيار على الحسين بن روح ، فكانت الوصية إليه <sup>(١)</sup> ، وأوكلت السفارة إلى الحسين بن روح ، فسلم به الأصحاب ، وكانوا معه وبين يديه ، كما كانوا مع أبي جعفر عليه السلام . ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل من جملة أصحاب أبي القاسم بن روح وبين يديه كتصرّفه بين يدي أبي جعفر العمري ، إلى أن مات عليه السلام فكلّ من طعن على أبي القاسم الحسين بن روح فقد طعن على أبي جعفر العمري ، وطعن على الحجة عليه السلام <sup>(٢)</sup> .

تولّى الحسين بن روح مهام السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام بموت أبي جعفر العمري سنة ٣٠٥ هـ إلى أن لحق برضوان ربّه في شعبان ٣٢٦ هـ ، فتكون مدّة سفارته حوالي ٢١ سنة .

وكان أوّل كتاب تلقّاه الحسين بن روح من الإمام المهدي عليه السلام ، كتاب يشتمل على الثناء عليه ، وتعريفه إلى الرأي العام والأصحاب ممّن سار على خطّ الأئمة عليهم السلام ، وقد مثّل هذا الكتاب أهمّ وآخر خطوة في هذا

(١) راجع غيبة الطوسي : ٢٢٥ .

(٢) راجع غيبة الطوسي : ٢٢٥ .

الطريق، لكي يبدأ الحسين بن روح بعدها مهمته بسهولة ويسر، وقد دعا له الإمام المهدي عليه السلام في الكتاب، وقال: عرّفه الله الخبر كلّه ورضوانه، وأسعده بالتوفيق، وقفنا على كتابه، وثقّنا بما هو عليه، وإنه عندنا بالمنزلة والمحلّ اللذين يسرّانه، زاد الله في إحسانه إليه، إنّه وليّ قدير، والحمد لله لا شريك له، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وقد وردت هذه الرقعة يوم الأحد لستّ خلون من شوال سنة ٣٠٥ هـ بعد حوالي الخمسة أشهر من وفاة أبي جعفر الغمري، الذي توفي في جمادى الأولى من نفس العام<sup>(١)</sup>.

وقد اضطلع أبو القاسم منذ ذلك الحين بمهام السفارة، وقام بها خير قيام، وتولّى في أيام سفارته الحملة ضدّ ظاهرة الانحراف عن الخطّ، وادعاء السفارة زوراً، بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات الإمام المهدي عليه السلام في ذلك، وشجبه لهذه الظاهرة بكلّ ما أوتي من أسباب القوّة. وبقي أبو القاسم مضطّلاً بمهامه العظمى، حتّى لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٦ هـ، ودفن في النوبختية في الدار التي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذة إلى التلّ، أو إلى درب الآخر وإلى قنطرة الشوك عليه السلام، وقبره اليوم في بغداد معروف - في أهمّ أسواق بغداد المعروف بـ «الشورجة» - يقصده الناس للتبرّك والزيارة<sup>(٢)</sup>.

### ملحق:

وكلاء الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى:

جاء في كتاب الغيبة وتاريخها أنّ الإمام المهدي عليه السلام اختار أربعة

(١) راجع غيبة الطوسي: ٢٢٨.

(٢) الغيبة الصغرى / محمد الصدر: ٤٠٦، المجالس السنية ٦٨٤:٥، في رحاب أئمة أهل البيت (ع) ٥:

١٩، بحار الأنوار ٥١: ٣٥٢.

رجال خلال الغيبة الصغرى ، وأوكل إليهم مهمة السفارة ، وعهد إليهم بأن يكونوا واسطة بينه وبين أتباع أهل البيت في مختلف المناطق ، وقد ذكرنا تراجمهم وبعض تواريخهم فيما تقدّم .

وجاء أيضاً أنه عليه السلام قد أختار خلال فترة الغيبة الصغرى جماعة من ثقات الشيعة ، وأوكل إليهم مهمة مساندة السفراء الأربعة في بعض مهامهم ، لتذليل الصعوبات التي كانت تعترض تحرّكاتهم بسبب مراقبة الحكّام وأجهزتهم .

وكانت مهمة الوكلاء محدودة بالقياس إلى مهمة السفير ، ذلك لأنّ السفير كان يتّصل بالإمام عليه السلام مباشرة ، ويأخذ منه التعليمات والتواقيع ، ويقوم بأكثر مسؤولياته حسب التوجيه الذي يتلقاه منه عليه السلام ، في حين أنّ مسؤولية الوكيل في الغالب في حدود منطقته ، ولا تتعدّى استلام الأخماس ، وتسهيل اتصال الشيعة بالسفراء ليرفعوا إليهم حوائجهم ، وتبليغ الأحكام والتوجيه ونحو ذلك .

ومن الوكلاء :

١ - جابر بن يزيد ، وجاء فيه عن الحسن بن عبد الحميد أنه قال : شككت في أمر جابر ، فجمعت شيئاً ثمّ صرت إلى سامراء ، فخرج إلينا جواب الإمام عليه السلام : ليس فينا شكّ ، ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا ، ردّ ما معك إلى جابر بن يزيد .

٢ - ومنهم أبو طاهر محمّد بن علي بن بلال قبل انحرافه مع المنحرفين والمشعوذين ، وقد عبّر عنه الإمام المهدي عليه السلام في بعض التوقيعات المنسوبة إليه بالثقة المأمون العارف بما يجب عليه ، وليس ببعيد أن يكون في بداية أمره من الموثّقين ، ولكنّه انحرف بعد ذلك ، كما حدث لغيره ممّن كانوا من الثقات بين أصحاب الأئمة عليهم السلام ، ثمّ ظهر منهم ما يدلّ

على الانحراف عن الجادة<sup>(١)</sup>، كما سيأتي بيانه .

٣- إبراهيم بن مهزيار ، وكان من وكلاء الإمام عليه السلام ، وسيأتي بيان ذلك في ذكر ابنه محمد بن إبراهيم .

٤- ومنهم محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، وعده ابن طاووس من السفراء والأبواب الذين يختلف الإمامية فيهم ، كما جاء في جامع الرواة ، ولا بد أن يكون المراد من سفارته ما يشمل الوكالة ، لأن انحصار السفراء الأربعة من المتفق عليه بين الإمامية من أتباع أهل البيت عليه السلام .

وجاء في غيبة الطوسي أن محمد بن إبراهيم بن مهزيار كان يقول : شككت عند مضي أبي محمد العسكري عليه السلام ، وكان قد اجتمع عند أبي مال كثير ، فحملة وركب السفينة ، وخرجت معه مشياً ، فوعك وعكاً شديداً ، فقال : ردني فهو الموت ، واتق الله في هذا المال ، وأوصني إلى ومات .

ومضي يقول : فحملت المال بعد الفراغ من أمره ، وقدمت العراق ، واكتريت داراً على الشط ، وبقيت أياماً ، فإذا أنا برسول معه رقعة فيها : يا محمد ، معك كذا وكذا من المال ، وقص علي جميع ما تركه أبي من المال ، ولم أكن أعرفه على حقيقته ، فسلمت المال إلى الرسول ، وبقيت أياماً ، فخرج إلي التوقيع يقول عليه السلام فيه : قد أقمنك مقام أبيك فاحمد الله<sup>(٢)</sup> .

٥- ومنهم أحمد بن إسحاق بن سعد بن مالك الأشعري ، وكان واسطة بين القميين والأئمة : الجواد ، والهادي ، والعسكري عليه السلام ، وأدرك شطراً من غيبة الإمام المهدي عليه السلام ، وهو الذي عرض عليه الإمام العسكري عليه السلام ولده المهدي عليه السلام حينما سأله عن خليفته ، وأراه إياه ، وحده ببعض ما يكون من أمره خلال غيبته الصغرى والكبرى . وقد خرج التوقيع في

(١) راجع ترجمته في المجالس السننية ٥ : ٦٨٩ ، في رحاب أئمة أهل البيت عليه السلام ٥ : ٢٢ ، بحار الأنوار ٣٦٩ : ٥١ .

(٢) بحار الأنوار ٥١ : ٣٦٤ / ١٢ .

مدحه مع جماعة منهم: إبراهيم بن محمد الهمداني، وأحمد بن اليسع<sup>(١)</sup>.  
٦- ومنهم محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان، وجاء في رجال الكشي أنه ورد في توقيع الإمام المهدي عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل: إذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكلينا وثقتنا الذي يقبض من موالينا.

٧- ومنهم أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي، وقد وصفه الإمام المهدي عليه السلام بالأمانة والثقة، وأمر بدفع الأموال إليه، كما جاء في رواية النجاشي والشيخ في الغيبة، وخرج التوقيع بحقه: محمد بن جعفر العربي، فليدفع إليه، فإنه من ثقاتنا، وفي توقيع آخر: إن أردت أن تعامل أحداً فعليك بأبي الحسين الأسدي بالري<sup>(٢)</sup>.

٨- ومنهم: القاسم بن العلاء من أذربيجان.

٩- ومحمد بن شاذان بن نعيم النيسابوري.

١٠- والحسين بن علي بن سفيان البزوفري<sup>(٣)</sup>.

وغير هؤلاء ممن أوكل إليهم الإمام عليه السلام بعض ما يهتم من أمور المسلمين وقبض الأخماس وقضاء الحاجات، وكانوا يتصلون بالإمام عليه السلام أحياناً عن طريق سفرائه، الذين اعتمدهم لقضاء الحوائج وحل المشاكل، وأخرى عن طريق المراسلة، وكان بعض وكلائه وسفرائه عليه السلام يتعاطى مهنة التجارة التي تساعد على التجول وحرية الحركة، لتضليل أجهزة الحكم الذين كانوا يراقبون الإمام وتحركات سفرائه ووكلائه.

هذا ملخص ما عثرنا عليه في بعض المصادر المعتمدة، والله ولي التوفيق.

(١) بحار الأنوار ٥١: ٣٦٣.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٣٦٢.

(٣) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر / الحسيني ٢: ٥٥٤- ٥٥٦، المجالس السنوية ٥: ٦٨٧، في رحاب أئمة أهل البيت عليه السلام ٥: ٢١.

# من روايات سعد بن أبي وقاص

❁ الشيخ محمد الفريب

هو سعد بن مالك بن أهيب - ويقال : وهيب - بن عبد مناف بن  
زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي أبو  
إسحاق الزُّهري<sup>(١)</sup> ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام سعداً<sup>(٢)</sup>.  
كان قصيراً غليظاً ذا هامة ، شثن الأصابع أدم أفطس أشعر الجسد ،  
يخضب السواد. كان له من الولد ثمانية عشر ذكراً وثمانية عشرة  
أنثى<sup>(٣)</sup>. فقد بصره في آخر عمره<sup>(٤)</sup>.

توفي في قصره بالعقيق بالمدينة عن عمر ناهز الثمانين سنة.  
واختلف في عام وفاته فكان ما بين سنة (٥٢ - ٥٨) ، وقد صلى عليه

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٠ : ٣٠٩ .

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٤ : ٣١٩ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥ : ٢٨١ .

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٤ : ٣٢٠ .

مروان بن الحكم والي المدينة آنذاك ، ودفن في البقيع تاركاً وراءه ثروة تقدر بمئتي وخمسين ألف درهم .

يعتبر سعد من المسلمين الأوائل ومن هاجر إلى المدينة ، وقد شارك في حروب الرسول ، ونُصِب قائداً للجيش الذي فتح المدائن في العراق في معركة القادسية في زمن عمر بن الخطاب ، وعُيِّن من قبله والياً على الكوفة وعزله فيما بعد ، وعُيِّن مرة أخرى على الكوفة من قبل عثمان بن عفان وعزله أيضاً<sup>(١)</sup> .

يعتبر سعد بن أبي وقاص من السائرين على نهج السقيفة ، فكان مُعظماً جليل القدر في زمن أبي بكر وكذلك في زمن عمر بن الخطاب ، فقد جعله عمر من أصحاب الشورى الستة ، وكان يطمع بالخلافة لنفسه بعد أن رأى وضع الخلافة وكثرة المطالبين بها لأنفسهم وأنهم لم يكونوا أفضل منه . لقد إبتعد سعد عن الأمور العامة بعد أن عزله عثمان بن عفان عن ولاية الكوفة ، وبنى لنفسه قصرًا بالعقيق قُرب المدينة إعتزل به . وقد اتخذ موقفاً محايداً في الظاهر من الأحداث التي جرت في آواخر عهد عثمان بن عفان وبعد مقتله<sup>(٢)</sup> .

وعندما صارت الأمور للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ لم يُبايع ولم ينصر الإمام عليه السلام وهو على معرفة تامة كالسابقين بمنزلة الإمام من النبي والإسلام والمكانة الشرعية له ، وأخيراً<sup>(٣)</sup> وبعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام واستتباب الأمور لمعاوية بن أبي سفيان ؛ بايع معاوية وما سأله شيئاً إلا أعطاه . وتدور الأيام وتأخذ الدنيا سعداً وأفداً للشام على معاوية ليستمتع إليه يؤنبه ويبكته ويهينه . هكذا آلت الأمور بهذا

(١) البداية والنهاية ٨ : ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ .

(٢) البداية والنهاية ٨ : ٧٩ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٢٠ - ٢١ .

الصحابي أن يفد على رجل كان أقصى ما يتمناه أن يضيء بنظرة عطف من سعد ورفاقه تنقذه يوم فتح مكة من الرزية والمهانة إن لم يكن من الموت .  
ولقد مات سعد بعد أن أبصر مصيره بعينه ، وقد عاد شخصاً لا يُحفل به ولا يسأل عنه ، مثله مثل ملايين الأشخاص الذين يمشون في الصباح والمساء دون أن يشغلوا ذهنًا أو يثيروا سؤالاً ، شخص ناله من تكبيت معاوية وتأنيبه وتحقيره ما يُحطّم الكبرياء ويغضّ الكرامة ويُنكس الرأس ، ثم أراحه الموت قبل أن يصير إلى شرّ ما صار إليه ، مات دون أن يعلم بما كان مخبأً له ودون أن يدري القصاص الذي أعدته المقادير له في الغيب جزاء خذلانه للحق ونصرة الباطل<sup>(١)</sup> . وسوف نرى ذلك واضحاً وجلياً وعلى لسانه من خلال الروايات التي رواها عن رسول الله ﷺ في حق الإمام علي عليه السلام ، ونقلتها كتب الأحاديث والتاريخ عند مختلف الفرق الإسلامية .

والملاحظ عن الصحابي سعد بن أبي وقاص أنه لم يرو كثيراً في مناقب الرسول وأهل بيته بالقياس إلى الأصحاب الآخرين الذين لهم سابقة كسابقة سعد في الإسلام . وقد روى لنا على الرغم من ذلك روايات في حق الإمام علي عليه السلام تبين لنا مكانته من الرسول والإسلام وموقعه الشرعي الذي تخلف عنه سعد وأقران سعد من بعض الأصحاب . وذكرت كتب التاريخ والحديث لمختلف الفرق الإسلامية لسعد تمجيذاً وتبجيلاً عجباً ، مع العلم أنه يُصرّح بنفسه في روايات كثيرة أنه أخطأ في موقفه من الحق ، والظاهر أن ذلك التمجيد والتبجيل كان لخدلان الحق ونصرة الباطل . نسأل الله تعالى حسن العاقبة فإن العاقبة للمتقين .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ٣١ .



## من روايات سعد بن أبي وقاص

### ١ - مناقب رسول الله

الشفاعة لأُمَّته :

عن سعد قال : « خرجنا مع رسول الله من مكة تُريد المدينة فلمّا كنّا قريباً من عذورا ، نزل ﷺ ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجداً فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجداً فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجداً (ذكر أحمد ثلاثاً) قال : إني سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررتُ ساجداً شُكراً لربي ، ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررتُ ساجداً لربي ، ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني الثلث الآخر فخررتُ ساجداً لربي شُكراً» (١) .

### ٢ - مناقب رسول الله وعلي بن أبي طالب :

حديث لا يدخل المسجد جُنُباً غير النبي وعلي :

عن سعد قال : «قال رسول الله : لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» (٢) .

### ٣ - مناقب الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين :

حديث أهل البيت - المباهلة مع يهود نجران -

عن سعد قال : «لما نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ .. ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي» (٣) .

(١) المسند الجامع ٦ : ١٢٣ .

(٢) جامع المسانيد والسنن ٥ : ١٢٨ .

(٣) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١ : ٢٠٧ .

حديث أهل البيت - آية التطهير -

١ - عن سعد قال : «لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن سعد قال : «نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي»<sup>(٢)</sup>.

٤ - مناقب علي بن أبي طالب :

حديث سد الأبواب وترك باب علي :

١ - عن سعد قال : «إن رسول الله ﷺ سدّ أبواب الناس وفتح باب علي فقال في ذلك للناس : ما أنا فتحته ولكن الله فتحه»<sup>(٣)</sup>.

٢ - عن سعد قال : «أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي»<sup>(٤)</sup>.

حديث إخلاء المسجد عند دخول الإمام علي :

١ - عن سعد قال : «كُنَّا جلوساً عند رسول الله ﷺ وعنده قومٌ : إذ دخل علي فلماً دخل خرجوا»<sup>(٥)</sup>.

٢ - عن سعد قال : «كُنَّا عند النبي ﷺ وعنده قومٌ جلوس فدخل علي فلماً دخل خرجوا فلماً خرجوا تلاوموا فقالوا : والله ما أخرجنا وأدخله

(١) م. ن. ١ : ٢٠٨.

(٢) م. ن. ١ : ٢١٠.

(٣) جامع المسانيد والسنن ٥ : ١٢٨.

(٤) المستند الجامع ٦ : ١٢٠.

(٥) جامع المسانيد والسنن ٥ : ١٢٢.

فرجعوا فدخلوا فقال : والله ما أنا أدخلته وأخرجتكم نبي الله أدخله وأخرجكم»<sup>(١)</sup>.

٣ - عن سعد قال : «كُنَّا مع النبي في المسجد فنودي فينا ليلاً ليخرج من في المسجد إلا آل رسول الله وآل علي قال : فخرجنا نجرّ نعالنا فلما أصبحنا أتى العباس فقال : يا رسول الله أخرجت أعمامك وأصحابك وأسكنت هذا الغلام فقال رسول الله : ما أنا أمرت بإخراجكم ولا إسكان هذا الغلام ، إن الله هو أمر به»<sup>(٢)</sup>.

٤ - عن سعد قال : «أخرج رسول الله عمّه العباس وغيره من المسجد فقال العباس : تُخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتُسكن علينا ؟ فقال : ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه»<sup>(٣)</sup>.

حديث الطير<sup>(\*)</sup> :

عن سعد قال : «قال رسول الله : في علي بن أبي طالب ثلاث خصال وذكر حديث الطير»<sup>(٤)</sup>.

حديث الرّاية :

١ - عن سعد قال : «سمعت رسول الله يقول يوم خيبر : لأعطين الرّاية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال : فتناولنا فقال : أدعوا لي علياً فأتي به أرمد ، فبصق في عينيه ودفع الرّاية إليه ففتح الله عليه»<sup>(٥)</sup>.

(١) م. ن ٦ : ١٣٠ .

(٢) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١ : ٢١٤ .

(٣) الغدير ١ : ٢٩ .

(\*) عن سنن الترمذي ٥ : ٥٩٥ ، الحديث ٣٧٢١ «كان عند رسول الله طير فقال : اللهم إئتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه» .

(٤) الغدير ١ : ٣٩ .

(٥) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١ : ٢٠٧ .

٢ - عن سعد قال : «سمعت رسول الله يقول لعلي : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

٣ - عن سعد قال : «سمعت النبي يقول : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، قال : فدفعها إلى علي»<sup>(٢)</sup>.

٤ - عن خزيمة بن عبد الرحمن عن سعد قال له رجل : «إنّ علياً يقع فيك إنك تخلفت عنه فقال سعد : والله إنّه لرأي رأيته وأخطأ رأيي إنّ علي بن أبي طالب أعطي ثلاثاً لأن أكون أعطيت إحداهن أحب إليّ من الدنيا وما فيها وذكر الحديث ... جيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر فقال : يا رسول الله ! إنني أرمد فتقل في عينيهِ ودعا له ، فلم يرمد حتى قُتل وفتح عليه خيبر»<sup>(٣)</sup>.

٥ - عن خزيمة بن عبد الرحمن قال : «قلت لسعد بن أبي وقاص : ما خلّفك عن علي شيء رأيته أو سمعته من رسول الله ؟ قال : لا ، بل شيء رأيته ، أما إنني قد سمعت له من رسول الله ثلاثاً لو تكون واحدة لي منها أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ومن الدنيا وما فيها ، وذكر الحديث ، قال رسول الله يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفزار لا يرجع حتى يفتح الله عليه ، فلما أصبح صلى الفجر ثم نظر في وجوه القوم فرأى علياً منكسراً في ناحية القوم يشتهي عينيهِ قال : فدعاه ، فقال : يا رسول الله ! إنني أرمد ، قال : فأخذه إليه فمسح عينيهِ ودعا له ، قال علي : فو الذي بعثه بالحق ما شكيتها بعد ، قال : ثم أعطاه الراية ، قال : فمضى بها وأتبعه الناس من خلفه ، قال : فما تكامل الناس من

(١) المسند الجامع ٦ : ١٢٩ .

(٢) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١ : ٢٠٥ .

(٣) الغدير ١ : ٣٩ .

خلفه حتى لقي مرحب فاتقاه بالرمح فقتله ، ثم مضى إلى الباب حتى أخذ بحلقة الباب ثم قال : انزلوا يا أعداء الله على حكم الله وحكم رسوله وعلى كل بيضاء وصفراء ، قال : فجاء رسول الله فجلس على الباب فجعل علي يخرجهم على حكم الله وحكم رسوله فبايعهم وهو أخذ بيد رسول الله ، قال : فخرج حي بن أخصب ، قال : فقال له رسول الله : برئت منك ذمة الله إذا كتمتني شيئاً . قال : نعم ، وكانت له سقاية في الجاهلية ، فقال له رسول الله : ما فعلت سقايتكم التي كانت لكم في الجاهلية ؟ قال : فقال لرسول الله : أجليتنا يوم النضير فاستهلكناها لما نزل بنا من الحاجة ، قال : فبرئت منك ذمة الله وذمة رسوله إن كذبتني ، قال : نعم ، قال : فأتاه الملك فأخبره فدعاه رسول الله ، فقال : إذهب إلى جذوع نخلة كذا وكذا فإنه قد نقرها وجعل السقاية في جوفها ، قال : فاستخرجها فجاء به ، قال : فلما جاء بها قال لعلي : قم فاضرب عنقه ، قال : فقام وضرب عنقه»<sup>(١)</sup>.

حديث لا يُبلِّغ عني إلا أنا أو رجل مني :

عن الحرث بن مالك ، قال : أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص ، فقلت : هل سمعت لعلي منقبة ؟ قال : قد شهدت له أربعاً لأن تكون لي واحدة منها أحب إلي من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح . وذكر الحديث : «إن رسول الله بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة ثم قال لعلي : أتبع أبا بكر فخذها وبلغها ، ورد علي أبا بكر فرجع أبو بكر فقال : يارسول الله أنزل في شيء ؟ قال : لا ، إلا خيراً إلا أنه ليس يُبلِّغ عني إلا أنا أو رجل مني أو قال : من أهل بيتي»<sup>(٢)</sup>.

(١) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١ : ٢١٦ .

(٢) م . ن . ١ : ٢١٤ .

## حديث المنزلة :

١ - عن سعد قال : «عن النبي أنه قال لعلي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»<sup>(١)</sup> ؟

٢ - عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه : «قال رسول الله لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . قال سعيد : أحببت أن أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر فقال : أنا سمعته . فقلت : أنت سمعته ؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال : نعم . وإلا فاستكتا»<sup>(٢)</sup> .

٣ - عن عامر بن سعد عن أبيه قال : «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً . فقال : ما منعك أن تُسبَّ أبا تراب ؟ فقال : أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حُمُر النعم ، سمعت رسول الله يقول له : خَلَفَ في بعض مغازيه ، فقال له عليّ : يارسول الله ! خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»<sup>(٣)</sup> .

٤ - عن سعد قال : «خَلَف رسول الله علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يارسول الله ! تَخَلَّفني في النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»<sup>(٤)</sup> .

٥ - عن سعد قال : «إِنَّ علياً خرج مع النبي حتى جاء ثنية الوداع وعلي يبكي . يقول : تَخَلَّفني مع الخوالم ؟ فقال : أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»<sup>(٥)</sup> .

(١) جامع المسانيد والسنن ٥ : ١٢١ .

(٢) المسند الجامع ٦ : ١٢٥ .

(٣) م . ن ٦ : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٤) م . ن ٦ : ١٢٧ .

(٥) م . ن ٦ : ١٢٨ .

حديث الولاية :

١ - عن سعد قال : «أما والله إنني لأعرف علياً ، وما قال له رسول الله ، أشهد أنه قال لعلي يوم غدير خم ونحن قعود فأخذ بضبعه ثم قال : أيها الناس من مولاكم ؟ قالوا : الله ورسوله ، قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه»<sup>(١)</sup> .

٢ - عن سعد قال : «كنت جالساً عند فلان فذكروا علياً فتنقصوه ، فقلت : (ذكر حديث المنزلة وحديث الراية) وقال : سمعته يقول له : من كنت مولاه فعليّ مولاه»<sup>(٢)</sup> .

٣ - عن عائشة بنت سعد ، قالت سمعت أبي يقول : «سمعتُ رسول الله يوم الجمعة فأخذ بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إني وليكم قالوا : صدقت يا رسول الله ، ثم أخذ بيد عليّ فرفعها فقال : هذا وليّي ويؤدّي عني ديني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»<sup>(٣)</sup> .

٤ - عن عائشة بنت سعد عن أبيه : «قال : كنا مع رسول الله بطريق مكة وهو متوجه إليها - وفي نسخة أخرى متوجه إلى المدينة - فلما بلغ غدير خم وقف للناس ثم ردّ من تبعه ولحقه من تخلف ، فلما اجتمع الناس إليه قال : أيها الناس من وليكم ؟ قالوا : الله ورسوله ثلاثاً ، ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال : من كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه»<sup>(٤)</sup> .



(١) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١ : ٢١١ .

(٢) م . ن . ١ : ٢١٢ .

(٣) الغدير ١ : ٢٨ .

(٤) الغدير ١ : ٣١ .

## أدب في رهاب الثقيلين

### يومٌ أغر<sup>١٥</sup>

«قالها في ذكر يوم غدِير خُم وبيعته المشهورة»

✻ الصاحب بن عباد

يا آل أحمد قد حَدَوْتُ<sup>(١)</sup> بمدحكم  
سَبَقَ الوَصِيُّ إلى العلَى طُلَّابُهَا  
شمسٌ ولكن ليس يغربُ قرصُها  
جَذَبَ النبيُّ بضيعه<sup>(٢)</sup> يوم الغديـ  
ختم الرِّقَابِ<sup>(٣)</sup> بنصبه لولايـ  
لَمَّا رَأَيْتُ الحقَّ جَدَّ مُبِينِ  
حَسْتَى تَمَلَّكُهَا بغيرِ قرين<sup>(٤)</sup>  
وَضَيَاعِمُ<sup>(٥)</sup> لم تستترْ بعـ  
رٍ ووَكَّدَ التعريفَ بالتعـ  
ختم الرقاب<sup>(٦)</sup> خلاف ختم الطين

(١) حدوت : من الحداء، أي شدوت .

(٢) بغير قرين : بلا منازع ومنافس .

(٣) ضياغم : مفردها ضيغم وهو الأسد .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الرقاب : جمع الرقبة وهي العنق، وختم الرقاب : جعل بها بيعةً .

(٦) الرقاب : العبيد المملوكة .



يَوْمٌ أَغْرُ<sup>(١)</sup> أَضَاءَ غَرَّةَ<sup>(٢)</sup> هَاشِمٍ      يَوْمٌ هِجَانُ<sup>(٣)</sup> سَاءَ كُلَّ هَجِينِ<sup>(٤)</sup>  
أُذَكِّرُ لَهُ بَدْرًا وَسُفِي حَسَامِهِ      فِي هَجْرِ رُوحٍ أَوْ وَصَالِ مَنُونِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَذَكِّرُ لَهُ أَحَدًا وَقَدْ أَرْضَى الرَّدَى      وَرَضَا الرَّدَى إِسْخَاطُ<sup>(٦)</sup> كُلِّ وَتِينِ<sup>(٧)</sup>



ثُمَّ أَذَكِّرُ الْأَحْزَابَ<sup>(٨)</sup> وَأَذَكِّرُ سَيْفَهُ      أَسَدٌ يَلَاقِي الْحَرْبَ بِالتَّبِيِّينِ<sup>(٩)</sup>  
وَأَذَكِّرُ يَهُودَ بَخِيرٍ إِذْ شَلَّهَا      مِثْلَ الْعُقَابِ<sup>(١٠)</sup> يُشَلُّ بِالشَّاهِينِ<sup>(١١)</sup>  
وَأَذَكِّرُ حُنَيْنًا حِينَ أَصْبَحَ عَضْبُهُ      يَلْقَى الْمَنَاجِزَ<sup>(١٢)</sup> عَنْ هَوًى وَحَنِينِ  
أَجْرَى دِمَاءَ الْمُشْرِكِينَ فَلَوْ جَرَتْ      فِي مَوْقِفٍ لَرَأَيْتَ أَلْفَ مَعِينِ  
وَأَذَكِّرُ مُوَاخَاةَ النَّبِيِّ وَقَوْلَهُ      مَا قَالَ فِي مُوسَى وَفِي هَارُونَ  
قَدْ سُدَّتِ الْأَبْوَابُ إِلَّا بَابَهُ      لَوْ كَانَ يُعْرِفُ مَوْضِعَ التَّبِيِّينِ  
وَبَرَاءةُ أَرْتَجِعَتْ وَمُلْكُ أَمْرَهَا      يَا رَبِّ شَأْنٍ نَاسِخٍ<sup>(١٣)</sup> لَشَوْوَنِ  
وَبِهَلْ أَتَى<sup>(١٤)</sup> وَحْيِي بِمَفْخَرٍ مَا أَتَى      لِيُعْضَّ طَرْفُ النَّاصِبِ الْمَغْبُورِ<sup>(١٤)</sup>

(١) أَغْرَ : أبيض ناصع .

(٢) الغرّة : الجبهة .

(٣) هيجان : كريم طيب .

(٤) الهجين : اللثيم .

(٥) منون : منية ، موت ، جمام .

(٦) ربما المراد هنا إسقاط : أي نزع ولا معنى لإسقاط هنا .

(٧) وتين : عرق في القلب .

(٨) الأحزاب : أي معركة الخندق .

(٩) التبیین : التثبيت والتأني .

(١٠) العقاب : نوع من النسور .

(١١) الشاهين : طير صغير جارح أيضاً .

(١٢) المناجيز : المقاتل .

(١٣) ناسخ : مبدل .

(١٤) المغبون : المغلوب .

أُرْوَاةَ آثَارِ النَّبِيِّ مَنِ الَّذِي  
 مَنْ بَابُهُ فِي الْعِلْمِ وَهُوَ مَدِينَةٌ (٢)  
 مَنْ زُوجَ الزَّهْرَاءِ حِينَ تَزَاحَمُوا  
 مَنْ جَدُّ (٣) أَصْلَ النَّاكِثِينَ (٤) وَجَدُّ (٥) حَبْدُ  
 مَنْ كَانَ حَقَفَ الْمَارِقِينَ (٧) الْقَاسِطِي  
 يَا أُمَّةَ مَلَكَ الضَّلَالُ زَمَامَهَا  
 أَجْرَاءُ مَنْ هَذَا ذَوَابَةُ (٩) فَضْلِهِ  
 أَلَا يُقَدِّمَ وَالْفَضَائِلُ شُهُدُ

يُدْعَى قَسِيمَ النَّارِ (١) يَوْمَ الدِّينِ؟  
 آيَهُ وَصَاحِبُ سِرِّهِ الْمَخْزُونِ؟  
 فِي خُطْبَةٍ كَشَفَتْ عَنِ الْمَكْنُونِ؟  
 لَلْقَاسِطِينَ (٦) وَحَاطَ عِزَّ الدِّينِ؟  
 مَنْ وَحَيْثُهُمْ (٨) فِي ذِمَّةِ التَّحْيِينِ؟  
 وَتَهَالِكَتْ فِي حَالِهَا الْمَلْعُونِ  
 وَثَمَارُ عَلَيْهِاءِ بَغِيرِ غُصُونِ  
 وَالْفَخْرُ أَقْعَسُ (١٠) مَشْرِقُ الْعَرْنِينِ؟



- 
- (١) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ في الإمام علي عليه السلام: «علي قسيم النار والجنة».
- (٢) إشارة إلى الحديث المتواتر عن الرسول ﷺ «أنا مدينة العلم وعلي بابها».
- (٣) جد: قطع.
- (٤) الناكثين: أهل الجمل الذي نكثوا البيعة.
- (٥) جد: قطع الحبل.
- (٦) القاسطين: أهل الشام أصحاب معاوية الذين حاربهم الإمام علي عليه السلام في صفين.
- (٧) المارقين: هم الخوارج، إشارة لقوله ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».
- (٨) الحين: الموت.
- (٩) ذوابة: طرف.
- (١٠) أقعس: عالي منيع.

## الغدير الغدير

✽ السيد محمد جمال الهاشمي

يحتفي الخلدُ فيك مجداً وفخراً  
واقترح ساحةَ الحياة بعزم  
لك من روحك العظيمة جيش  
والذي يغمر الليالي أنطافاً  
فتطاول على السماكين قدرا  
يهرب الموتُ منه خوفاً وذعرا  
يهزم الحادثاتِ كراً وفرّاً  
سيحيى في صفحة الأفق فجرا

✽ ✽ ✽

يا نجوم الظلام فيضي هناءاً  
واسكبي النور خمرةً تسكر الحب  
واملائي الأرضَ والسماوات سحرا  
فتصحو به العواطفُ سكرى

واقبضي دقة النسيم ليجري  
وابعني في السكون روحاً رقيقاً  
واحملها لمن أعارك من معناه  
حلفت نفسه الكبيرة تبغي  
عشقت وجهك الضحوك فباتت  
فاستراحت في ظل صمتك لما  
ومضت توقظ الخيال بلحن  
حفزتها إلى النضال دروس  
إنفت أن تشور كالوحش بالسيف  
وانبرت ترهف الصراع وتبرئ  
وإذا صلصل اليراع حماساً  
قلم ينثر النجوم لتهدي  
يخرق الحجب في البيان فيبدو  
ويشق العصور بطناً وجهراً  
فيحيل الضباب في العين نوراً

هادئاً يغمر العوالم يشرا  
يستندى وحيأ وينطف شعرا  
مجداً على الشمس إشمخرا  
في مجاليك عالماً مستقرا  
عينه في الهوى كعينيك سهرى  
وجدته للفكر أهني وأمرى  
ذهبي يحيي به الميت نشرا  
تستثير الأحرار علماً وخبرا  
فألقسته للمجانين سخر  
حدّه للجهاد بحثاً وسبرا  
أين منه الحسام جاراً وزاراً  
موكب الفكر وهو يجتاز وعرا  
منه سر الحياة للعين جهرا  
ويذوق الظروف حلواً ومراً  
تجتلبيه، والشوك في الكف زهرا



الغدير الغدير ذاك نشيد  
لحنته قيثاره الله صخابا  
هددهته السماء للأرض روحاً  
فاحتسته الآذان خمراً، وإن  
صور تسحر الخيال فيسمو

رددته العصور سجعاً وزمرا  
فهاجت منه الكوامن حرى  
ملكياً يفيض قدساً وطهرا  
السمع قد يغتدي بدنياه ثغرا  
صاعداً في معارج النور سُكرا

وإلى أين حيث ينبثق الفجرُ  
فهناك الوحيُّ الإلهيُّ يبدي  
تترامى من حوله عبقریات  
ذاك سرُّ هيات يدركه الوعي

ليكسو الوجود نوراً وعطراً  
منه شطراً يرى، ويضم شطراً  
مشت تطلُّبُ الخلودَ مقراً  
وإن غاب منه دهرًا ودهرًا



الغدير الغدير، لحنٌ تلاشئ  
لم يطقه الزمانُ هظماً فأمسئ  
الزمان الحقود هيات يرضئ  
فأحال الشعاعَ منه ضباباً  
والذي يدرس الحوادث يلتقي الشرَّ  
كم هزار تُفني لُتحي غراباً  
منهج تقصر الموازين عنه

في خضمِّ الحياة مَدّاً وجزراً  
خبراً في ضميره مستسراً  
إن يرى الحبُّ فيه ينثر بذراً  
وأعاد الروض المنعم قفراً  
خيراً هنالك والخير شراً  
وهزبر تضوى لتسفخ هراً  
فاترك البحث فيه، فالترك أحرى



الغدير الغدير، ذلك طيفُ  
فانتشئ الحبُّ من ملامحه الزهر  
حاول الفنُّ أن يصورَه في  
فاستعار الألوان من وضح الشمس  
ومضى يرسم المناظر حتَّى  
كلما قاس سحره بسواه

ساحرٌ داعبَ الخيال وفراً  
وماس الجمال تيهاً وكبرا  
لوحية تبهر الأخاييل بهراً  
وخطُّ الضحى على اللوح طغرى  
أجهدته قوى وأضنته صهرا  
لاح أسمى معنى وأبعد سرا

فرمى الريشة الكليلة أسوان  
وارتمى ساهماً يُحدِّقُ في الأفق  
وعاف الألوان غيظاً وقهراً  
كطير أضاع في الأفق وكرا



الغدير الغدير، ذلك يوم  
صرع الحقد منه غيظاً، ورقّت  
نحن في ضحوة النهار، ونور الشمس  
دَفَقَاتِ الرياح يلهبها الصيف  
والرمال الحمراء مَوَّجها النور  
والسكون العميق يبعث في الصحراء  
يتعالى الغبارُ من كَبَدِ البَرِّ  
إنَّه من قوافل تقطع الصحراء  
إنَّه مشهَدُ الحجيج إلى الأوطان  
إنَّه موكب النبوة يجتاز  
هذه هالة الجلال وهذا  
هؤلاء الأصحاب كالشهب حَفَّتْ  
منظرُ يغمر الصحاري جلالاً  
لم تُشاهدْ هذي الفدافدُ ركباً  
يقف الموقفَ العظيم، فماذا  
الثغاء الرنَّان يخرق السمع  
ونداء الحُداة مَوَّجَه الجوّ  
ويعم السكوت حتّى على النيب

خلدته العصور للحق ذكرى  
راية الحب فيه فتحاً ونصراً  
قد طبَّقَ المفاوز طُراً  
فتُصلي السماء والأرض حَرّاً  
فلاحت نهرأله الأفق مجرى  
روحاً منها الفضاء أقشعراً  
تماويج تجعل البرّ بحراً  
فيها لو ترعرع حرّاً وقُراً  
يسعى في سيره مُستمرّاً  
الصحاري فتحتفي فيه فخراً  
خاتم الرُّسل لاح في الركب بدراً  
واستدارت عليه يميني ويسرى  
ويُحيل الرمال في العين تبرا  
عريباً يعنو لعلياه كسرى  
عاقه عن مسيره فاستقرّاً؟  
فيمسي به من الضغط وقُراً  
نشيداً يلذّ للروح نبراً  
فمنها لم تصنع جعراً ونعراً

من حدود النياق قد نُصب المنبر  
جلست حولة الجماهير،  
هاهو القائد العظيم على المنبر  
يتعالى خطابه وهو إعجازُ  
وارتقى نحوه فتى، فحسبت النجم  
آه، هذا ابن عمه، بطل الإسلام  
ويمد النبي يمناه للصهر  
أفتدري مارام من فعله هذا  
إنه شاء أن يبين إن المرتضى  
مَهْدَ الوضع فيه للوحي حتى  
ثم نادى: مَنْ كُنْتُ مولاه حقاً  
موقفٌ أزعج الزمان فأمسى  
بإيعته الأيام بالحكم لكن  
هكذا تمنحي الحقائق حتى

في الشمس وهي تنفث سغراً  
والصمت عليها القى من السحر سثراً  
عنه العيون ترجع حسرى  
يهزُ العصور عَصراً فعصراً  
في المنبر المُشرف خُراً  
من يرجف الميادين ذعراً  
فيعلو على الجماهير طُراً  
وإن كان فيه ربي أدري  
من سواه أرفع قدراً  
لا يرى الناس أمره فيه إمراً  
فعلني مولاه، دنياه وأخرى  
وهو ينوي شراً ويضمّر غدراً  
نَقِضْتُ عهده المقدس كفراً  
يصبح العُزف في الشرائع نُكراً



الغدير الغدير، ذلك سفرٌ  
دبّجته يراعة الناقد الفحل  
أظهرت ما اختفى، وأخفت عيوباً  
إن يكن يصلح الخلود وساماً

خالد في الحياة، قُدس سفرها  
فلم تبق فيه للبّ قشراً  
قُدسَتْ في الورى خِداً ومكراً  
(فالأميني) فيه أولى وأحرى



## نسائه الخدير

✽ إبراهيم محمد مواد (سوريا)

سللتُ الحرف سيفاً هاشمياً  
ورُمحاً - من قوافٍ - سمهرياً  
وَصُلْتُ على الأعادي باقتدارٍ  
فما أبقيتُ من عادٍ عليّ  
وحاورت النجوم فما أراها  
أدارت طَرفها إلا إليّ  
وطاولت الكواكب أحوتها  
فما بَرَحْتُ تُسَبِّحُ في يديّ  
أليس الشعر درعي والقوافي  
سيوفي والخيال سري رُخيّ



أصول بكل قافيةٍ تعالت

وأعبر موج أبحرها قويا

فما ينبو عن الجلى كلامي

وشعري للمدى يبقى شذيا

وما تلوي الصعاب جِماحَ عزمي

ولا العقبات تطوي النفس طيا

وحتفي ما أراه سوى حياةٍ

إذا ما عشت في الدنيا أبيا



مدحت الأكرمين أبا وأما

ونسلا طاهر المخيا نقيًا

وأركضت الكلامَ خيولَ سَبْقٍ

إلى ميدانهم فسرى حفيًا

محمّد خيرٌ من حملت ظهورُ

وأرحامٌ وأجملهم مُحَيّا

وفاطمة البتولُ لسانُ صدقٍ

ونهر طهارةٍ يجري نديًا

وحيدرٌ من أعار الدين نفساً

وقام به صراطاً أحمديًا

يجود وقد تباخل من سواه

ويفدي والرّدى يدوي دويّا

وَيُثْبِتُ فِي الْحُرُوبِ لِكُلِّ هَوْلٍ

وَيُقَدِّمُ إِنْ تَبَاطَأَتِ السَّرَايَا

وإِذَا فِي الْوَعْيِ انْكَشَفَتْ لِيَوْتُ

وَفِي يَدِهِ تَوَثَّبَ ذُو فَقَارٍ

لَعَمْرِي ذَاكَ حَيْدَرَةٌ فَلَمْ لَا

أَلَمْ يَكُ أَعْلَمَ الْأَقْوَامَ عِلْمًا

وَأَقْرَبَهُمْ إِلَى الْمَخْتَارِ رَحْمًا

وَأَزْكَاهُمْ وَأَوْفَرَهُمْ رَشَادًا

وَكَانَ إِذَا مَشَى طَرِبَتْ جِبَالُ

وَعَرَّجَ لِلسَّمَاءِ يَطُوفُ فِيهَا

وَمَالَ الْبَدْرَ مَنَظَرًا إِلَيْهِ

فَمَا تَسْلُقَاهُ مِنْهَزِمًا غَوِيًّا

وَإِنْ فَرَّ الْكِمَاةُ مَضَى كِمَبًا

تَقَدَّمَ فِي الْوَعْيِ أَسَدًا ضَرِيًّا

لَأَعْنَاقِ الْعَدَى شَرِّهَا ظَمِيًّا

يَكُونُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ وَلِيًّا

وَأَحْلَمَهُمْ وَأَسْبَقَهُمْ صَيًّا

وَالصَّقَّاهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ نَجِيًّا

وَأَوْضَحَ مِنْهَا وَهُدًى سَوِيًّا

وَشَبَّ الرَّمْلَ مَبْتَسِمًا وَحَيًّا

بِرُوحِ الْمَجْدِ فَرْدًا أَوْحَدِيًّا

فَسَارَرَهُ وَحَاوَرَهُ مَلِيًّا

فَعَادَ وَقَدْ تَوَحَّدَ فِي بَهَاءٍ

يُشِيعُ الْإِنْسَ مِمَثْلًا حَيًّا

وَرُدَّتْ شَمْسُ يَوْمِ الْفَتْحِ كَيْمَا

يُصَلِّي الْفَرَضَ ثُمَّ جَرَتْ مُضِيًّا

فَمَا غَرَبَتْ بِذَاكَ الْيَوْمِ شَمْسُ

لِسَيْفِ الْحَقِّ وَضَّاحًا جَلِيًّا

أَزَالَ حِصُونَ خَيْرٍ وَالضَّيَاصِي

وَقَوَّضَ زَنْدَهُ الْكَيْدَ الْعَصِيًّا

وَكَبَّرَ فَوْقَ هَامَةٍ كُلِّ شَرِكٍ

وَصَلَّى السَّيْفُ فِي يَدِهِ رَوِيًّا

وَهَلَّلَ فِي الْعَلَا جَبْرِيلُ جَذْلًا

وَنَادَى يَعلنُ الْبَشْرَى وَفِيًّا

وَرَدَّدَتْ الْمَلَائِكُ فِي احْتِفَاءٍ

رَضَا الْمَوْلَى عَنِ الْمَوْلَى فَهَيَّا

لِنَصْدَحٍ لَا فَتَى فِي الْكَوْنِ إِلَّا

عَلَيٌّ مِنْ غَدَاً مِثْلًا عَلِيًّا

تَجَلَّى الْجَمْعُ عِنْدَ غَدِيرِ خَمٍّ

قَرِيرِ النَّفْسِ مَنْشَرَحًا رَضِيًّا

وَأَخْفَى الْحَاسِدُونَ شِوَاظَ نَارٍ

تَلَهَّبُ فِي الْفُؤَادِ جَوًى عَمِيًّا

فَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُهُمْ تَنَادَوْا

لِحَجَبِ الشَّمْسِ إِذْ خَلَّصُوا نَجِيًّا

فَأُورُوا زِنْدَ خَامِلِهِمْ بِحُمَقٍ

فَكَيْفَ تَقْدَمُوا سَفَهًا عَلَيَّا

أَمَا سَمِعُوا النَّدَا بِغَدِيرِ خَمٍّ

بِنَصَبِ الْمَرْتَضَى خَلْفًا وَصِيًّا

بَلَى سَمِعُوا وَلَكِنْ قَدْ تَعَامَوْا

وَصَلُّوا وَالنَّدَا مَازَالَ حَيًّا

فَيَا لِلَّهِ مَا عَمِيتْ عَيُونُ

وَلَا الْآذَانُ صُمَّتْ بَلْ حُمَيَّا

حُمَيَّا الْجَاهِلِيَّةُ قَدْ تَنَادَتْ

لَوَادِ النُّورِ شَعًّا بِهَا بَهِيًّا

فَلَمَلَمْتُ الذُّيُولَ صَدَى نِفَاقٍ

وَصَبَّتْ فَوْقَهُ حَقْدًا غَبِيًّا

نَعَمْ وَأَبَيْكَ قَدْ فَازُوا بِدُنْيَا

وَيَوْمَ الدِّينِ تَلْقَاهُمْ جِثِيًّا

فَيَصْطَرِّخُونَ مِنْ نَدَمٍ بَكِيًّا

وَجَمْرُ الْجُرْمِ يَغْشَاهُمْ صِلِيًّا

\* \* \*

إِمَامَ الْحَقِّ نُورُ الْحَقِّ يَبْقَى

مَدَى الْأَيَّامِ مَوْتَلَقًا زَكِيًّا

هِيَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ قَدْ أَطْلَتْ

عَلَى الْأَكْوَانِ ثَوْبًا عَسْجَدِيًّا

لئن جَحَدَ الضُّيَاءُ أَخُو عَنَادٍ

وَأُنْكَرَ صَبْحَهُ سَفْهًا وَغَيًّا

فَمَا ضَرَّ الصَّبَاحَ عَمَى قُلُوبٍ

وَلَمْ يَحْجِبْ مِنَ الْإِصْبَاحِ شَيْئًا

وَذَكَرَى الْعِيدَ ذَاكِرَةَ اللَّيَالِي

وَمَا زَالَ الزَّمَانُ بِهَا سَخِيًّا

إِمَامَ الْحَقِّ أَنْتَ سَنَا قُلُوبٍ

وَنُورٌ فِي الْعَيُونِ جَرَى سَرِيًّا

سَرَى فِي الرُّوحِ حَبْكُ فَاسْتَفَاقَتْ

عَلَى عَشَقٍ تَوَلَّاهَا وَقَيًّا

وَجِئْتُكَ مِنْ دَمَشَقِ الشَّامِ أَشَدُّ

بِمَدْحٍ فِي عُلاكَ أَتَى طَلِيًّا

أَلَسْتَ الْمَنْهَلَ الصَّافِي لَظَامٍ

وَلِلْمَحْرُومِ مَطْعَمَهُ الشَّهِيًّا

وَأَنْتَ الْفَرْدُ لَيْسَ لَهُ مِثَالٌ

وَمَا خَلَقَ الْإِلَهِ لَهُ سَمِيًّا

فَإِنْ قَصَيْتَ نَفُوسَ عَنْ إِمَامٍ

فَشَيْطَانُ الْهَوَى أُرْدَى الْقَصِيًّا

سَابَقْنِي الصَّبُّ يَنْعَشُنِي نَسِيمٌ

يَهْبُ مِنْ الْغَدِيرِ نَدَى صَفِيًّا

أُغَرِّدُ فَوْقَ أَيْكَةِ كُلِّ نَادٍ

وَأَشْدُو لِحْنِ حَبِّكُمْ هَنِيًّا

وَلِلْعَذَّالِ مَنْ فِي الْحَبِّ لَامُوا

سَلَلْتُ الْحَرْفَ سَيْفًا هَاشِمِيًّا



نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في  
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

في محاولة للحصول على موارد  
مالية من أجل الاستمرار في  
حربها الطاحنة ضد أحزاب  
الجهة الإسلامية المتحدة وتحت  
هذه اللافتة المزيفة تدعي طالبان  
أنه يمكن بهذه الطريقة الحاق  
الأذى بإعداء الإسلام .  
وبما أن إيران تقع على الطريق

الجمهورية الإسلامية في إيران  
تجارة المفقدرات عبر  
إيران، مؤامرة تشارك  
فيها أطراف دولية



منذ أن سيطرت حركة  
الطالبان على مقاليد الأمور في  
أفغانستان لجأت إلى تشجيع  
زراعة المخدرات بكافة أنواعها

الرئيسي لمرور المخدرات إلى أوروبا والخليج فقد شهدت الحدود الإيرانية الشرقية تركزاً واسعاً لمراكز قيادية لعصابات يتبناها تجار محترفين بتهريب المخدرات ، وقد سعت هذه العصابات بكل الوسائل للسيطرة على المناطق الحدودية وبما فيها سكانها ، حيث حاولت تجنيدهم أو تحييدهم لصالحها لتتمكن هذه العصابات من تمرير وعبور المخدرات عبر إيران ومناطقها الحدودية إلى أسواق أوروبا والخليج ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام المهربون الأشرار بإشاعة عدم الاستقرار والأمن ، وأصبحت ظاهرة قتل المواطنين الأبرياء واختطافهم والتعرض لقوى الأمن الداخلي في تلك المناطق ممارسة يومية تتكرر بين الحين والآخر على أيدي مهربي المخدرات الذين يمتلكون

أسلحة متنوعة بما فيها المتوسطة ومعدات الاتصال المتطورة في محاولة لمنع قوات الأمن التعرض إلى قوافلهم المحملة بأطنان المخدرات القادمة من أفغانستان وباكستان إلى العديد من بلدان العالم بما فيها إيران .

هذه الظاهرة تفضح الحكومة الباكستانية وحركة الطالبان في أفغانستان عن عدم قيام أجهزتها الحكومية بواجبها المطلوب تجاه هذه القضية التي تهم الإنسانية والعالم بأسره قبل أن تهم إيران لوحدها ، بالإضافة إلى أنها تؤكد تمادي حركة الطالبان في تحدي المجتمع الدولي في مواصلة تشجيع زراعة المخدرات في أفغانستان التي تفتقر إلى نظام سياسي يمكن أن يفرض سيطرته على أراضي هذا البلد ازاء قضية زراعة ونتاج وتوزيع المخدرات

وما يترتب عليه من افتقار الشعوب المبتلاة بهذه الآفة وزيادة الانحراف في أوساط الشباب خاصة وتدمير الأواصر الاجتماعية وزيادة الفساد في الأجهزة الحكومية في أي بلد يعيش هذه المأساة سواء كان في أفغانستان أو أي بلد آخر .

الجمهورية الإسلامية في إيران تواجه مؤامرة دولية منذ انتصار الثورة بقيادة الإمام الخميني رحمه الله وبالأخص من قبل أميركا وأذنابها في المنطقة، حيث فشلت واشنطن على مدى عقدين من الزمن في مواجهة النظام الإسلامي عن طريق الحرب الخارجية كما حصل في العدوان الذي شنّه النظام العراقي على إيران ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٨م والذي قدمت له الولايات المتحدة الأميركية وحليفاتها كل الاسناد والدعم العسكري والمادي فضلاً

عن دخول القوات الأميركية في منطقة الخليج بشكل مباشر لصالح القوات العراقية، بالإضافة إلى العمليات الارهابية لزمرة المنافقين ضد الجمهورية الإسلامية في إيران انطلاقاً من الأراضي العراقية، ناهيك عن الحصار الاقتصادي على إيران وبحمد الله نجح الشعب وقيادته الحكيمة في مواجهة هذه المخططات التي كان الهدف منها اسقاط التجربة الإسلامية الفتية .

ورغم هذا الفشل الذريع، إلا أن الولايات المتحدة وحليفاتها والكيان الصهيوني لن يكف عن حياكة المؤامرات ضد الدولة الإسلامية الفتية . وبوصول حركة الطالبان إلى الحكم في كابل كانت الأجواء مناسبة لتنفيذ هذه اللعبة القذرة بهدف زعزعة الأمن والاستقرار على حدودها الشرقية وادخالها في صراع مستمر مع



مافيا المخدرات وتجار الموت واستنزاف جزء من مواردها الاقتصادية لمكافحة هذه الآفة الخطرة يضاف إلى ذلك تدمير عنصر الشباب في المجتمع الإيراني وادخاله في دوامة المشاكل الاجتماعية والصحية التي تمنعه من التفكير في التقدم واعلاء شأن بلاده الإسلامية مضافاً إلى ذلك أسلوب اشاعة الغزو الثقافي الخارجي بين أوساط الشباب والذي هدفه صرف أبناء هذه الأمة في التوجه نحو الإسلام وربط كل تفكيره بعجلة المجتمع الخارجي .

ولذا فإن الجمهورية الإسلامية التي تدرك حجم المؤامرة وأبعادها والمشاركين فيها حشدت كل طاقاتها وامكانياتها من أجل الحد من تجارة المخدرات ، حيث اعتمدت خطة ذات بعدين الأول حملة توعية

تقوم بها وسائل الاعلام وعقد منتديات خاصة في هذا الشأن لتوعية الشباب بشكل دقيق من مخاطر الادمان وطرق المعالجة والوقاية ، والثاني حملة مسلحة تقوم بها قوى الأمن وحرس الثورة ضد مهربي المخدرات في المناطق الحدودية وداخل البلاد ، حيث وافق مجلس الشورى على مشروع مكافحة المخدرات على طول الحدود مع أفغانستان البالغة ٩٤٠ كم، وقد تمت المصادقة على ميزانية خاصة لوزارة الداخلية من أجل اقامة حاجز أمني بأدوات الكترونية لرصد عمليات التهريب. حيث يعتقد أنه في ظل هذه الجهود الرسمية والشعبية ستواجه تجارة المخدرات عبر ايران الانحسار والانكسار والاضمحلال والبحث عن طريق آخر وبالتالي فإن الجهات الدولية

السلام عليكم ورحمة الله  
وبركاته .

تمر الأمة الإسلامية في هذه  
الآونة في مرحلة تاريخية عصيبة  
تواجه فيها تحديات وأخطارا  
شرسة لم تواجه مثيلاً لها من  
قبل، ولا ريب أن من أشرس تلك  
الأخطار وأكبرها خطراً العدوان  
الصهيوني الذي داهم عالمنا  
الإسلامي منذ ما يزيد على نصف  
قرن اغتصب جزءاً غالياً مقدساً  
من أرضه ، فيه أولى قبلتيه وثالث  
حرميه ، هو أرض فلسطين ، ثم ما  
لبث هذا الخطر أن توسع وامتد  
فشمل أجزاء أخرى من أرض  
الإسلام حول فلسطين .

غير أن إرادة الصمود  
والمقاومة لم تتزلزل ولم تضعف  
في نفوس أبناء أمتنا ، لا في  
فلسطين ولا في ما حولها من  
بلدان عربية وإسلامية على رغم  
ما بذله العدو الصهيوني من

المستأجرة ضد الجمهورية  
الإسلامية بهذه الأساليب  
والألاعيب قد فشلت وأثبتت  
الجمهورية الإسلامية نجاحها  
وانتصارها على خصومها وعلى  
رأسهم أميركا الطاغية .

\* \* \*

□ جماعة علماء المسلمين في أوروبا :  
موقف مسؤول من مجلة  
مشبوهة ..

بعث الأمين العام لجماعة  
علماء المسلمين في أوروبا برسالة  
إلى فضيلة الشيخ الدكتور محمد  
سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر  
حول ما نشرته إحدى المجلات  
المشبوهة عن مذهب التشيع لأهل  
بيت النبي ﷺ فيما يلي نصه :

فضيلة الشيخ الدكتور محمد  
سيد طنطاوي شيخ الجامع  
الأزهر.

محاولات مستكررة لفرض الاستسلام على حكامها، بل بقيت تلك الإرادة تغلي بالصمود والمقاومة حتى أثمرت أخيراً نصراً مؤزراً على الاحتلال الصهيوني في إحدى جبهات الصراع مع أبناء حزب الله في جنوب لبنان ، بفضل صدق إيمانهم بالله عزوجل وأتباعهم النهج الاستشهادي في جهاد أعداء الإسلام والإنسانية ، هذا النهج الذي تعلموه من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين ضربوا للمسلمين أروع الأمثلة في التضحية والفداء من أجل دينهم وكرامتهم ومقدساتهم .

ولا شك ان هذا النصر قد الحق بالعدو الصهيوني ذلاً لم يعرفه في تاريخ احتلاله أرضنا ومقدساتنا ، وأجبره لأول مرة على الانسحاب من دون فرض أية شروط واثبت زيف ادعائه بأنه

صاحب القوة الذي لا يقهر فأسهم بذلك في تعزيز ارادة المقاومة واعادة ثقة الأمة بنفسها وبقدرتها الذاتية في تحرير أرضها ومقدساتها من دنس الاحتلال الصهيوني وارتفعت في أثره الأصوات في داخل فلسطين وفي سائر أنحاء العالم الإسلامي مطالبة باعتماد نهج حزب الله في الصمود ثم ما لبثت الانتفاضة الفلسطينية أن تفجرت من جديد ، وصار نهج حزب الله ونموذجه في الصراع مع العدو الصهيوني حقيقة واقعة وشعاراً يتردد على كل لسان الأمر الذي أثار مخاوف العدو الصهيوني ودفعه هو والقوى الاستكبارية الدولية الداعمة له إلى التفكير في وسيلة يوقفون بها تداعيات هذا النصر ويفككون بها تلاحم أبناء الشعب الفلسطيني مع أبناء حزب الله حول نهج الصمود والمقاومة ،

وذلك عن طريق التشكيك في منطلقات حزب الله الدينية وانتماء أبنائه إلى الإسلام الأصيل ، وتذكير الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى بأنهم أو أن غالبيتهم من السنة على حين أن أبناء حزب الله من الشيعة، والشيعة ليسوا على دين الإسلام وإنما هم على ديانة أخرى!!!

وأخيراً وجدوا ضالتهم في إحدى المجالات المعروفة بنعرتها الطائفية وارتباطاتها المشبوهة التي استغلت حادثة إعلان أحد زعماء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين تشييعه واعتناقه مذهب أهل البيت (عليه السلام) لتحقيق تلك المآرب الصهيونية الخبيثة ، فنشرت تحقيقاً صحفياً مليئاً بالمغالطات والافتراءات المفضوحة حول هذا الموضوع زعمت فيه أن السبب في تشييع هذا القيادي الفلسطيني

المجاهد هو انبهاره بانتصارات حزب الله الأخيرة على العدو الصهيوني في لبنان ، وشعوره بالإحباط والخذلان من عدم نصره قومه السنة لقضيته ومن قصور المؤسسات السنية في الاقتراب من الشارع ونبضه وعيشها في حالة الدعة والاستنامة والبعد عن قضايا الأمة خاصة فيما يتعلق بالصراع مع العدو الصهيوني ، زعمت فيه ذلك وفي الوقت نفسه سجلت على لسان ذلك المجاهد في حوارها معه أن تشييعه لا علاقة له بانتصارات حزب الله الأخيرة وأنه قد تم قبلها وجاء بعد بحث ودراسة وتفكير استمر منذ عدة سنوات سابقة ، ما يدل على أن قضية تشييعه قد أقحمت في هذا الموضوع إقحاماً لتوظف في إبعاد الشعب الفلسطيني عن نهج المقاومة وتقريبه من نهج

الاستسلام والرضوخ لارادة  
العدو الصهيوني المحتل .

وقد تضمن هذا التحقيق  
الصحفي فيما تضمن حواراً مع  
فضيلتكم نسب إليكم فيه اتهام  
مذهب الشيعة بأنه «حركة  
تاريخية حصلت أثناء خلافة  
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام  
وسببها عبدالله بن سبأ اليهودي»  
كما تضمن أيضاً حواراً آخر مع  
استاذ أزهرى وصف نفسه بأنه  
رئيس جبهة علماء الأزهر ذكر فيه  
أيضاً المقولة التي نسبت إليكم إلى  
جانب مقولات أخرى سخيفة لا  
تنم إلا عن جهل وتعصب  
فاضحين لا يليقان بأي مطلع على  
شيء من حقائق التاريخ  
الإسلامي فضلاً عن عالم أو  
باحث متخصص ، ونحن نربأ  
بأنفسنا عن الرد على ما ورد في  
تصريحاته لأننا ندرك إنها فارغة  
من العلم كفراغ عنوان رئاسته

المزعومة من أي مصداقية أو  
مضمون حقيقي ، فهو - كما نعلم  
لا يمت بصلة إلى مشيخة الأزهر  
ومرجعيته الدينية العريقة من  
قريب ولا بعيد ولكن الشأن كله  
في ما نسب إلى فضيلتكم من تلك  
المقولة المزعومة التي أثارت  
نسبتها إليكم الدهشة  
والاستغراب ليس في أوساط  
الشيعة فحسب ، وإنما في أوساط  
عامة المسلمين المنصفين التي  
طالما عرفت فيها بإيثاركهم نهج  
التقريب بين طوائفهم ومذاهبهم  
الدينية وحرصكم على النأي بهم  
عن اتباع الأقاويل المدسوسة  
والاتهامات الباطلة والتي تنسجها  
أيادي الجهل والتعصب وتبثها  
قوى الشر والكفر ضد بعضهم  
البعض لتمزيق وحدتهم وفرض  
هيمنتها عليهم .

ولا شك أن مقولة «إن التشيع  
أسسه رجل يهودي اسمه عبدالله

ابن سبأ» هي من بين تلك المقولات والتهم الباطلة التي لم يعد يصبر على القول بها إلا جاهل أو متعصب معقد أو متصيد في الماء العكر من أعداء المسلمين ، لانكشاف زيفها وبطلانها لكثير من العلماء والمؤرخين المحققين الذين تصدوا لبحثها وتتبع مصادر روايتها ، ومن هؤلاء باحثون معروفون من أهل السنة، بل أن منهم مستشرقين غير منحازين للتشيع إن لم يكونوا من أعدائه وقد صرحوا هم والباحثون المحققون من أهل الشيعة جميعا ، بأن قصة عبدالله ابن سبأ ما هي إلا أسطورة من نسج خيال راوٍ واحد معروف بالكذب والاختلاق ومعادة التشيع وهو سيف بن عمر التميمي وأن هذه القصة لم يرد ذكرها عند أي راوٍ آخر غيره ، فهو شخصية ادّخرها خصوم الشيعة

ليثأروا بها منهم ويشوهون صورتهم ، كما قال الأديب الناقد الراحل طه حسين .

ولا شك أن كل ذلك يعلم به فضيلتكم ، وليس من المعقول أو المتصور أن يغيب عن مثلكم في سعة علمه واطلاعه وتتبعه لما ينشر من بحوث علمية امتدت على مساحة تزيد على مائة سنة سابقة ، ولهذا فنحن نشك كل الشك في صدور هذه المقولة عنكم ونتهم المجلة التي نسبت قولها إليكم بالافتراء والتزيّد على فضيلتكم ، ومما يعزز اعتقادنا هذا أن المجلة المشار إليها قد نقلت عنكم في بداية حوارها معكم كلاماً عن الشيعة الإمامية لا يشبه هذا الذي نسبته إليكم ، أكدتم فيه أن الشيعة إخوان لأهل السنة في الدين وأنه يجب مقاومة أي محاولة لبث الفرقة بين المسلمين وصرّفهم عن

مشكلاتهم الأصلية . لهذا كله  
فنحن نطالبكم باسم جماعة علماء  
المسلمين في أوروبا من موقع  
مسئوليتكم ومرجعيتكم الدينية  
لعامة المسلمين من إخواننا أهل  
السنة أن توضحوا موقفكم مما  
نسب إليكم قوله في حق الشيعة  
لتتضح حقيقته لأبنائكم  
وإخوانكم من جميع طوائف  
المسلمين وتقطعوا بذلك الطريق  
على واحدة من المحاولات التي  
أشترتم إليها لبث الفرقة بين  
المسلمين وإثارة روح البغضاء  
فيما بينهم .

وفقكم الله لمرضاته ونسأله  
أن يلهمكم ويلهم سائر علماء  
المسلمين العاملين ما فيه ائتلاف  
الأمة ووحدة كلمتها ، لا سيما في  
هذه المرحلة العصبية والحرجة  
من تاريخها والله ولي التوفيق .

محسن الأراكي

الأمين العام

لجماعة علماء المسلمين في أوروبا

□ فلسطين :

## الشعب الفلسطيني بين المصار

### والمذابح اليومية

حظيت قضية انتهاك حقوق  
الإنسان في الأراضي الفلسطينية  
بالضفة والقطاع من قبل القوات  
الاسرائيلية اهتماماً كبيراً من قبل  
الأوساط العربية والإسلامية على  
الصعيدين الرسمي والشعبي  
وبعض الجهات والشخصيات  
الدولية . حيث كشفت المذابح  
والمجازر التي ارتكبتها الجنود  
الصهاينة ضد المواطنين  
والمستأجرين والمشيعين،  
بالإضافة إلى استخدام الحصار  
ومنع دخول المواد الغذائية  
والسلع الضرورية والمحروقات  
كشفت بما لا يقبل الشك فيه أن  
السلطات الصهيونية عازمة على  
تميرير واستخدام سلاح التجويع  
والقهر والاذلال لأبناء  
الشعب الفلسطيني ، لدفعه إلى

الاستسلام .

اسرائيل وبعد أن عجزت ألتها العسكرية التي وصلت إلى حد استخدام الدبابات والطائرات المروحية والمدفعية الثقيلة والأسلحة المختلفة الأخرى في مواجهة هذا الشعب المظلوم من الأطفال والنساء والشيوخ، بدأت تمارس عملية خنق سياسي بوسيلة اقتصادية مما يندر بحصول نتائج مدمرة في الوضع الاقتصادي المتردي للغاية في قطاع غزة والضفة الغربية، وعلى الأوضاع الاجتماعية والصحية للمواطنين الفلسطينيين الذين صمموا على الاستمرار في المواجهة بالرغم من النوايا الشريرة التي يضمهرها العدو الصهيوني، مما يدفع الأمور إلى الانفجار العام في منطقة الشرق الأوسط .

ان هذا النوع من الأعمال التي

تقوم بها الحكومة الصهيونية وعلان الحرب الاقتصادية والتي من خلالها تسعى لتمرير أهداف سياسية لم تقتصر على منع وصول الامدادات الغذائية والطبية والغاز والمحروقات، بل شملت تدمير البنية التحتية في المصانع والمزارع الفلسطينية .

حيث أقدمت قوات الجيش الصهيوني وفي اطار هذه السياسة على تدمير مجمع لصناعة المعدات الكهربائية قرب معبر المنطار شرق مدينة غزة والحقت به خسائر فادحة تقدر بملايين الدولارات، وأن عملية التدمير هذه تأتي في اطار الحرب الاقتصادية وإلا ما المبرر لذلك حيث يعد المجمع الرابع من نوعه في اسرائيل والأراضي الفلسطينية، والذي ينتج الأعمدة الكهربائية والانارة وكافة



المستلزمات الكهربائية والمولدات لقطاع غزة والضفة الغربية، كما أن القوات الصهيونية عززت من تواجداتها في هذه المناطق بآليات مدرعة وجرارات عمدة من خلالها إلى تدمير آبار المياه وقلع الأشجار على جانبي الطريق، هذه القرارات وغيرها تعني أن العدو الاسرائيلي مصمم على تصعيد المواجهة وتوسيع نطاق الاعتداء والتي تتعدى القتل والارهاب بقوة السلاح إلى تدمير الاقتصاد واستخدام سلاح التجويع ضد أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم.

كل هذه الأساليب الاجرامية التي أتبعت مع أبناء فلسطين ومقاومته لها دعت الشعوب الإسلامية وكل الأحرار في العالم إلى مساندة ودعم مظلومية الشعب الفلسطيني من خلال

المساعدات والاجتماعات والنداءات، حيث شكلت لجنة لتقصي هذه الجرائم والمسبب لها والتحقيق فيها، ولكن واجهت عرقلة وصد لهذا الاجراء الدولي من قبل اسرائيل وواشنطن.

حيث يعتقد المراقبون السياسيون أن السلطة الصهيونية التي ترفض الاقرار بالمستجدات الفلسطينية والأقليمية التي أحدثتها انتفاضة الأقصى، تعكس رغبة هذه السلطة في استمرار الأزمة بين الفلسطينيين في ظل استمرار المصادمات بين الفلسطينيين والمستوطنين التي اطلقت العنان لعسكرها في القتل والتدمير تحت حماية ودعم الادارة الأميركية وصمت أوروبا والأمم المتحدة، كل هذا جعل الموقف العربي والإسلامي يتحرك نحو مساعدة

ودعم القوى الفلسطينية إلا أن هذا التحرك يحتاج إلى كثير من التفعيل والجدية بهذا الاتجاه وعدم الاكتفاء بالمبادرات الشخصية والفردية . فالموقف الجماعي في هذا الاتجاه تقتضيه ظروف المعركة التي حشد لها العدو الصهيوني كل طاقاته وامكاناته .

فالدعوة التي صدرت عن مؤتمر القمة الإسلامية التاسعة في الدوحة ووجهت إلى مجلس الأمن الدولي بتشكيل لجنة تحقيق دولية بالمذابح والمجازر التي يرتكبها الصهاينة بحق أبناء الشعب الفلسطيني وإن كانت هذه القرارات والنداءات لا تمثل مستوى الطموح الجماهيري في مختلف الدول العربية والإسلامية ولكن تحتاج إلى متابعة أكثر وضغوط عملية بشتى الوسائل على الدول الكبرى للموافقة على

مثل هذه القرارات الدولية ومحاكمة مجرمي الحرب .

والجمهورية الإسلامية في ايران وشعوراً منها بأهمية العمل بهذا الاتجاه حيث أكد الدكتور كمال خرازي وزير خارجيتها في كلمة ألقاها في افتتاح مؤتمر طهران حول تطورات الوضع في الشرق الأوسط قائلاً : ان الجرائم التي ترتكبها اسرائيل تلزم بوضع حد لها وتشكيل محكمة دولية للنظر فيها ... وارسال مراقبين دوليين لتجنب وقوع مجازر جديدة .

حيث أن المؤشرات تؤكد على ضرورة العمل بسرعة للحد من عنجهية الكيان الصهيوني من خلال حث المجتمع الدولي على ممارسة الضغوط على اسرائيل ومنعها من تنفيذ خططها التي تهدف إلى اشعال أزمة جديدة في المنطقة ... وقد أفادت معلومات

بأن اسرائيل أعدت خطة طوارئ جديدة والهدف منها احتلال جنوب لبنان من جديد في حالة تصعيد الانتفاضة ، وأوضح (آري بن مناشي) مستشار الشؤون الاستخباراتية السابق للحكومة الصهيونية : ان الهدف من الخطة ليس البقاء واحتلال جنوب لبنان وإنما قتل وأسرقادة حزب الله .

هذه المعلومات تدفعنا كمسلمين وعرب حكومات وشعوب إلى العمل من أجل وحدتنا وتكاتفنا سياسياً واقتصادياً لوقف الاعتداءات الصهيونية ومنع اسرائيل من توسيع نطاق الأزمة ودفع المجتمع الدولي للخروج من دائرة صمته المطبق الذي بقي متمسكاً به منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول، لتكون هذه الأعمال رداً على الاستفزازات الصهيونية .

## الانتفاضة عصا غليظة في دولا

### المكثمة الإسرائيلية

مصادر فلسطينية في الداخل أكدت أنه لا عودة إلى الوراء منذ الآن ، أي لا العودة إلى الوضع الذي كان سائداً قبل الانتفاضة وأنها تستمر حتى ولو على وضع أقل مستوى ، لأن استمرارها يجعل الجانب الفلسطيني في وضع أقوى . وأكدت هذه المصادر ان الانتفاضة قد تأخذ يوماً من الأيام طريقة رشق الحجارة، والتظاهرات في يوم آخر، واطلاق النار في يوم ثالث، وعمليات استشهادية في يوم رابع أي بمعنى ابقاء الاشتباك مع الصهاينة قائماً ومستمراً من أجل دفع العدو الصهيوني إلى الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في إقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع خالية من المستوطنات

وعاصمتها القدس الشريفة  
وتكون مفتوحة على مصر  
والأردن من دون حواجز  
صهيونية .

وقد توصل الجانب الفلسطيني  
إلى اقناع العالم من خلال  
التضحيات التي قدمها منذ بدء  
المواجهات مع العدو الصهيوني  
ولحد الآن، آلاف الجرحى وأكثر  
من ١٥٠ شهيداً . توصل إلى أن  
باراك وحكومته هما المسؤولان  
عن فشل المفاوضات . حيث بات  
الطرف الفلسطيني في موقع  
مهاجم مدعوماً بموقف عربي  
رسمي وشعبي فالتحرك الشعبي  
العربي والإسلامي الذي شمل  
معظم الدول العربية والإسلامية  
ولّد عامل ضغط على الولايات  
المتحدة من جانب ومن جانب  
آخر قيد حركة الحكام العرب  
بإتجاههم نحو المشاريع  
الاستسلامية المؤيدة للصهيونية

حيث اضطر أكثر من نظام عربي  
إلى تقديم الدعم والعون  
للانتفاضة مكرهاً . هذا الدعم  
وهذه الضغوط جعلت القيادة  
الصهيونية تصاب بالشلل الكامل  
في مركز القرار فالملفات الشائكة  
انفتحت دفعة واحدة مع الحكومة  
الصهيونية وبالأخص التسوية  
والانتفاضة ولا توجد حلول  
حقيقية لمعظمها خصوصاً بعد  
أن أختار باراك أسلوب المواجهة  
والصراع في الشارع لعله يحقق  
من خلال الضغط الميداني  
والعسكري ما عجز عن تحقيقه  
في كامب ديفيد . هذا العجز في  
التعامل مع التصعيد الفلسطيني  
دفع باراك إلى لعبة جديدة وخط  
الأوراق دفعة واحدة لعله يستفيد  
من مكانته السياسية في الشارع  
الصهيوني فبدأ يطلق التهديدات  
والانذارات وأحكم حصار على  
مناطق الحكم الذاتي واقفل كل

المعابر وكثف من استخدام الأسلحة الثقيلة في قمعه للانتفاضة ، وفتح الحوار مع «الليكود» من أجل تشكيل حكومة طوارئٍ يواجهه من خلالها الانتفاضة ، ولكن هذه الأوراق كلها أحرقتها حركة الشارع الفلسطيني ووضعت باراك مجدداً أمام خيارين إما الخضوع للشروط الفلسطينية التي تدعو إلى تنفيذ الاتفاقات وهذا يعني الانسحاب من الضفة الغربية والقطاع والقدس الشرقية ، وإما الذهاب باتجاه خيار الانتخابات المبكرة وهو كأس مر يتجنب باراك تجرعه . حيث أن أي انتخابات جديدة لن تعيده إلى السلطة . والمرشح للفوز فيها هو اليمين الصهيوني بزعامة شارون والتي اظهرت الاستطلاعات الأولية تفوقه على باراك . لقد واجه باراك بعد اندلاع

الانتفاضة أكثر من معضلة معقدة يقف أمامها مقيد اليدين وأبرز هذه المعضلات التي انتجتها الانتفاضة هي :

- ١ - حالة التوحد الفلسطيني في مواجهة العدوان الصهيوني حيث كان التنسيق بين مختلف القوى السياسية في الشارع الفلسطيني .
- ٢ - التحرك الشعبي العربي والإسلامي الذي حاصر الحكام المتمردين ودفع بعض الأنظمة التي كانت تطبّع مع العدو إلى إعادة حساباتها وقطع كل الصلات التجارية والسياحية .
- ٣ - الامكانية في خفض مستوى الدعم الأميركي للكيان الصهيوني بسبب خوف واشنطن على مصالحها الدولية وخصوصاً بعد استهداف قواتها المتواجدة في الخليج .
- ٤ - قضية الأسرى الصهاينة بيد حزب الله لبنان والفعاليات

الكبيرة التي يقوم بها حزب الله لدعم الانتفاضة .

وكل هذه التداعيات التي فرضتها الانتفاضة يجد باراك نفسه وحكومته وأي حكومة يهودية تشكل في المستقبل في مواجهة خيار وحيد في حالة استمرار رفض الاعتراف بالحقوق الفلسطينية وهو الخيار الذي ينسجم مع العقلية الصهيونية المجنونة والمفتونة بمنطق القوة العسكرية التي تملكها الحكومة الصهيونية والتي تعتمد على الدعم الغربي عموماً والأميركي خصوصاً . وهذا الخيار سيقود الصهاينة إلى تصعيد عدوانهم على الشعب الفلسطيني الأعزل الذي بات قادراً على احتواء كل أشكال العنف الصهيوني من خلال الانتفاضة وحدد أهدافه ضمن معادلة جديدة تزواج بين استمرار

الانتفاضة أو تلبية كامل شروط الشارع الفلسطيني في نيل حقوقهم المشروعة على أرضهم ووطنهم السليب .

\* \* \*

□ العراق :

**البغاف : مشكلة عالمية ، تداركها**

**قبل فوات الأوان**

**«العراق نموذجاً»**

في بداية الألفية الجديدة غنّت المنظمات الدولية وصقّقت الشعوب لها طويلاً ، وأقيمت الاحتفالات الواسعة وأطلقت الدعوات لإحلال السلام في ربوع العالم ، ونشر العدالة ، وإلغاء العنصرية ، ومكافحة الفقر ، والمساواة بين الشمال والجنوب ؛ ودعت الأمم المتحدة التي من المفترض بها أن ترعى العالم لكونها منظمة عالمية ، تعتمد

ميزانيتها على الدول الاعضاء ،  
تتوزع عليها حسب حصص  
مقررة ، دعت إلى وضع حدٍّ  
للحروب والنزاعات الدولية  
والأقليمية .

ولكن هل تكفي هذه الدعوات  
لوحدها من أجل وضع حدٍ  
للكوارث والمآسي التي تحيق  
بالبشرية من كل صوب ؟

ربما حققت الدول العظمى أحد  
أهم أهدافها في القرن العشرين  
بالسيطرة على منابع النفط بثتني  
الأشكال ، من الاستعمار المباشر  
إلى الوصاية والحماية وبسط  
الهيمنة ، وإلى وضع أنظمة موالية  
لا تستطيع أن تتصرف بمفردها ،  
وإذا كانت الأرض ثم النفط هما  
السببان الكامنان وراء نزاعات  
القرن الأخير من الألفية الثانية ؛  
فإن هناك عناصر أخرى ذات  
علاقة مباشرة هذه المرة بالفرد  
في إثارة النزاعات التي ربما ستقع

في المستقبل ، ولا نريد أن نتشاءم  
وسط الفرحة المفتعلة التي رافقت  
الدخول إلى عالم جديد في ظل  
ألفية جديدة ، لكنه واقع يفرض  
نفسه . ومن الغريب أن الأنظار  
ربما انصرفت عنه بعض الزمن ،  
رغم معالجته إعلامياً وصحفياً ،  
والتحذير منه منذ عقود .. إنه واقع  
المياه وندرتها ، والمشكلات التي  
من الممكن أن تتولد جراء قلتها  
في أكثر من بقعة جغرافية ، وقيل  
في حينها إن الحروب المقبلة  
ستكون بسببها ، وهذا ممكن ، لأن  
النفط قد يلامس الحياة البشرية  
في بعض مكوناتها ، في حين  
تتوقف حياة الإنسان على الماء ،  
وشتان بين هاتين المادتين ، بين  
أن تكون احدهما عنصراً مهماً  
في حركته في الحياة وبين أن  
تشكل الأخرى جزءاً لا يتجزأ من  
حياته .

ولعل العراق هو النموذج

الأفضل الذي يمكن أن نستعين به هنا ، لكون أرضه كانت تطعم في السابق أكثر من أربعين مليون شخص ، وفيه نهران كبيران يمتدان من الشمال إلى الجنوب طولاً ، ويسقيان الحرث والنسل على جانبيهما لمسافة كبيرة ، ويبقيان على خصوبة الأرض والإنسان معاً لأزمة طويلة ، لكن هذا الواقع الأخضر لا يمكن أن يستمر بطول عمر الإنسان خاصة إذا كان يعتمد في بعض تكويناته على الإنسان نفسه ، بمعنى أن تدخل الإنسان في العطاء والتوزيع يُفسد الأمر ما لم ينطلق من العدالة . ومعروف أن الأنانية هي محور العلاقات البشرية والحاكمة في عالم اليوم .

نعود للعراق ونقول : إن المياه التي تغدق عليه لها مصدران : الأمطار والرافدان ، وإذا كانت العوامل الجوية والجغرافية

إضافة إلى علاقة الفرد بربه هي التي تتحكم في المصدر الأول ؛ فإن الثاني تتحكم به دولة أخرى أو أكثر من دولة ، تريد هي الأخرى أن تستثمر المياه التي تنبع من أراضيها لصالحها في السقي وفي توليد الطاقة وفي الشرب وفي أي مشروع آخر يمكن أن يدخل الماء في تنفيذه .

وإضافة للجانب الاقتصادي ثمة بُعد سياسي يتدخل في مثل هذه المشكلة ، إذ أن الصراع في منطقة الشرق الأوسط المتأزمة أصلاً منذ أكثر من نصف قرن ؛ يأخذ أشكالاً متعددة . ويحاول كل طرف استخدام أي أسلوب من أجل الضغط واستحصال التنازلات من الآخر ، فإذا أساء العرب استخدام النفط في معركتهم المصيرية ؛ فإن العدو ربما سيحسن استخدام سلاح الماء في توجيه ضربة إلى



الخصم ، فلا نستبعد إذا سمعنا أن الكيان الصهيوني حصل على موطئ قدم في هذه المعركة التي ستكون مزمنة ، ووقع على عقود لبناء ستة سدود في منطقة الأناضول بتركيا التي تمسك بكلتا يديها بعصب المياء السوري والعراقي معاً .

كما لا نستبعد من تركيا نفسها من أن تستخدم هذا السلاح لكسب معاركها الأخرى مع العراق فيما يتعلق بالأكراد ، أو حتى الأرض ، حيث لها مطامع قديمة في شمال العراق ، تمتد إلى مدينة الموصل ، رغم أنها تدّعي بأن مشاريع المياه التي تقيمها هي اقتصادية بحتة ، ولا علاقة للسياسة بها . ولكن مجرد ادعاء لا تدعمه الحقائق ، بل إنما العكس هو الصحيح .

وفي هذا الصدد يقول وزير الخارجية العراقي الأسبق عدنان

الباجه جي : «عندما اجتمع الحلفاء من أجل اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣م ؛ بحثوا موضوع الأنهر وتقسيم مياهها على أساس أن يتم بموجب الاتفاق بين الأطراف ذات العلاقة ، وبين القانون الدولي والعرف الجاري ، واحترام الحقوق المكتسبة . وجرى التأكيد على هذا الأمر في معاهدة الصداقة بين العراق وتركيا عام ١٩٤٦م ، واستمرت علاقات العراق مع تركيا جيدة خصوصاً بعد الوقوف إلى جانبها في ما يتعلق بقبرص ، كان هذا في زمن الرئيس عبدالسلام عارف أواسط الستينات ؛ أنا كنت عبئذ في الأمم المتحدة وتكلمت ووقفت بجانب تركيا .. دعوني لزيارة تركيا عام ١٩٦٦م واحتفوا بي كثيراً .. كان احسان صبري وزيراً للخارجية التركية .. انتهزت الفرصة وأثرت الموضوع معه

...الخ».

إذا لعبت قبرص والموقف العراقي منها حينذاك دوراً في قضية مياه دجلة والفرات ، رغم أن العلاقة المنطقية بينهما تكاد تكون معدومة ، لكنها السياسة هي التي أوجدت هذه العلاقة ، وباستطاعتها أن تربط أية قضية أخرى بالمياه ، وتؤسس لعلاقات جديدة لاستحصال تنازلات أو مواقف جديدة لا تخدم في كل الأحوال شعوب المنطقة ، لأنها ورقة خاسرة سرعان ما تفقد قيمتها حينما تنتفي الحاجة إلى الموقف .

فتركيا نفسها حينما لم تجد حاجة إلى موقف ازاء قبرص بعد أن مضت عليها أعوام طوال ؛ باشرت بإنشاء مشاريع في غاية الخطورة على منابع الأنهر المتجهة إلى سوريا والعراق ، فقد أقامت سبعة سدود على الفرات ،

أحدها مشروع (GAP) الذي يتضمن أربعة عشر سداً إذا اكتملت فستأخذ تركيا (١٨/٥) مليار متر مكعب من المياه ولن يبقى سوى (١٥) مليار متر مكعب يقسم بين العراق وسوريا بنسبة ٥٢٪ للعراق و ٤٨٪ لسورية ، وهكذا بالنسبة لنهر دجلة حيث أقامت عليه سلطات أنقرة حتى الآن ثلاثة سدود ، وإذا نفذت سد (اليسو) ومشروع (سيزار) فتسأخذ تركيا (١٧/٥) مليار متر مكعب ، ولا تترك للعراق غير (٣/٧) مليار متر مكعب أي أن المياه ستجري في قعر النهر في العراق إذا علمنا أن مجراه يستوعب (٢١) مليون متر مكعب ، وهذا هو الجفاف بعينه .

يضاف إلى العامل الاقليمي في مشكلة المياه في العراق ، عامل محلي يعتمد أيضاً على الجانب السياسي وتحديداً على النظام

السياسي الحاكم الذي لا يهـمه أن يضحى بكل ما في العراق من خيرات في صراعه من أجل البقاء في السلطة ، وما مشروع تجفيف الأهوار إلا واحدة من تلك المحاولات التي ارغمت مئات العوائل العراقية على ترك مناطق سكنى الآباء والأجداد ، فالنظام لا يختلف عن غيره في استخدام ورقة الماء سياسياً وعسكرياً واعلامياً سواء مع الشعب العراقي أو مع الدول المجاورة كسوريا وتركيا ، ولكن الذي لا غبار عليه أن أياً من الاستخدامات التي ذكرنا لا تصبّ في مصلحة الشعب ؛ بل تلحق به أكبر الأضرار ، هذا على صعيد المناورة التي يجريها النظام في تعامله مع هذه الورقة ، أمّا على الصعيد الواقع المعاشي الذي يُخلفه الجفاف فإننا يمكن أن نشير إليه بشكل سريع على

مستويين :

الأول : تأثيره على التربة ، حيث يؤثر بشكل مباشر إذا طالت مدته وتتحول الأراضي الزراعية الخصبة إلى بور وقد يتعسر اصلاحها ، ذلك أنه يقلّل المواد الغذائية الموجودة في سطح التربة ويزيد من تآكل التربة ويخفّض مستوى قابليتها على نقل المواد الغذائية ، ويحطم هيكلها وبنيتها الأساسية ونسيجها .

الثاني : تأثيره على الإنسان نفسه حيث يخلف الجفاف الكثير من الأمراض ، ومنها التسمم الغذائي والكوليرا والزحار البكتيري والتيفوئيد والإسهال المؤدي إلى الوفاة ، والتهاب الكبد الفيروسي ، والزحار الأميبي والأوكياس المائية والديدان الشريطية ، وغيرها من الأمراض والأوبئة التي تؤدّي بحياة الفرد .

مشكلة المياه وأزمة الجفاف إذاً لا يمكن أن يُستهان بها ، فليست أقل من مشكلة النفط التي أثارت من حرب في القرن الماضي ، ولابد من وضع آليات لمعالجتها قبل أن تنشب الحروب بسببها ، خاصة وأن هناك من البلدان المائية من يعتقد بأنه لا بد أن يبيع الماء بالسعر الذي يشتري به النفط ! .

\* \* \*

#### □ أفغانستان

#### الحرب والمجاعة تهدد حياة الملايين

إن الوضع الراهن في أفغانستان يستمثل في حرب مستمرة وانتهاكات متواصلة لحقوق الإنسان ، التشريد والنزوح والجوع يفتك بهذا الشعب المظلوم الذي يعاني من

عنف ودموية الطالبان وضراوة الجفاف وقساوة الحرب والدمار الهائل الذي ألحقته وزراعة المخدرات باقتصاديات هذا البلد . إن كل شيء لا يهم الطالبان لأنها تنصرف كمليشيات عسكرية تنظر لأموال البلد من خلال فوهة البنادق . لذا فإنها لا تفرض على نفسها التزامات ومسؤوليات تجاه هذا الشعب المغلوب على أمره . فليس غريباً أن لا تهتم بتطلعاته وهمومه وآلامه ، وليس غريباً أن تتجاهل كل الدعوات الدولية لإنهاء الحرب وتعمير البلاد ، وكذلك ليس غريباً أن تستجيب لدعوات منع زراعة المخدرات لأن عائداتها الضخمة من زراعة الخشخاش هي الممول الأساس لماكنتها الحربية .

في هذا البلد تتفاقم المعاناة الإنسانية التي يزرع تحت وطئتها

الشعب الأفغاني من جراء استمرار المعارك العسكرية بين حركة الطالبان وقوات الجبهة الإسلامية لانقاذ افغانستان وكذلك من جراء الجفاف الذي ضرب مناطق واسعة من هذا البلد للعام الثاني على التوالي حيث تدفق آلاف اللاجئين على الحدود الباكستانية فمنهم من شردهته المعارك في المناطق الشمالية ومنهم من تلفت مزارعته وهلك مواشيه نتيجة الجفاف القاسي .

واليوم في أفغانستان أكثر من مليون مشرد داخل بلادهم ناهيك عن وجود الملايين منهم في الدول المجاورة ، وأمام موجة النزوح هذه اعلنت الباكستان عن غلق حدودها بوجه اللاجئين الجدد ، ومن المعروف بأن انتقال الأفغان من وإلى باكستان ظلّ بدون ضوابط رسمية حتى وقت

قريب ، عندما طلبت باكستان من طالبان تزويد كل أفغاني يروم العودة إلى باكستان بأوراق سفر سارية المفعول ، غير أن هذه المطالبة ذهبت أدراج الرياح مع تزايد حدة المعارك والمعاناة وغياب أي خطط للطالبان في معالجة الأوضاع الخطيرة لقد أصبح مؤكداً أن هناك مصالح اقليمية دفعت الحكومة الباكستانية لدعم الطالبان والاتفاق معها على ادامة الحرب وعدم الركون إلى الحوار مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بل وزودتها بكل ما تحتاجه من اسلحة واعتدة وحتى بالجنود النظاميين الذين شاركوا في المعارك ضد قوات الجبهة الإسلامية .

ومن الجدير ذكره أن ثلاث دول فقط تعترف بحكومة الطالبان هي باكستان والسعودية

والامارات العربية المتحدة .. وقد ناورت الطالبان لكسب مقعد أفغانستان في المنظمة الدولية ولكن المحاولات باءت بالفشل حيث اسند المقعد مجدداً لحكومة رباني .

ومما يؤسف إليه أن الحكومة الباكستانية تواصل لعب هذا الدور مع حركة الطالبان رغم كل الضغوط الدولية والاقليمية وقد كشف عن ذلك الجنرال مشرف الحاكم التنفيذي لباكستان عندما زار كازاخستان لاقناع الرئيس الكازاخي بالاعتراف بحركة الطالبان في الوقت الذي أصبحت هذه الحركة تهدد جمهوريات آسيا الوسطى نتيجة تدخلاتها المستمرة في شؤون تلك البلدان ودعمها للحركات التي تتبنى منهجها السياسي العسكري المتطرف ، حتى أن روسيا اعلنت عن انزعاجها الشديد من تدخلات

الطالبان في هذه الجمهوريات وخاصة بعد المعارك التي دارت في شمال أفغانستان والتي أدت إلى سقوط عدة صواريخ في الأراضي الطاجيكية ، وعلى العموم فإن جمهوريات آسيا الوسطى ترى في حركة الطالبان خطراً داهماً على أمنها واستقرارها لذلك عمدت إلى زيادة التنسيق الأمني والعسكري وتقديم الدعم لقوات الجبهة الإسلامية رداً على تهديد الطالبان. بالإضافة إلى ذلك ترى روسيا أن الكرملين مسؤول عن أمن واستقرار تلك الجمهوريات ، وكذلك وجدت في الاستياء الأميركي من حركة الطالبان فرعون لها في توجيه تهديدات قوية بما فيها استخدام القوة العسكرية ضد طالبان . هذه الأمور أصبحت لها انعكاسات مباشرة على ميدان المعركة ،

## □ الجزائر

### تصاعد موبمة أعمال العنف

#### من جديد

المجازر البشعة التي عادت إلى واجهة الأحداث في الجزائر، أخذت تزيد من مخاوف عودة الحرب الداخلية إلى هذا البلد الإسلامي واستمرار نزيف الدم فيه، وفشل مشروع الوئام المدني الذي بدأه الرئيس الحالي عبدالعزيز بوتفليقة منذ توليه السلطة وعودة آلاف المسلمين من الجبال إلى حياتهم الطبيعية. في الربع الأخير من السنة الحالية (٢٠٠٠م) تسارعت الأحداث بمزيد من المجازر الدموية والتي كان من أبرزها اعدام مجموعة مسلحة على قتل ١٦ تلميذ وناظرهم في مكان لنوم هؤلاء الطلبة، واطلاق النار على حافلة ومقتل ١٥ راكباً، وذبح عائلة مكونة من ثمانية أفراد

حيث استعاد جبهة الانقاذ الإسلامي مناطق من الأراضي التي استولت عليها الطالبان كما وجدت جبهة الانقاذ الإسلامي في هذا الموقف الدولي والاقليمي خير داعم لها لحسم المعركة لصالحها.

على أن الحرب الدائرة في أفغانستان لا يجني منها الشعب الأفغاني المظلوم سوى الدمار للحرث والنسل وهدر الحقوق وتعميق الجراحات النازفة بين أبناء هذا البلد المحطم وزيادة الظلم والجور على أبناءه المستضعفين، والطريق الأسلم لحفظ ما تبقى هو طريق المفاوضات التي تحفظ حقوق وكرامة هذا الشعب المضطهد الذي لم تبق له الحرب شيئاً يقوم به أبسط مرافق حياته الإنسانية الكريمة.

\* \* \*

بالقرب من العاصمة ، إلى كثير من الأحداث التي اتسمت بالقسوة والبشاعة في طريقة القتل ويبدو أن الهدف منها زرع الرعب في نفوس المدنيين .

واثر هذه الموجة من العنف بدأت تظهر تساؤلات عديدة حول قدرة الرئيس على تحقيق المصالحة ، خاصة وان الرؤساء الذين تعاقبوا على الرئاسة في الجزائر منذ اندلاع الحرب والأزمة الداخلية عام ١٩٩٢م تحدثوا عن المصالحة ولكن لم تحقق الوفاق المطروح والمنشود ، وكما أن هناك سؤال آخر حول امكان استيعاب الحركات أو الجماعات المسلحة واحزاب المعارضة وبقية الخطوط إلى ايقاف تدفق حالة الاقتتال في هذا البلد المسلم؟ المتتبع لشؤون هذا البلد يرى ويعتقد أن وقف الأعمال البشعة في بعض مساراتها منوط

بالرئيس الجزائري بوتفليقة والحكومة بشكل عام والتي يتطلب منها اشباع الحاجات الأساسية للمواطنين والتي تكفل له الحياة الحرة الكريمة وذلك بالحد من البطالة و ايقاف الهجرة إلى المناطق الشمالية .. وهذه الحالة الآنفة الذكر تحتاج إلى خطة تنموية هدفها الأساس المساواة بين المواطنين والعمل على انجازها .

وأما الشيء الآخر المنوط بالرئيس والحكومة هو العمل على تنشيط وفاعلية القيم الإسلامية وأن يكون البلد غير مضغوط عليه من جهة خارجية أي برعاية فرنسية وأن تكون شرعية الحكم في البلد على أسس عربية وإسلامية ، والأهم في هذا الأساس هو القيم الإسلامية وأحياءها والذي ينعش آمال كبيرة في حياة أبناء الشعب



الجزائري في ظل وجود نظام سياسي عادل .. وأما الشيء المهم هو إيقاف صراع المصالح بين النخب الحاكمة في الجزائر لوقف اندفاع بعض الجماعات المسلحة نحو المجهول وبالتالي استمرار ظاهرة العنف في البلاد . وهذه المسارات والطرق إذا طبقت في حيز الواقع كفيلة بحل الأزمة ولو بعض الشيء وصولاً لإنهاءها .

ومن الجدير ذكره أن هناك عدة عوامل وأسباب واجهت الرئيس الحالي وإدارته مما أدت إلى فشله في تطبيق مشاريعه المعلنة ، منها اخفاقه وحكومته في إعادة بناء جسور الثقة داخل المجتمع من جهة وبين المجتمع والسلطة من جهة أخرى فضلاً عن عدم رغبة الجيش في ذلك وهو مؤسسة يحكمها التجاذب بين عنصرين، العنصر العربي الإسلامي المتوجه إلى الشرق

وعنصر المغتربين المنتسبين للثقافة الفرنسية وهؤلاء هم جوهر الجيش والذين أبدوا عدم رغبتهم في التفاعل مع المشروع الذي طرحه الرئيس بوتفليقة من أجل احلال الوفاق الوطني . وسبب آخر هو العلاقات الجزائرية الفرنسية وما يقال عنها.

بالرغم من استقلال الجزائر وتأکید الرؤساء السابقين والجدد وكل القادة الجزائريين على عدم التدخل بالشؤون الداخلية للجزائر، إلا أن هناك لفرنسا صوتاً مسموعاً في الأوساط الجزائرية مما يؤدي إلى إثارة حفيظة بعض الأوساط الاجتماعية والقيام بردود فعل اتجاه ذلك . أضف إلى ذلك تخلي بعض الدول العربية في مساندة ومساعدة الجزائر بتخطي أزمتها الحالية . كل ذلك يؤدي إلى فشل

الرئيس في تحقيق الوثام والوفاق الوطني في البلاد .. هذه الأسباب التي أدت إلى فشل الحكومة في حل الأزمة لهذا البلد ، ولكن هناك سبب رئيسي ومهم جداً وهو الصراع داخل أروقة الحكم والذي يعد من عوامل الأزمة الأساسية والرئيسية ، حيث أن دوائر السلطة التي لم تعد ترى في الرئيس بوتفليقة ممثلاً للاجماع كما روجت له من قبل وأصبح حديث الشارع الجزائري والصالونات السياسية لتي تخشى أن تعود البلاد إلى نفق مظلم والتي تعمل للخروج منه .

الجيش من جانبه يرى ويشعر بأنه حرم من مقعد الرئاسة عند وفاة الرئيس هواري بومدين قبل أكثر من عشرين عاماً ثم تولي الرئيس الحالي مهام الحكومة الذي جعل من المؤسسة العسكرية في حالة مواجهة

مستمرة معه حيث وجه عدة اتهامات إلى هذه المؤسسة وقال أنها تعرقل تأسيس أول حكومة له وسمّى قادة الجيش بالماфия وطالب الشعب بالتغيير .

توتر العلاقات بين الرئيس بوتفليقة وقادة الأجهزة الأمنية دفع البعض إلى الاعتقاد أن ظاهرة العنف الحالية التي تجتاح البلاد مصدرها بما يكون من تهاون الأجهزة العسكرية والأمنية في حماية المواطن أو وجود مجاميع خاصة وسرية تخضع لاشراف بعض القادة من المؤسسة العسكرية والأمنية التي تحاول إثارة البلبال في داخل البلد والهدف منها التضيق على حكومة بوتفليقة واسقاطها أو إجبارها على الاستقالة ؛ الذي يحصل في الجزائر ناتج عن عمق الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد ، حيث أن

الجزائر بحاجة إلى مشروع بديل يعتمد على فكرة الثورة من داخل الثورة وابعاد كافة العناصر التي تحاول خلق الأزمات وخلط الأوراق واثارة الفتنة الداخلية .. العودة إلى القيم الإسلامية وقطع دابر التبعية إلى الغرب والاعتماد على الكفاءات الوطنية واجراء اصلاحات اقتصادية سريعة والقيام بتوعية ثقافية اجتماعية واسعة، وتعزيز الثقة واعادتها إلى الجبهة الإسلامية واطلاق سراح قادتها المعتقلين وكل هذه الأمور كفيلة باعادة الجزائر إلى وضعها الطبيعي والعيش بسلام ووثام .

\* \* \*

#### ⊞ البحرين

**قمة مجلس التعاون الخليجي**

**بين السلب والايجاب**

قبل أشهر وفي العاصمة

البحرينية المنامة عقدت القمة الحادية والعشرين لقادة دول مجلس التعاون الخليجي والتي تمخضت عن اصدار البيان الختامي الذي تطرق إلى القضايا الاقتصادية والدفاعية والسياسية.

ان القمة ركزت بشكل أساسي على بحث القضايا الاقتصادية المشتركة بين دول المجلس أمثال الاتفاق على خطوات لاصدار عملة موحدة في اطار برنامج واسع لتعزيز السياسات الاقتصادية والنقدية المشتركة أو من أمثال خفض التعرفة الكمركية واتاحة حرية العمل والانتقال للمواطنين في اطار دول المجلس ، إلا أن الموافقة النهائية لم تتم المصادقة عليه دستورياً من قبل كل دولة .

وفي القمة أيضاً جرى التوقيع على اتفاقية دفاع مشترك ويعتقد

المراقبون ان هذه الاتفاقية ستكون امتداداً لاتفاقية قوات (درع الجزيرة) إلا أن هذه الاتفاقية سوّقت على أنها ستقلل من تواجد القوات الأجنبية في منطقة الخليج ، ولكن هذه المشكلة تبقى غير محلولة وذلك لتواجد القوات الأجنبية وقواعدها في العديد من بلدان مجلس التعاون وبالتالي فان معضلة (الأمن المستورد) ستظل تضغط على الأمن والاستقرار في المنطقة .

أما في الجانب السياسي فقد ناقشت القمة ثلاثة قضايا هي الموقف من العراق والأوضاع في فلسطين المحتلة وقضية الجزر الثلاث التي اثارتها الامارات العربية كما تفعل كل مرة.

بالنسبة للعراق فقد طرأ تغير طفيف على موقف دول مجلس التعاون ، فالبيان الختامي لم يشير إلى مسألة غزو الكويت من قبل

النظام العراقي وعدوانيته كما حصل في القمم السابقة بل أشار إلى ما أسماه (بالحالة بين الكويت والعراق ونتائج احتلاله للكويت) وهذا التعبير مماثلاً للذي اعتمدته القمة الإسلامية التاسعة والتي عقدت في الدوحة في تشرين الثاني الماضي، وكذلك دعا البيان الختامي للقمة (٢١) العراق إلى الالتزام وتنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بالتعاون مع لجنة الصليب الأحمر الدولية للافراج عن الأسرى الكويتيين وغيرهم من الرعايا الأجانب ، وكما دعا البيان العراق إلى إعادة تعاونه مع الأمم المتحدة لإنهاء المسائل العالقة بأسلحة الدمار الشامل .

وازاء هذا الموقف صدر من قبل العراق ردود فعل غاضبة هاجمت بها القمة ومجلس التعاون على حد سواء ، واصفة إياهم بأنهم مجلس بدائي ، أما

بالنسبة للأوضاع في فلسطين المحتلة لم تخرج القمة عما هو معهود لمواقف الدول العربية سوى أنها دعت المجتمع الدولي إلى بذل المزيد من الجهود للضغط على الجانب الصهيوني ومطالبته بالأسس والمبادئ التي أقرها مؤتمر مدريد للسلام، وكما أدان البيان الختامي الاعتداءات الصهيونية الوحشية ضد أبناء فلسطين وطالب بتوفير حماية دولية لهم. لكن القمة لم تتطرق إلى دعم مادي لانتفاضة الأقصى وبرر بعض المسؤولين الخليجيين ذلك بالقول ان الدعم موجود على الصعيدين الرسمي والشعبي ولا يستبعد هذا الموقف من وجود ضغوط أميركية موجهة في هذا المجال.

وتطرق البيان الختامي إلى قضية مهمة جداً أثارت استغراب المراقبين السياسيين من تكرار

المزاعم الاماراتية حول الجزر الثلاث ومرد هذا الاستغراب ان البيان الختامي تضمن تصعيداً واضحاً وانحيازاً فاضحاً على عكس ما يردده المسؤولون الخليجيون أثناء لقاءاتهم مع المسؤولين في الجمهورية الإسلامية. وهذا ما يؤكد بأن هناك نوايا مبيتة وراء هذا الموقف يراد منها تصعيد التوتر في المنطقة. وهذا لن يخدم سوى الكيان الصهيوني وحليفته الولايات المتحدة الأميركية. ففي الوقت الذي يلتف فيه العالمين الإسلامي والعربي حول القضية الفلسطينية وتتواصل الجهود لدعم صمود الشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة في مواجهة العدوان الهمجى تتخذ قمة مجلس التعاون الخليجي موقفاً مرفوضاً وغير مسؤول ضد الجمهورية الإسلامية. حيث أكد المتحدث

باسم الخارجية الإسلامية بأن بيان القمة لا يستند إلى الواقع ويفتقر إلى روح التعاون والتفاهم مؤكداً أن المحادثات الثنائية ، دون تدخل أطراف أخرى ، هي السبيل الوحيد لحل سوء الفهم بين ايران والامارات مضيفاً بأن ايران مستعدة للدخول في مفاوضات غير مشروطة طبقاً لمذكرة عام ١٩٧١م ورسالة الشيخ زايد بن سلطان المؤرخة في نيسان عام ١٩٩١م .

ومن المعروف بأن الجمهورية الإسلامية دعت باستمرار دولة الامارات إلى اجراء حوار مباشر حول هذا الموضوع لكن دولة الامارات كانت تفرّض محاولة وضع شروط مسبقة على هذا الحوار ، وهذا أيضاً ما ترفضه الجمهورية الإسلامية حيث أنها ليست في معرض تنازل عن شبر واحد من

أراضيها ، وقد أكدت دوماً على ذلك وقالت أن هناك فرقاً بين ازالة سوء الفهم وهو أمر ممكن من خلال الحوار المباشر وبين تمسكها بالسيادة الكاملة للتراب الايراني ومن ضمنه الجزر الثلاث وهو حق مشروع وتاريخي وغير قابل للتفاوض ، وان من المؤسف حقاً أن تنجر دول مجلس التعاون الخليجي إلى هذا الموقف المرفوض والذي يعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية وكان من المفروض أن تدعو الامارات إلى تقويم الأمور تقويماً صحيحاً وتركز إلى طاولة الحوار وأن لا تتبنى مزاعمها التي لا تستند إلى دليل قانوني وتاريخي وبالتالي فإن هذا الموقف يؤدي إلى زيادة التوتر وعدم الثقة بين دول المنطقة . حيث أن الجمهورية الإسلامية في ايران راغبة في تعزيز أواصر التعاون والصداقة

بين دول الحوار وإزالة التوتر مع جيرانها عن طريق التفاهم والحوار الذي تعتبره الطريق الأمثل لحل كل القضايا والمشاكل العالقة في هذا المجال ، وفي الختام كشفت قمة دول مجلس التعاون عن رغبة هذه الدول بالمضي قدماً نحو التقارب في العديد من الأصعدة ، وهو أمر ايجابي ، ولكن البعض تحرك لضرب روح التعاون لتحقيق مكاسب آنية ضيقة هي في واقع الحال خسارة في الحسابات السياسية لكلا الطرفين .

\* \* \*

#### تركيا

**انتهاكات صارخة لمقوق الإنسان**  
تظل قضايا حقوق الإنسان من أبرز القضايا المطروحة على الساحة الداخلية والخارجية

لتركيا حيث تصاعدت في الفترة الأخيرة حدة هذه القضايا بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ تركيا التي تغنت بالتقدم والرقى والمساواة والحرية !

اتهمت تركيا العلمانية الدين الإسلامي بالرجعية وهدر حقوق الإنسان وبالأخص المرأة متناسين بذلك الأحداث التي مرت بها تركيا في الآونة الأخيرة وما تعرض له المجتمع الإسلامي التركي من اضطهاد وانتهاك لأبسط حقوق الإنسان، حيث تقدمت مجموعة من أهالي السجناء والمعتقلين بشكاوى للنائب العام تتهم فيه إدارة السجون بتعذيب ذويهم داخل الزنانات ، حيث صرحت المادة الخامسة من قانون حقوق الإنسان العالمي والموقعة عليه تركيا : لا يُعرض أيّ إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو

المعاملات السيئة والقاسية أو الحط من الكرامة ..

بولند أجويد رئيس الحكومة التركية أقر بوجود مثل هذه الحالات وعبر عن أسفه لسماعه مثل هذه التجاوزات والتي دافع عنها وزير العدل التركي بقوله : أنها تتوافق مع القانون - يقصد بذلك قانون مكافحة الإرهاب - .

حيث هناك مجموعة من الشواهد التي تنقل لنا انتهاكاً لحقوق الإنسان في هذا البلد الذي يدعي الحرية والتقدم ، ومن هذه الشواهد تعامل الشرطة والأمن التركي مع المتظاهرين ، المطالبين بإلغاء القانون الجديد للسجون المعارض مع أبسط قوانين حقوق الإنسان ، بشكل دموي وعنيف بحجة أن هذه التظاهرات تنظمها التنظيمات اليسارية المحظورة ، حيث لم تراعي الشرطة ، في مسألة تفريق

المتظاهرين أحداً من الرجال والنساء ، حيث ضربت السيدات في الشوارع وأمام مؤسسات الوكالات الأخبارية العالمية . فأين هي حقوق المرأة التي تتحدث عنها العلمانية التركية ؟

ومن خلال مطالعة الواقع التركي يقع الإنسان في حيرة ودهشة أمام تلك التجاوزات اليومية ضد الإنسان ويكشف زيف وادعاءات وشعارات الحكومة التي ليس لها من الواقع شيء ، حيث تغتصب علناً حقوق المرأة في التعليم والزواج والعمل والحرية الشخصية ، وهل هذا يتناسب مع ما ورد في المادة الثالثة لإعلان حقوق الإنسان ؟ حيث جاء في هذه المادة : « لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه » وهل منع الفتيات المحجبات من حق التعليم والعمل يتناسب مع ادعاءات



العلمانيون حول حقوق المرأة ؟ وهل اسقاط العضوية البرلمانية عن مواطنة كردية وهي منتخبة بإرادة شعبية وادخالها السجن بسبب تكلمها الكردية يتناسب ودعواهم عن حقوق المرأة ؟ أليس كلّ ذلك يتناقض مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م والذي وقعت عليه تركيا ؟ والتي جاء فيها : «لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون تمييز ، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين ... الخ».

إن حقوق المرأة التي يذكرها العلمانيون في أحاديثهم وخطبهم وحملااتهم لجمع أصوات الناخبين للجلوس على مقاعد السلطة والحكم ليس إلا دعوات فارغة ليس لها من المصادقية

شيء على أرض الواقع .

هذه صورة بسيطة جداً للواقع الذي تفرضه الحكومة العلمانية على أبناء الشعب التركي المسلم في مجال حقوق الإنسان والذي لم يرتكبه حزب إسلامي أو أيّ كتلة إسلامية في الحكومات التركية بل هو من صناعة الأحزاب العلمانية اللادينية والتي تصف الإسلام بالرجعية وعدم احترامه لحقوق الإنسان . والمثير للعجب أيضاً أن الحكومة التركية عبّرت عن إنزعاجها من تصريحات المندوب الأوروبي لحقوق الإنسان والذي قال فيه : إن تركيا لم تفعل شيئاً يؤهلها لدخول الاتحاد الأوروبي رغم مرور سنة على قبول ترشيحها .

فهل تتراجع الحكومة التركية عن تطرفها وتشددتها فيما يتعلق بتجاوزات حقوق الإنسان المسلم؟ أم أنها تسعى لإثبات

وفائها للعلمانية الغربية لتفتح  
أبواب الدخول للاتحاد الأوروبي ؟  
هذا سؤال مطروح والأيام  
المقبلة سوف تكشف عن النوايا .

\* \* \*

#### □ البوسنة

##### التنصير في عقر دارنا

عاش الشعب البوسني خلال  
العقد الماضي أحلك سنّي حياته  
حينما كان عليه أن يقاتل على  
أكثر من جبهة ، وأن يصمد على  
أكثر من محور ، وإذا كانت الحرب  
البوسنية التي أتت على الأخضر  
واليابس بسبب قسوة الصرب  
ودمرت الكثير من معالم هذا  
الشعب وقتلت رجاله وأطفاله ولم  
ترحم نسائه ، قد انتهت عملياً بعد  
أن وافق هذا الشعب على مضض  
على سلام لم يحقق له حياته  
الكريمة التي كان يطمح بها ، فإن

حروب أخرى مازالت تدور من  
حوله بشكل خفي هذه المرة  
لتسلب منه ما لم تستطع أخذة  
بقوة السلاح في الحرب .

السلام الشكلي الذي جرى  
تحقيقه هناك كان ورائه ثمن ، ذلك  
أن الحرب برّزت الشعب البوسني  
كشعب مسلم ، وإنها جعلته يفكر  
بهويته التي أضاعها في متاهات  
«يوغسلافيا جوزيف بروز تيتو» ،  
ويجد في استعادة معالمه  
الإسلامية التي تفككت في ظل  
الهيمنة الشيوعية ، رغم أنها  
«الحرب» جعلته يدفع ثمناً غالياً  
من دمه وعرضه .

ففي ظل هذا السلام الذي جاء  
بعد سنتين أو أكثر من الدمار  
والقصف ، وجدت البعثات  
التنصيرية الأجواء المناسبة لكي  
تقتحم هذا المجتمع تحت واجهات  
إنسانية وتعيده إلى الحظيرة  
الغربية ، فانتشرت مراكز ما

تسمى بالإغاثة وتعليم اللغة الانجليزية والحاسب الآلي واستغلت المناسبات المسيحية وعلى رأسها احتفالات رأس السنة الميلادية لتكريس الحالة النصرانية في نفوس البوسنيين ؛ ولم يترك الأمر فقط لمجموعة من المؤسسات ، وإنما تدخلت أطراف دولية عديدة من أجل توجيه ضربة قاضية لا تقوم للشعب البوسني بعدها قائمة ، فقد شاركت القوات الدولية المتمركزة في البوسنة بأنشطة تنصيرية ، وأقصيت المساجد من مخصصات الأمم المتحدة لإعادة الأعمار بينما عكفت قوات «اسفور» على بناء كنيسة كبيرة في ضاحية ساراييفو الجديدة علماً أن المساجد كانت هدفاً حيويًا للصرب أثناء الحرب - وعلى سبيل المثال - تمت تسوية (٢١) مسجداً بالأرض في بيهاتش

خلال يوم واحد ، وقام الكروات بنسف (٦) مساجد في كسلياك في ليلة واحدة ، وأصبح مجموع ما تم تدميره في البوسنة (١٤٠٠) جامع ومسجد ، وفي السابع من مايو أحيا المسلمون هناك الذكرى السابعة لهدم جامع «الفرهدية» في بينالوكا ، وهو اليوم الذي تم فيه تدمير ٢٩٠ جامعاً في آن واحد سويت جميعها بالأرض !!

الإعلام الأوربي تدخل هو الآخر ولم يبخل في تشويه صورة المسلمين ، إذ تسعى محطات التلفزة التي تمولها منظمة الأمن والتعاون الأوربي إلى طرح هذه الصورة المشوهة عبر أفلام تاريخية عن الحياة في البلاد الإسلامية تعكس الجانب السلبي لجعل البوسنيين يتنفرون من الانتماء دينياً إلى الإسلام ، وفي هذا الاتجاه أيضاً عمل المركز الثقافي الفرنسي في

البوسنة حينما قام بترجمة بعض الروايات إلى اللغة البوسنية تحكي احداها شقاء امرأة جزائرية تعيش أوضاعاً اجتماعية مزرية وتعمم تلك الحالة على اعتبار أنها نتاج للإنتماء الإسلامي .

وبكل ثقله تدخل الفاتيكان بنفسه فيما يجري في البوسنة ، فقد كشفت الصحافة الايطالية أن الفاتيكان يحتفظ بجزء لا بأس به من الكنائس من (٢٠٠) ألف طفل بوسنوي من أبناء المسلمين تم تهجيرهم أثناء الحرب وخاصة سنة ١٩٩٢م دون أن يعرف مصير الغالبية العظمى منهم حتى الآن .

كما خصص الفاتيكان مبلغ ملياري دولار لأنشطة التنصير عام ٢٠٠٠م في البوسنة وذلك حسب نشرة إذاعة الفاتيكان . وفي تفاصيل واحدة من

العمليات التنصيرية يروي شاهد عيان ما يجري لأطفال المسلمين في داخل أحد المراكز الذي لا يبعد عن العاصمة ساراييفو أكثر من عشرة كيلو مترات وبالتحديد في ضاحية البيجا ، حيث يقول : في هذا المركز حوالي (٧٠) طفلاً مسلماً تتراوح أعمارهم ما بين (٤ - ١٤) سنة ، يتم تلقينهم يومي السبت والأحد الأناشيد النصرانية والإنجيل المحرّف ، ويبدأ برنامجهم بترديد الأناشيد النصرانية مع الموسيقى والتصفيق والرقص ، ثم يجلس الجميع لتناول المرطبات والمشروبات ، وبعد الانتهاء من الأكل تبدأ حصة تعليم الإنجيل المزعوم والعقائد التثليثية .

هذه الحالة كانت متوقعة في بلد كالبوسنة خاصة وأن التنصير يلاحقنا في الشرق حينما

يختار مناطق الضعف فيه في افريقيا وشمال العراق وآسيا الوسطى مثلاً ، فكيف الأمر إذا كان في أوروبا نفسها ، حيث أنه سيعمل المستحيل من أجل الغاء الهوية الإسلامية .

وإذا كانت المؤسسات التنصيرية لا تكف عن التبشير بمبادئها في صفوفها باستخدام أنواع الأساليب الترغيبية ، فماذا فعل المسلمون لا من أجل التبليغ للمبادئ الإسلامية ، وإنما من أجل انقاذ اخوة لهم يثنون من وطأة ثقل الضغط التنصيري باشكاله المختلفة : العسكري أو السلمي ، وإذا كانت مبيعات النفط الإسلامية لا تنفع في دفع الضرر عن الإسلام فماذا تفيد إذن ؟

وإذا كان الجانب الإنساني يستثمره الغير من أجل سلب الهوية فلماذا لا تبادر إلى

استخدامه للحفاظ على الهوية ، علماً أن تأسيس بعض المدارس والمراكز العلمية والقرآنية لا يكلف إلا جزء يسيراً يسيراً من الميزانيات النفطية الضخمة ، أليس هذا هو أضعف الإيمان ؟

\* \* \*

□ أميركا

### مجلس النواب الأمريكي يتضامن مع إسرائيل الغاصبة

الولايات المتحدة الأمريكية ليست وسيطاً نزيهاً أو محايداً في نزاع الشرق الأوسط ، وهو أمر أصبح بديهياً لم تعد خافية على المجتمع الإنساني ، فرغم معرفة الإدارة الأمريكية بما تقوم به الحكومة الصهيونية من قتل وارهاب وتدمير شامل ، وكذلك معرفة الأسباب الحقيقية الكامنة من وراء الانتفاضة وإصرار

الشعب الفلسطيني على إنتزاع حقوقه المغتصبة ، تسعى واشنطن بكل جهودها لتزييف الحقائق وخداع الرأي العام العالمي وتصور الأحداث الجارية في الأراضي المحتلة بأنها رغبة فلسطينية في تصعيد العنف ضد الإسرائيليين لجني مكاسب سياسية تتعلق بمفاوضات التسوية والتي توقفت منذ فشل كامب ديفيد الثانية ... وتمتد هذه الحالة لتشمل وسائل الإعلام الأميركية والتي تتسابق إلى كيل الاتهامات إلى الفلسطينيين وتصويرهم بأنهم دعاة عنف .. وهذا نهج متأصل في السياسة الأميركية رغم اشتداد الرغبة الاسرائيلية في مواصلة القمع تجاه الفلسطينيين ، وهذا لن يدفع الأحداث باتجاه التهدئة التي تدعيها الولايات المتحدة الأميركية بل يدفعها إلى استمرار

عجلة القتل والتدمير وتعقيد الأمور التي يصعب الحل معها في إطارها السلمي .

فإدعاء واشنطن الحيادية تجاه الصراع الفلسطيني الصهيوني لم يدم طويلاً ، واستطاعت أسابيع معدودة من انتفاضة الأقصى تعريته وكشف زيف ادعائها السافر والمنحاز لاسرائيل في أجلى صورها ، منها المواقف والتصريحات لساسة واشنطن حيث كان آخرها وليس آخرها قرار اعتمده مجلس النواب الأميركي، حيث أدان فيه السلطة الفلسطينية وحملها مسؤولية ما أسماه بمواصلة العنف في الأراضي الفلسطينية ومعرباً عن تضامنه مع دولة (اسرائيل)، حيث جاء في القرار الذي صوّت عليه بغالبية «٣٦٥» صوتاً: «أن المجلس يدين السلطة الفلسطينية لأنها حرّضت على العنف ولأنها

لم تفعل أي شيء لوقفه مما تسبب في خسائر غير معقولة في الأرواح» كما دعى حكومة الرئيس بيل كلنتون إلى استخدام حقها في «النقض الفيتو» في مجلس الأمن الدولي ...

وما تضمنه القرار لا يحتاج إلى تحليل أو تأويل فهو يعبر بشكل صريح عن انحياز الولايات المتحدة الأميركية إلى إسرائيل دون أن يحملها أدنى مسؤولية تجاه ما ارتكبه في اعتداءات على الفلسطينيين بل يسوّغ لها ذلك وكأنه حق مشروع لها من خلال تذكير ياسر عرفات بتعهداته تجاه إسرائيل وحكومتها .

القرار الأميركي المنحاز وبشكل صارخ هذا أدى إلى حدوث ردّ فعل لدى الفلسطينيين واعلان اعتراضهم على هذا القرار الداعم والمؤيد لإسرائيل بإدامة المجازر بحق الشعب الفلسطيني

الأعزل، وأنه يشكل شهادة براءة بتحميل الضحية مسؤولية موتها وعذابها واعفاء الجالاد من هذه المسؤولية .

وكما رفضت الجامعة العربية هذا القرار واعتبرته خطوة لا تساعد على تهدئة الأوضاع في الشرق الأوسط ولا تساعد على استئناف مفاوضات التسوية .

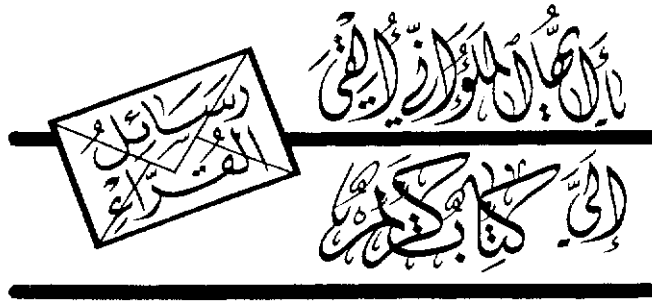
كما أن الأحداث التي تشهدها الساحة الفلسطينية وما تميزت به من عنف وقسوة تعكس رغبة صهيونية متمخضة عن تفاقم الصراع داخل الكنيسة، وقد كشف عن ذلك إيهود باراك رئيس الوزراء الاسرائيلي عندما أبرز رغبته في تشكيل حكومة طوارئ شعارها الأساسي استخدام العنف ضد الفلسطينيين، واعلان الانسحاب الرسمي من مفاوضات التسوية . فإسرائيل تسعى إلى ايجاد

الذرائع وتهيئة الأرضية لتوسيع عدوانها على فلسطين . ورغم كل هذه التصريحات واعمال العنف لم يكن هناك موقف يدين الاسرائيليين على أعمالهم هذه فدائماً نجد أميركا السبّاقة في الانحياز إلى جانب اسرائيل، والرئيس الأميركي يؤكد هذه الحالة عندما قال : على الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بذل مزيد من الجهد للحد من العنف بين الفلسطينيين والاسرائيليين دون أن يشير إلى ما يفعله رئيس الوزراء الاسرائيلي للحد من هذه المواجهات بوقف آلة القمع الاسرائيلية التي بدأ قادتها يلوّحون بها ، وبوجود الاستعدادات للاستمرار في معركة طويلة الأمد مع الفلسطينيين ، فقد أعلن الجنرال (غيورا) قائد العمليات في هيئة أركان الجيش الاسرائيلي عن

تدهور الأوضاع في الأشهر الماضية وأن الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة بإمكانه أن يحافظ على قواته في وضعها الحالي ... وبأي طريقة كانت حتى وان أدى إلى مجازر جديدة .

إن هذا المزيج من الانحياز الأميركي وابداء الاستعداد الاسرائيلي لتوسيع وتصعيد القمع ضد الفلسطينيين لن يساهم أبداً في تهدئة الوضع داخل الأراضي المحتلة، بل يزيد من غضب الجماهير الفلسطينية ومعها جميع المسلمين ويجعلها تصرّ على الاستمرار بالانتفاضة والمواجهة مع قوات الاحتلال الصهيوني حتى يرضخ لمطالبه العادلة ... بالرغم من كل اشكال الدعم العالمي الذي يتلقاه الكيان الصهيوني من الولايات المتحدة الأميركية وغيرها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«رسالة الثقلين» مجلة قيّمة

وعرفناها سابقاً .

أتقدم بالشكر الجزيل  
والإمتنان على إرسالكم  
مجلة رسالة الثقلين القيّمة راجياً  
لكم التوفيق والسير على الخط  
الإسلامي الأصيل الرائع  
والمستفاد منه في ديار الهجرة  
البعيدة ، وأأمل منكم تزويدنا  
ببوسترات كبيرة وصغيرة  
لآيات قرآنية وصور عن  
المراقد المقدسة للأئمة الأطهار  
الإثني عشر عليهم السلام شاكراً لكم  
همتكم التي تعودنا عليها

محمد صادق بحر العلوم  
الجمعية العراقية الإسلامية  
«أميركا»



نود أن تصلنا إصداراتكم

من منن الله جلّ وعلا أن وفق  
ثلة من المسلمين المخلصين  
بنشر العلوم الإسلامية المختلفة  
وما يترتب بسيرة النبي صلى الله عليه وآله  
والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، مسنوداً

بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة ، وقد وصلت إلى بلادنا الكثير من منشوراتكم ورأيناها في بعض المدارس الدينية في إسلام آباد .

علماً بأن لنا مدرسة دينية في محافظة البنجاب باسم جامعة علوم إسلامي ، ونود أن تصل إلى مدرستنا نشريراتكم المباركة المختلفة ، علماً أن طلاب المدرسة يتكلمون الأوردو ، والكثير منهم بالإضافة إلى ذلك يتكلم الانجليزية والبعض يجيد اللغة العربية والفارسية .

سيد عباس الموسوي

مدير جامعة العلوم الإسلامية

فيصل آباد «باكستان»

الإسلامي أشيد بكم والفخر يملأ كياني فرحاً وابتهاجاً لما تسعون إليه من إرشاد وتوجيه ديني قويم، وإيماناً لما تُقدّمونه للأمة الإسلامية من فكر أصيل وسليم، أحب أن أتقدم إليكم برسالتني هذه وأنا كلّّي أمل واطمئنان بأن تقبلوني مشتركاً في المجلة لأنني بأمس الحاجة إليها، وأخيراً أسأل الله لكم التوفيق والسداد .

أبو هدى الخالو

«العراق»

### «رسالة الثقلين» مليئة بالثقافة

#### والفكر الإسلامي

نُقدّم شكرنا لإرسالكم مجلة رسالة الثقلين المليئة بالثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، ولقد استفدنا منها فائدة جمة وقد أشارت إلى العودة للإسلام في عدة كتب نحن نفقدها والحصول عليها صعب، فنرجو منكم إرسال

ما تقدمونه في عملكم هذا هو  
فكر أصيل وسليم

من خلال متابعتي لعملكم الكريم هذا والمنتشر في العالم

ما تيسّر لكم منها ولو على شكل دفعات ، ونرجوكم أيّما رجاء بأن تمدوا لنا يد العون بإرسال مناهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية لكي نحصل على الثقافة الإسلامية بالشكل المطلوب. وأخيراً ندعو الله أن يوفقكم لخدمة الإسلام والمسلمين كما يحب ويرضى .

كيكويم موسى

مدير مدرسة أهل البيت الإسلامية

جمهورية بوروندي



## «رسالة الثقلين» فيها موضوعات

### قيّمة وعبر نافعة

لقد منّ الله عليّ إذ وقعت عيني على مجلد العددين التاسع عشر والعشرين من مجلة رسالة الثقلين الإسلامية التي سمّيتها «قوت قلوب الباحثين الأحرار أولي الأبصار ممن يُريد التعرف على مدرسة أهل البيت الأطهار عليهم السلام» .

تالله يا أخي ! إنني لأول مرّة أطلعت على مجلة كهذه فوجدت فيها موضوعات قيمة وتعاليم جادة وعبراً نافعة، وعلى هذا الأساس فإنّي أبعث إلى سيادتكم هذا الطلب بمزيد من الأمل والرجاء راجين منكم تزويد معهدنا بكل عدد صدر سابقاً من هذه المجلة وسوف يصدر لاحقاً بشكل مستمر والإصدارات الأخرى، هذا وقد دفعنا الأمل الكبير والرجاء القوي للاستفادة منها سائلين الله العليّ القدير أن يُوحّد كلمتنا على الحق ويجمع شملنا في ميادين العمل الجهادي المقدس من أجل دحر مخططات القوى الكافرة، وتحقيق آمال أمتنا الإسلامية في نشر الدعوة الإسلامية العظيمة وتطبيق شريعة الله في الأرض .

آدم سيك

مدير ومؤسس المعهد الإسلامي العربي

الفرنسي

«السنغال»

## «رسالة الثقلين» تحمل علوم

أهل البيت عليه السلام

تعودت منذ اللحظة الأولى لوصول مجلة رسالة الثقلين لي أن أطالع ما فيها من نتاج يحمل بين طياته علوماً سياسية واجتماعية وثقافية، علاوة على علوم أهل البيت عليه السلام، ونظراً لانقطاع هذه المجلة الثمينة من الوصول لي تأثرت كثيراً لأنني حرمت من ثراث لا يُقدّر بثمن، وموضوعات شيقة تطرح بأقلام أتباع أهل البيت عليه السلام، فأرجوا أن لا تبخلوا علينا بإرسال المجلة ورفدنا بالإصدارات التي نحتاجها في حياتنا اليومية راجين لكم الموفقية والسداد.

أبو أمين الأسدي

الجمهورية الإسلامية في إيران

«كرمانشاه»

## أقدر جهودكم في نشر الفكر

## الإسلامي

أقدر جهودكم في نشر الفكر الإسلامي وأتشرف بالكتابة إليكم لإهتمامكم بأمور المسلمين، متمنياً لكم التوفيق في هذا العمل المبارك الذي تُبَلِّغون به رسالة الأنبياء والمرسلين.

أنا طالب أدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، لقد طالعت مجلة رسالة الثقلين فكان لها مكان مرموق عندي، ولأجل ذلك أرجوا منكم تزويدي بالمجلة وبإصداراتكم الأخرى التي تناسبني في المستوى من حيث الثقافة والمعرفة بالدين الإسلامي.

محمد الهادي جون الصغير

«السنغال»



## «رسالة الثقلين» مجلة ممتازة

### جداً لا مثيل لها

من خلال نظرة ألقيتها على مجلتكم رسالة الثقلين وجدتها ممتازة جداً لا مثيل لها، مع أنني قد اطلعتُ على مجلات إسلامية كثيرة، ولكن عندما أطلعت على مجلتكم رسالة الثقلين أعجبت بها كثيراً لما فيها من بحوث عظيمة ومفيدة وخاصة إهتمام مجلتكم بأهل البيت عليهم السلام الذين قال رسول الله ﷺ فيهم «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوئ» إن بحوث المجلة الممتازة تزيل الإشكالات التي وقع فيها كثير من المسلمين حول أهل البيت عليهم السلام.

لقد حصلت على العدد التاسع والعشرين من أحد الإخوة الذين تصلهم هذه المجلة، ويا حبذا لو ترسلون لي جميع أعداد المجلة إذا أمكنكم ذلك، وجزاكم الله خير الجزاء، وأسأل الله تعالى أن

يجعلنا وإياكم من جنود صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه .

محمد غانم صالح الشامي

صعدة - اليمن



## «رسالة الثقلين» مجلة أبحاث

### الدعوة الإسلامية

أرجوا أن أتشرف بالاشتراك في مجلتكم الميمونة مجلة رسالة الثقلين، فقد أطلعت عليها عند أحد الزملاء الذين يدرسون في المملكة العربية السعودية، وحينما إنتهيت من قراءتها قطفت ثمارها واستفدت منها وسعدت بها جداً لما تحتويه من أخبار إسلامية نافعة وأبحاث تتعلق بالدعوة الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي، فأرجوا إرسال المجلة لي لإشباع رغبتي الملحة في اقتنائها والإطلاع عليها .

محمد راج بن يوسف

سريلانكا

## فهرس مواد السنة التاسعة لمجلة رسالة الثقلين

للأعداد ٣٣-٣٦

محرم الحرام - ذو الحجة ١٤٢١ هـ. نيسان ٢٠٠٠ - نيسان ٢٠٠١ م

### كلمة التحرير

بقلم رئيس التحرير

الصفحة	العدد	الموضوع
٤	٣٣	رسالتنا بين النظرية والتطبيق .
٤	٣٤	العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس .
٤	٣٥	سنّة الله في قمع الفتن وردع العدوان .
٤	٣٦	مسار وعي الأمم ونهضة الشعوب .

### من آفاق القيادة الإسلامية

لؤلؤي أمير المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)

الصفحة	العدد	الموضوع
٩	٣٣	التبليغ ضمان لاستقرار مسيرة التضحية الحسينية .
١٤	٣٤	ذكرى ولادة الكوثر .
١٤	٣٥	الاصلاحات .. ماهيتها، سبل تحقيقها، أولويتها .
١١	٣٦	يوم الولاية .

## دراسات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التفكير في التصور القرآني	الشيخ مرتضى المطهري.	٣٣	١٨
المرجعية الدينية الصالحة المرجعية ... موقعها مهماتها انجازاتها	السيد محمد باقر الحكيم.	٣٣	٢٥
خديجة الكبرى مثل أعلى للمرأة المسلمة (١)	عزالدين سليم (العراق)	٣٣	٤١
دور العصبية في اضعاف الكيان الإسلامي «عصر صدر الإسلام نموذجاً» (١)	الشيخ عبدالكريم آل نجف	٣٣	٦٨
مواصفات المرجعية الدينية الفاعلة	السيد محمد باقر الحكيم	٣٤	٣٠
خديجة الكبرى مثل أعلى للمرأة المسلمة (٢)	عزالدين سليم (العراق)	٣٤	٦٦
دور العصبية في اضعاف الكيان الإسلامي «عصر صدر الإسلام نموذجاً» (٢)	الشيخ عبدالكريم آل نجف	٣٤	٩٠
ولاية الله	الشيخ محمد مهدي الآصفي	٣٥	٤٤
نظرية الإمامة : ضرورة الإمامة	السيد محمد باقر الحكيم	٣٥	٥٩
نظرة في علم الأخلاق	السيد هاشم الهاشمي	٣٥	٧٩
نظرية الإمامة : الإمامة في أهل البيت (عليه السلام)	السيد محمد باقر الحكيم	٣٦	٣٤
هدف الحياة الإنسانية (١)	الشيخ مرتضى المطهري	٣٦	٦١

## تحقيقات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ملاحظات حول تعليقات العلامة المجلسي على الأحاديث في كتاب «العقل والعلم والجهل»	الشيخ محمد علي التسخيري	٣٦	١٦٦

## من فقه مدرسة أهل البيت عليه السلام

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
٨٩	٣٣	الشيخ محمد علي التسخيري	مسألة تغيير قيمة العملة الورقية وأثرها على الأموال المؤجلة.
١٠٩	٣٤	الشيخ محمد علي التسخيري	بطاقة الإئتمان غير المغطاة.
٩٩	٣٥	الشيخ مرتضى الترابي	عقد الصيانة.
٩٣	٣٦	السيد هاشم الهاشمي	ضروري الدين والسيرة.
١٢٩	٣٦	اعداد: لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع)	قواعد أصول الفقه ١- قاعدة: الالفاظ موضوعة لذات المعاني. ٢- قاعدة: الاطلاق في مفاد الهيئة.

## سؤال وجواب

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٠٧	٣٣	السيد عبدالكريم هاشمي نژاد	حول حرية الدين والثقافة.
١٤٩	٣٥	السيد عبدالكريم هاشمي نژاد	حول بعض مسائل الزواج في الإسلام.

## رأي

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٥٥	٣٣	جعفر عبدالرزاق «هولندا»	منهجية الحوار في الإسلام.
١٩٧	٣٤	مهدي عبدالمهدي	الكتمان والسرية في الإسلام.
١٩٧	٣٥	الشيخ محمد صادق الإبراهيمي «كندا»	في الهلال.



## أدب في رحاب التقلين

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٨٠	٣٣	هاشم محمد	الحرف والسيف .
١٨٢	٣٣	السيد محمد جمال الهاشمي	نشيد الحسين.
١٨٥	٣٣	الطغرائي	الزمان .
٢١٠	٣٤	السيد محمد جمال الهاشمي	الله .
٢١٢	٣٤	ابراهيم محمد جواد «سوريا»	مراكب الذكرى .
٢١٢	٣٥	الكميت بن زيد الأسدي	الأقربون .
٢١٧	٣٥	السيد محمد جمال الهاشمي	مولاي عيدك.
١٩٢	٣٦	الصاحب بن عباد	يوم أغر .
١٩٥	٣٦	السيد محمد جمال الهاشمي	الغدير الغدير.
٢٠٠	٣٦	ابراهيم محمد جواد «سوريا»	نسائم الغدير .

## استطلاع

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
٢٠٩	٣٣	الاعداد: تحت اشراف الشيخ محمد اشرف الدين خان «بنغلاديش»	المسلمون وأتباع أهل البيت (ع) في بنغلاديش.
١٨٠	٣٥	على اورسجي «بنغلاديش»	الشعائر الحسينية في بنغلاديش.

## من أعلام مدرسة أهل البيت

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٨٤	٣٤	حسين الشاكري	عثمان بن سعيد العمري «السفير الأول».
١٦٦	٣٥	حسين الشاكري	محمد بن عثمان الخلاني «السفير الثاني».
١٧٤	٣٦	حسين الشاكري	الحسين بن روح النوبختي «السفير الثالث».

## من تاريخ أهل البيت عليه السلام

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الإمام علي (ع) والمعارضة السياسية (١).	صلاح عبدالرزاق «هولندا»	٣٤	١١٦
الإمام علي (ع) والمعارضة السياسية (٢).	صلاح عبدالرزاق «هولندا»	٣٥	١١٨
الطاعة والثورة في النهج السياسي للإمام الحسين (ع) (١).	الدكتور أحمد عبدالمجيد حمود «استراليا»	٣٦	١٣٩

## أهل البيت عليه السلام في روايات الصحابة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
روايات أم المؤمنين أم سلمة.	قاسم السوداني	٣٣	١٨٧
روايات عمار بن ياسر.	الشيخ جعفر الغريب	٣٥	٢٢٨
روايات سعد بن أبي وقاص.	الشيخ جعفر الغريب	٣٦	١٨٢

## من غرر حكم أهل البيت عليه السلام

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الإحسان.	الشيخ عبداللطيف الأسدي	٣٣	١٩٥
المحسن.	الشيخ عبداللطيف الأسدي	٣٤	٢١٧
الخشوع.	الشيخ وهب الفرحان «العراق»	٣٥	٢٢٠

## شبهة ورد

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
مفاهيم معاصرة في الميزان.	السيد هاشم الهاشمي	٣٣	١٢٠

## فرق ضالة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
البهائية.	عبدالكريم رؤوف	٣٤	١٤٦

## من أنباء القرن

مجموعة تقارير وأخبار عن أحوال المسلمين

وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء العالم / أعداد قسم الأرشيف

الصفحة	العدد	الموضوع
٢٢٢	٣٣	<p>أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران : (مشهد الانتخابات الإسلامية في إيران ... واقع الانتماء للثورة) ، * فلسطين : (الانتفاضة بين السلطة الفلسطينية وتل أبيب .. النفق الطويل) ، * لبنان : (قرار الانسحاب من لبنان ... دروس وعبر) ، * العراق : (بين عقاب النظام والأمم المتحدة المطلوب .. معادلة بديلة) ، * السودان : (من المستفيد من الانفصام؟) ، * الشيشان : (الصراع الطويل) ، * نيجيريا : (بين ركاب العنف في نيجيريا .. فتش عن التاريخ) ، * أميركا وأوروبا : («واشنطن الموقف من عملية التسليح النووي» ، «استغلالاً لضحايا النازية .. بعد الساسة، الحركة الصهيونية تتجه نحو الرأي العام» ، «هل تقف الولايات المتحدة الأميركية وراء الفتنة الطائفية؟»).</p> <p>أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران : (طهران والقدس مدينتان تنبضان بقلب واحد) ، * فلسطين : (القضية الفلسطينية .. تسوية أم تسويق) ، * العراق : (الشعب يكتوي بأكثر من نار) ، * الشيشان : (خطيئة الروس إلى متى؟) ، * على هامش أوضاع السوق النفطية : (آمال مفقودة وآلام معقودة) ، * أميركا :</p>

٢٣٦	٣٤	<p>(الانتخابات الأميركية .. نظام الحزبين، بين الحرية المزعومة والديمقراطية المتخلفة)، * الأمم المتحدة : (الألفية .. أفكار بعد القمة).</p> <p>أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران : (والانتفاضة مستمرة ... فلسطين في فكر القيادة الإسلامية في إيران «مقارنة أمدها أربعة عقود»)، * فلسطين : (انتفاضة الأقصى : أخطاء الزعامات)، * كشمير : (بين المقاومة وانتظار الحل)، * نيجيريا : التراجع عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية)، * آسيا الوسطى : (لعبة العداء للإسلام)، * العالم الثالث : (تجارة الديون خطة لاستعباد العالم الثالث)، * أميركا : (التباكي على حرية الأديان).</p> <p>أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران : (تجارة المخدرات عبر إيران، مؤامرة تشارك فيها أطراف دولية)، * جماعة علماء المسلمين في أوروبا : (موقف مسؤول من مجلة مشبوهة)، * فلسطين : («الشعب الفلسطيني بين الحصار والمذابح اليومية»، «الانتفاضة عصا غليظة في دولا ب الحكومة الإسرائيلية»)، * العراق : (الجفاف : مشكلة عالمية ، تداركها قبل فوات الأوان «العراق نموذجاً»)، * أفغانستان : (الحرب والمجاعة تهدد حياة الملايين)، * الجزائر : (تصاعد موجة أعمال العنف من جديد)، * البحرين : (قمة مجلس التعاون الخليجي بين السلب والايجاب)، * تركيا : (انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان)، * البوسنة : (التنصير في عقر دارنا)، * أميركا : (مجلس النواب الأمريكي يتضامن مع اسرائيل الغاصبة).</p>
٢٣٠	٣٥	
٢٠٦	٣٦	

## مع قراء الثقلين

اعداد : قسم العلاقات

الصفحة	العدد	الموضوع
٢٥٦	٣٣	<p>رسائل وتقويمات : أنا شغف للتعرف على ما تحتويه رسالة الثقلين من معارف وعلوم / حيدر نور الدين دمشق ( سوريا ) ، * «رسالة الثقلين» المجلة الإسلامية الجامعة للعلوم الحقّة / عبد الكريم عبدالله (اليمن - صعدة) ، * «رسالة الثقلين» مواضيعها رائعة / خالد يحيى محمد أحمد القاضي (جمهورية مصر العربية المسؤول الاعلامي لجمعية الهدى الاسلامية) ، * لقد حازت مجلتكم الغراء مكانة عظيمة لدى المطلعين عليها / ROMBA HASSANE R.C.I ، * «رسالة الثقلين» مجلة الاسلام المحمدي الأصيل / محمد عباس (كندا) ، * «رسالة الثقلين» خير معين للرساليين / قاسم محمد (سويسرا) ، أعجب بمجلتكم لرصانة مواضيعها وتنوع أبوابها / مسلم عاشور (الجمهورية الاسلامية في ايران) ، * شوقاً «لرسالة الثقلين» لما فيها من معلومات قيمة نطلب المزيد منها / أساتذة معهد الأزهر للدراسات الاسلامية السنغال (بامبين).</p> <p>رسائل وتقويمات : «رسالة الثقلين» متميزة ببحوثها العلمية / بصير الخليف (فنلندا) ، * «رسالة الثقلين» مجلة المواضيع الاسلامية الهادفة / عباس مهدي عبد علي الربيعي (الجمهورية</p>

٢٣٠	٣٤	<p>الاسلامية في ايران)، * أهني كتاب رسالة الثقلين وأجل القائمين عليها لما فيها من بحوث تحقيقية / عبد الرحيم روزي النوري غواري (باكستان)، * «رسالة الثقلين» تحتل مكانة مرموقة في عالم المجالات / محمد كوتشيرري أمين مجلس الدراسات والبحوث الاسلامية (الهند).</p>
٢٦١	٣٥	<p>رسائل وتقويمات : * نشركم لمذهب أهل البيت <small>عليه السلام</small> شرف عظيم لكم / سيد مؤيد البطاط (هولندا)، * مجلة «رسالة الثقلين» تُنير دروبنا وعقولنا / أبو علي الحلوي (المانيا)، * نرجو إرسال الكتب والمجلات / السيد علي الياسري جمعية أهل البيت <small>عليه السلام</small> (السويد).</p> <p>رسائل وتقويمات : * «رسالة الثقلين» مجلة قيّمة / محمد صادق بحر العلوم الجمعية العراقية الإسلامية (أميركا)، * نود أن تصلنا إصداراتكم / سيد عباس الموسوي مدير جامعة العلوم الإسلامية فيصل آباد (باكستان)، * ما تقدمونه في عملكم هذا هو فكرٌ أصيل وسليم / أبو هدي الخالو (العراق)، * «رسالة الثقلين» مليئة بالثقافة والفكر الإسلامي / كيكويم موسى مدير مدرسة أهل البيت الإسلامية (جمهورية بوروندي)، * «رسالة الثقلين» فيها موضوعات قيّمة وعبر نافعة / آدم سيك مدير ومؤسس المعهد الإسلامي العربي الفرنسي (السنغال)، * أقدر جهودكم في نشر الفكر الإسلامي / أبو أمين الأسدي الجمهورية الإسلامية في إيران (كرمانشاه)، * «رسالة الثقلين» تحمل علوم أهل البيت <small>عليه السلام</small> / محمد الهادي جون الصغير (السنغال)، * «رسالة الثقلين» مجلة ممتازة جداً لا مثيل لها / محمد غانم صالح الشامي (صعدة - اليمن)، * «رسالة الثقلين» مجلة أبحاث الدعوة الإسلامية / محمد راج بن يوسف (سريلانكا).</p>
٢٤٩	٣٦	

## رسالة الثقلين مجلة اسلامية جامعة

### قسمة الاشتراك

الاسم :  
العنوان :  
المدينة :  
البلد :  
المهنة :  
مدة الاشتراك :  
ابتداءً من :  
عدد النسخ :

الاشتراك

بلد

السنوي / لمدة ٦ أشهر

الارسل

☐ الجمهورية الاسلامية  
في ايران (بالريال)  
٧٠٠٠ ١٤٠٠٠  
☐ باقي دول العالم بالدولار  
١٥ ٣٠  
الأميركي  
(أو مايعادلها)

يرافق اشتراكي : ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية  
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي :  
\* الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص . ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥

### الاشتراكات :

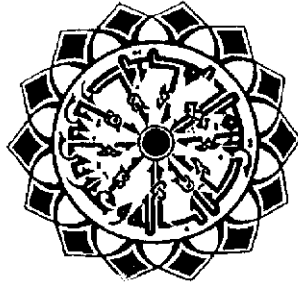
داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (١٤٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بنك ملي / شعبة ولايت - خيابان فلسطين جنوبي - رقم الحساب الجاري ٥٥٩١٦٠٠٦ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين .  
قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركا أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي : (جميع فروع بنك ملي في خارج البلاد) .

Bank Melli, Iran (55916006)

### ثمن النسخة :

الجمهورية الاسلامية في ايران ٣٥٠٠ ريال ☐ العراق ١٠ دنانير ☐ لبنان ٢٥٠٠ ليرة ☐ سوريا ٥٠ ليرة ☐ الاردن دينار واحد ☐ الكويت دينار واحد ☐ البحرين دينار واحد ☐ الامارات ١٥ درهما ☐ قطر ١٥ ريالا ☐ عمان ريال واحد ☐ السعودية ٢٥ ريالا ☐ اليمن ٣٥ ريالا ☐ مصر ٧٥ قرشا ☐ ليبيا ١٠٠٠ درهم ☐ السودان ١٠٠ جنية ☐ تونس دينار واحد ☐ المغرب ١٥ درهما ☐ الجزائر ١٢ دينار .  
وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها .



AHL UL BAIT  
WORLD ASSEMBLY

# ***RISALATUTH - THAQALAYN***

**A General Islamic Periodical**

**Vol . 9, No. 36, January - Mar. 2001**